التاريخ السرِّي

للماسونية والماسون في تركيا

الطبعة الأولى
1446 هـ
2025 م

اسم الكتاب: التاريخ السرّي للماسونية والماسون في تركيا
المؤلف: سليمان قوجه باش
ترجمة: أ.د/ عبد الله أحمد إبراهيم العزب
موضوع الكتاب: دراساتٍ تِطبيقيَّة
عدد الصفحات: 238 صفحة
عدد الملازم: 14.875 ملزمة
مقاس الكتاب: 17 x 24
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
الترقيم الدولي: 978-9921-815-95-5

القاهرة - جمهورية مصر العربية
٠١٠١٢٣٥٥٧١٤
٠١١٥٢٨٠٦٥٣٣
elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com

جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة محفوظة لدار البشير للثقافة والعلوم. حسب قوانين الملكية الفكرية. ولا يجوز نسخ أو طبع أو اجتزاء أو إعادة نشر أية معلومات أو صور من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الناشر

التاريخ السرِّي

للماسونية والماسون في تركيا

ترجمة

أ.د/ عبد الله أحمد إبراهيم العزب

دار البشير

«مقدمة المؤلف»

إن كتابنا هذا هو الجزء الأول من سلسلة كتبنا المتعلقة بالتاريخ السري في تركيا، وقد كتبناه بغية إلقاء الضوء على موضوع الماسونية والماسون في العالم وتركيا، وإماطة اللثام عن أسرار هذه القضية، ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.

ويعد موضوع الماسونية والماسون من بين الموضوعات التي يصعب توضيحها والإبانة عنها، وعندما ندرس التاريخ ونمعن النظر فيه فإن الماسونية سرعان ما تظهر بادية أمام أعيننا، من حيث كونها من أقدم المؤسسات في تاريخ الإنسانية، إذ كانت في بواكير نشأتها تتألف من اتحاد الحرفيين والمهنيين للمهرة والفنيين في البناء والتشييد، وتسمى أيضًا Operatif – Ameli Masonluk، أي: ماسونية العمل التعاوني.

ولما ظهرت حركة الإصلاح والنهضة في أوروبا، أسرعت الماسونية لتتكيف وتتواءم مع اصطباغ الحياة بالصبغة العلمية التي تمخضت عن حركة الإصلاح والنهضة، ثم ظهرت الماسونية مشكلة من هيئة المهرة والفنيين في البناء والتشييد، وأرادت إعادة تنظيم حياة المجتمع والإنسان من جديد، مقترنة مع إهداء الأفكار العلمانية، وأصبحت بمنزلة عصر التنوير وطريقة المستنيرين والمثقفين، وأصبحت الماسونية تنظيمًا سريًّا مُتغيرًا، وكان هذا سبب نجاحها، ومن ثم أصبح يطلق على هذا الشكل الجديد للماسونية اسم: Spekülatif – Fikri Masonluk، أي: الماسونية الفكرية التأملية، وامتد الوطن الأصلي للماسونية من إنجلترا، ثم إلى العالم، ودخل إلينا منذ عام ١٧٢٠م بتأثير كُلٍّ مِن: إنجلترا وفرنسا.

كانت الماسونية في العالم وسيلة الاستعمار للدول الكبرى، وهي وسيلة إلحادية لا دينية، واتهمت بأنها منظمة سرية خفية عالمية، وسرعان ما جذب بريق المنتسبين إليها كثيرًا من الناس، وسعت إلى تغيير أفكار الأديان والمتدينين، وحولتهم إلى التحريرية غير المقيدة، ولا سيما أن

الماسونية استخدمت وسيلة لتحقيق آمال ونفوذ الدول الاستعمارية الكبرى، إبان القرنين التاسع عشر والعشرين على وجه الخصوص، وأن نموذج تركيا في تاريخ الماسونية قد تمخض عنه شعور بشأن هؤلاء الماسون، وعُرفت الماسونية لدى طائفة من المثقفين والبيروقراطيين بأنها مستعمرة ملحدة مدمرة، وأنها وسيلة من وسائل الدول الاستعمارية الكبرى والعناصر الانفصالية، واتهمت بأنها شبكات وتنظيمات نفعية انتهازية، ولما رد الماسون على كل هذه الاتهامات الداخلية الخارجية أسرعت بتكذيبها، قائلة: إنها مفتأة مختلقة.

وإن كاتب هذه السطور قد بذل قصارى جهده حتى يكون هذا الكتاب مصطبغًا بالصبغة الأكاديمية في منهجه ودراسته، حيث كان المنهج العلمي هو ديدنه في توضيح ما يتصل بالماسون وما لهم وما عليهم، دون إصدار أحكام متعجلة أو مسبقة في هذا السبيل.

ولم تكن غايتنا في هذا الكتاب تشويه سمعة أحد أو الافتراء عليه، أو الإعلاء من شأن أحد والصعود به إلى الجوزاء، وقد ضم هذا الكتاب بين دفتيه كل ما قيل عن الماسونية والماسون وما لهم وما عليهم، حتى إننا اهتممنا اهتمامًا بالغًا بالمصادر الماسونية، رغبةً منا في شرح كل ما يتصل بالماسون من خلال أدلتهم وبراهينهم.

ونحن نقدم كل احترام لكل شخص يثق بكتابنا ويعول عليه، ونرجو أن يكون كتابنا ذا فائدة جمة لقرائنا.

«سليمان قوجه باش»

«الفصل الأول»

الماسونية والماسون في العالم

الماسونية العملية Operative Masonry

تأتي كلمة ماسون في القاموس بمعنى: «الشخص الذي يبني الجدار»، كما أن كلمة الماسونية تعني حرفة بناء الجدران وتشييدها، ولما كان تاريخ صنعة البناء والتشييد قديمة قدم تاريخ الإنسانية، فإن الناس المشتغلين بحرفة البناء والتشييد قد شرعوا منذ عهد مبكر في تنظيم هيئتهم وجمع شتات أمرهم، ومن ثم فإن تنظيم الماسونية كان بمثابة تنظيم حرفي ومهني لفن الهندسة المعمارية.

وقد كان الوضع الأول للماسونية يسمى بالماسونية العملية Operative Masonry، ومن ثم فان التاريخ بهذا الوضع قد دُرس قبل النصرانية، أي تحت هاتين الحقبتين، أي في الحقبة التي تمتد حتى عام ١٧١٧م[١].

الحقبة الأولى للماسونية العملية:

إذا كان تاريخ الماسونية يمتد حتى مهارة فن التشييد والبناء في بابل ومصر القديمة وحتى عصر نوح عليه السلام بسبب صنع السفينة، فإن البداية الحقيقية لهذا الفن قد بدأها سيدنا داود عليه السلام، وأتمها ولده سيدنا سليمان عليه السلام، ووجدت أسطورة هيكل سليمان الناجمة عن إنشاء معبد سليمان[٢]، وتفيد إحدى الروايات أن هناك أربعين ألف شخص اشتركوا في إقامة معبد سليمان، وكان آدون هرام آليف هو رئيس هؤلاء الصناع المهرة الذين شيدوا المعبد،

(1) Enver Necdet Egeran , gerçek yüzüyle Masonluk , Başnur Mat , Ankara , 1972 , s – 22

(٢) المؤلف السابق . ص . ١٢٦ –١٢٩

أما هرام أوسطة ابن إحدى الأرامل، فقد قسم العمال إلى ثلاث درجات، وهي: جيراق وقالفه وأوسطة، ويعلم هذا الرجل طائفة من المعلومات المعمارية لكل درجة من هذه الدرجات، وكان هؤلاء لا يعرفون أسرار بعضهم بعضًا.

أما القالفالر Kalfalar، أي: مُعلمو الصنعة، فإنهم كانوا يريدون معرفة أسرار المهارة من هرام أوسطة، ولما رد عليهم بقوله إن التعلم يكون بالعمل والاجتهاد، فإنهم حقدوا عليه وقرروا قتله، وحمل كل واحد منهم في يده منقلة ومسطرة ومطرقة، وضربوا هرام أوسطة وقتلوه وحملوه إلى أحد الجبال، ودفنوه تحت شجرة آقاصيا.

وعثر سيدنا سليمان عليه السلام على القتلة وعاقبهم، وعين مُهندسًا جديدًا للمعمار، وبدأ البناء من جديد، وقد عُثر على كلمة متوارية فوق أطلال المعابد، وهذه الكلمة هي: «المعمار الأعظم للمعمار»، وهي اسم أطلقه اليهود على الله سبحانه وتعالى، ومن ثم حافظت الماسونية على رموزها منذ ذلك اليوم وحتى الوقت الراهن.

وهكذا اقتبست الماسونية هذه الرموز من إنشاء معبد سليمان عليه السلام، وظهر رمز الماسونية الذي يتكون من الفرجار والمنقلة والمسطرة[1]، وما هو إلا رمز من أربعة حروف يهودية موجودة في أوسطة أو الرمز، وهذه الحروف تعبر عن عين الله[2].

الحقبة الثانية للماسونية العملية:

وبدأت هذه الحقبة بظهور النصرانية وامتدادها حتى أوروبا، ولا سيما أن الأبنية الدينية كالكنائس والكاتدرائيات بدأت تبرهن عن نفسها مع ظهور فن البناء والتشييد، وكان البابوات والملوك في أوروبا التي تنصرت حديثًا يتنافسون فيما بينهم في تشييد الكنائس، وكانوا يظهرون تقديرًا واحترامًا عظيمين للمهرة والعمال الفنيين الذين كانوا محتاجين إليهم كثيرًا، وكانوا يعفونهم من دفع الضرائب، وهكذا ظهرت طبقة ذات نفوذ عظيم، وبدءوا في إجراء انتخابات سريعة للأشخاص الذين يعملون معهم، وسرعان ما أصبحت الماسونية بمثابة جماعة نفعية

(1) İzzet Nuri Gün –yalçın Çelikler , Masonluk ve masonlar , Yağmur Yy , İstanbul , 1968 , s6 –7

(2) Serga Hutin , Gizli Cemiyetler , Çev , M , Artık , anıl Y , evi , İstanbul , 1965 , s , 73

انتهازيـة[١]، ولما كان المبشرون العمليون قد غيروا مواقعهم كثيرًا وأعمالهم التي يضطلعون بها، فإنهم اشـتهروا بحرية الحركة، ومُنحوا بطاقة مفتوحة تتيح لهم حرية الدخول والخروج إلى كل الدول، وكانت هذه الخصال التي تمتعوا بها سببًا في إطلاق اسم الماسونية الحرة عليهم[٢].

دخلـت الماسـونية العمليـة –التي هـي مهد الماسـونية الحديثـة– إنجلترا في القـرن العاشر الميـلادي، وفي عـصر الملـك Athelstan، ومـا لبثت أن أظهرت تطـورًا مطردًا إبـان القرنين الثالـث عـشر والرابـع عـشر الميلاديـين. وقـد نُشر أقـدم دسـتور للمبشريـن في عـام ٩٢٦م، وكتبـه Edwinyorابـن زوجة الملـك Atlrlston، وطلـب في دسـتوره ضرورة معرفة الله والوفـاء والإخـلاص للملـك والحرفـة والإيمان بمبـادئ الأخوة الإنسـانية وإطاعـة قرارات المنظمة الماسـونية، وتأسـيس المبادئ الأخلاقية داخل الجماعة الماسـونية، مثل عـدم السرقة[٣].

كان المنـاخ العلـماني الـذي أتـى به الإصـلاح والنهضـة في أوروبـا، وتضاؤل حركة إنشـاء الكنائـس والكاتدرائيات بسـبب التأثـير الاقتصادي والسـياسي الذي بدأ في التغيير، سـببًا في ضعف المنظمة الماسونية، وخطرًا جعلها معرضة للإغلاق، ومن ثم شرعت المنظمة في تسجيل العضوية لأشـخاص لا يعملـون بحرفة البناء والتشـييد، وأطلق عليهم الماسـون المقبولون[٤].

الماسونية التأملية الفكرية:

بـدأ تنظيم الماسـونية يقل تدريجيًّا ويتقلص معه نشـاط العمال ومهرة الإنشـاء والبناء داخل هـذه المنظمة، مقرونًا ببداية انضمام الماسـونيين إلى هذه المنظمة الماسـونية، وإذا ضربنا مثلًا على ذلـك فإننـا نقول: لقد ظهـرت طائفة من الماسـونيين تمثل ثلاثـة أرباع أعضـاء منظمة Iskoç Aberdeon Locasi في عـام ١٦٧٠ م. وقـد اضطلـع [٥] Gromwell الـذي شـنق شـارلز الأول، بـدور مهم في نفوذ الماسـونية، الـذي بدأ في إنجلترا إبان تلك الحقبـة من الزمان. وكان

(1) Gün –Çelikler , s, 9 – 10

(2) Egeran .s.23

(3) paul –Naudon –jules Boucher. Masonluk Bu Meçul , Çev M –Sakar , Okat Y , evi İstanbul , 1976

(4) Egeran .s.23

(٥) كان (Oliver Gromwell – 1558 1599) رجلًا عسكريًّا ورجل دولة ، وخاض صراعًا من أجل الفوز بمقعد في البرلمان الإنجليزى .

هـذا الرجل ماسـونيًّا، وتوصف هذه الحادثة بأول تجربة سياسـية قوية للماسـونيين في التاريخ. وبناء على هذه الحادثة التي وقعت في عام ١٦٤٩م، فقد لجأ مريدو Isturat Honedanإلى الجمعية الماسونية من أجل إنقاذ أزواجهم [١].

وقـد ظهـر في إنجلـترا عـام ١٧١٧م أول وأكـبر تنظيم ماسـوني في العالم. وسُـميت باسـم الجمعية الإنجليزية الكبرى واتحدت مع الجمعيات الماسـونية الأربع الكبرى. وبدأت نشـاطها بصورة رسـمية في عـام ١٧٢١م، واشـتركت في الأحداث التاريخية باسـم الماسـونية العملية، ولكنها ظهرت من منظمة عمال البناء الماسـونية، ولا سـيما أن بعـض المثقفين وكثيرًا من اليهود ممـن تصـدوا لضغوط العصور الدينيـة والملكية لهذه العصور قد شرعوا مـن فورهم في التوحد والتآلف داخل المنظمة الماسـونية، ولما كان الماسون الجُدد قد اهتموا اهتمامًا بالغًا بالعمل البدني للماسونيين القدماء، ويؤمنون بكلامهم وأقوالهم ووسائلهم وأُسُسِهم وقواعدهم، فإنهم كانوا يستخدمون كل هذه الاشياء باعتبارها رموزًا، ولكن الماسون لم يتخلوا عن إنشاء المعابد بالمعنى المادي، وبهذا السبب شُرِع في استخدام تعبير الماسون الجدد من أجل إظهار الفكر الذي سوف يعتمدون عليه. ولا جرم أن هذا التعبير بعد هذا التاريخ لم يطلق على عامل أو رجل من الشعب مِمَّن انضموا إلى المنظمة الماسونية[٢]. انهارت الماسونية العملية وتقوض بنيانها لأسباب سياسية، وظهرت الماسـونية الفرنسـية الحديثة في شـكل فكري تأملي، وهذا يعنى أن هذا البناء والتشييد قد أعطى مكانه لفن التفكير والتأمل[٣].

أما دسـتور الماسـونية التأملية الحديثة، فقد كُتِب على يد آندرسـون في عام ١٧٢٣م، وكلف البابا جيكس آندرسون الراهب البروتستانى لجمعية سانت باول بمهمة إعدادها الدستور على الوجه الأمثل[٤].

وقد شُرح في هذا الدسـتور تاريخ الماسـونية، ونُظمت فيه التكاليف والمسؤوليات الماسونية مدرجة في مواد قانونية مرتبة، وإن أعظم سـمة يتميز بها هذا الدسـتور تتمثل في أنه رسم لأول

(1) Gün -Çelikler , s, 11

(٢) المؤلف السابق ص ١٣

(3) Hasan Cem , Dünyada ve Türiyede Masonluk , özdemir B , evi , İstanbul , 1976 , s, 8

(4) Naudon .masonluk .s.101

مرة الشخصية العالمية واللا دينية للماسونية الخاضعة لمراقبة الكنيسة وإنجلترا على حد سواء[١]

لقد انتشرت الماسونية وامتد نفوذها من إنجلترا التي تُعد الوطن الأم لها حتى وصلت إلى كل الدنيا، وأُسِّسَت أول منظمة ماسونية في ألمانيا في مدينة هامبورج عام ١٧٦٨م بعد أن حصلت على إذن بذلك من المنظمة الماسونية الإنجليزية الكبرى، وسجل فريد ريش الأكبر ملك بروسيا اسمه في هذه المنظمة، وكل ملوك ألمانيا برمتهم من الماسون[٢].

وما لبثت الماسونية أن دخلت فرنسا في عام ١٧٢٩م وكانت تابعة لإنجلترا، وأسرع فلاسفة فرنسا ومفكروها بتسجيل أسمائهم في هذه المنظمات الماسونية، وأُسِّسَت أول منظمة ماسونية في إيطاليا في مدينة بانيسولا إبان القرن السابع عشر الميلادي، واجتمع العاملون في هذه المنظمات الماسونية من أجل الوحدة الإيطالية ولم شملها، وتمخض عن هذا النضال تأسيس منظمة ماسونية سرية قوية تسمى Garbaraniفي القرن التاسع عشر الميلادي، مستلهمة أفكارها من الماسونية.

دخلت الماسونية أمريكا تحت وطأة تأثير ونفوذ الماسونية الإنجليزية، وأُسِّسَت في أمريكا أول وأكبر منظمة ماسونية عام ١٧٦٠م. وتبوأ زعماؤها المستقلون مكانة مهمة في هذه المنظمات، وكان جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية ماسونيًّا، وجاء من بعده أربعة عشر رئيسًا عُرِفوا جميعًا بأنهم ماسونيون.

أُدْخِلت الماسونية إلى روسيا على يد إنجلترا، وأسَّس بترو الأول دلى بترو منظمة ماسونية في روسيا عام ١٧١٧م. وما لبثت الماسونية أن دخلت بلجيكا في عام ١٧٢١م، وإسبانيا في عام ١٧٢٨م، وهولندا في عام ١٧٣٥م، وبولونيا في عام ١٧٢٦م، والسويد في عام ١٧٣٥م، وكان الرئيس في السويد ملكًا مثله في ذلك مثلما هو موجود في إنجلترا[٣].

ودخلت الماسونية اليونان في عام ١٨٠٩م، ورومانيا في عام ١٨٥٩م، وكانت تابعة للمنظمة الماسونية الشرقية الكبرى في فرنسا، واجتمع المؤيدون للاستقلال في هاتين الدولتين

(1) Ana Britannica , Mason Maddesi , C XV, Anayayınçılık A,Ş, 1987, İstanbul ,s, 434

(2) Yeni Rehber Ansiklopedi , Mason Maddesi ,C ,XIII, Türkiye Gazetesi Yy, İstanbul , 1994 s, 292

(3) Orhan Koloğu, Abdülhamid ve Masonlar, Gür B, evi, İstanbul, 1991, s, 78

عن الدولة العثمانية في هاتين المنظمتين، ثم افتتح بعد ذلك تنظيمان ماسونيان: أحدهما في مصر عام ١٨٠٢ م، والآخر في السودان عام ١٨٩٩م، وكانا تابعين لفرنسا.

ثم أُسِّسَت منظمتان ماسونيتان أخريان، إحداهما في الهند عام ١٧٣٠م، والأخرى في إيران عام ١٨١٠م، وكانتا تابعتين لإنجلترا. ثم دخلت الماسونية اليابان عقب الحرب العالمية الثانية، وتوجد اليوم منظمات ماسونية في كثير من دول العالم.

ولما تحولت الماسونية من فكر الاشتغال بالبناء والتشييد إلى فكر الاشتغال بالتفكير والتأمل، أحست بأنها في أمسّ الحاجة إلى التعريف بنفسها من جديد، ولنمعن النظر في التعريفات الواردة في المعاجم اللغوية ودوائر المعارف الأولى: «إن الماسونية هي جمعية سرية مؤسسة من أشخاص ينقسمون إلى عدة فصائل تسمى Loca، أي: منظمة، وتعرف بإشارات وعلامات متعارفة بينها، وتتبنى طائفة من مبادىء الأخوة الصادقة».(٤)

ما هي الماسونية؟ هي منظمة سرية تهتم بالأخوة الإنسانية دون تفرقة بين بني البشر، من حيث الدين واللغة والجنس، وقد أُسِّسَت من أجل إفساد القيم الأخلاقية والقومية، معتمدة في هذا السبيل على كثير من الأسس والمبادئ اليهودية التي زُعِم أنها تدافع عن مبادىء الحرية والمساواة والعدالة(٥)، وورد في القاموس التركي لشمس الدين سامي، والمطبوع في عام ١٩٠٠م: «إن الماسوني هو ذلك الرجل المنتسب إلى طريقة مشهورة في أوروبا، وليس له مذهب سياسي أو مذهبي، ويستمسك بسر خفي يخص قواعد الشورى الخالصة، وهو شخص ملحد ومنكر لكل الأديان». ويقول القاموس الفلسفي: «إن الماسونية هي مذهب يسعى إلى توحيد الإنسانية، وإعلاء شأنها فوق كل العقائد والفوارق، إنها مذهب يسعى إلى تحقيق التعاون والتآزر والمحبة الإنسانية، واضعة نصب عينيها التسامح لكل الفوارق التي تحول دون تحقيق المحبة بين بني البشر أجمعين».(٦)

(4) Orhan Hançerlioğlu , Felsefe Sözlüğü , Remzi K , evi , İstanbul , 1977 , s206 hançerlioğlu , masondur)

(5) A –Zoletti , Masonik Sözlük , türkiye Büyük Locası Büyük Daimi Heyeti Yy , Ankara , 1965 , s , 23

(6) Masonluğun Temel Prensipleri ve Hür ve Kabul edilmiş masonlar Büyük Locası tüzüğü , yenilik B evi , İstanbul , 1974 , s , 7

الماسونية وفق تعريفات الماسون أنفسهم: «الماسوني هو ذلك الشخص الذي يرمي إلى أن تحيا الإنسانية في سلام وأمن وسعادة، والذي يُؤْثر العدالة والحقيقة على كل شيء، ويجرد نفسه من الأفكار الباطلة والخرافات التي تصادف هوى في نفوس العوام والدهماء، وذو فضيلة وأريحية، فكل فقير وغني على حد سواء، ذو خلق حسن، وهو إنسان حر وفيّ مخلص لوطنه ودينه».[1]

«إن الغاية المرجوة للماسونية الحرة هي إقامة روابط الأخوة بين كل الناس أجمعين، والبحث عن الحقيقة وتقدم الإنسانية وتطورها في إطار من الحرية والتناغم والوفاق والوئام، وتريد الماسونية الحرة أن تنذر نفسها من أجل هذه الأهداف، وتجمع جهود الناس ومساعيهم».[2]

«للماسونية غاية واحدة ليس إلا، تتمثل في ترسيخ وتأسيس عشق الإنسانية ومحبتها في القلوب، وهذه هي غاية الماسونية وفكرها المثالي المتمثل في الاعتناء بالأخلاق والتسامح والمساواة، وهي شروط فردية لتحقيق هذا الفكر المثالى. أما الحرية والثقافة العلمية المعرفية فإنها مفاهيم ثانوية يُراد إضافتها إلى هذا الأساس المتين، وهي أسس مساعدة لا تدخل في إطار الماسونية بطريقة مباشرة».[3]

الماسونية هي تنظيم يخدم التقدم الاجتماعي الفردي والمشترك على حد سواء، وغايتها تتمثل في تحقيق التكامل الفكري والاجتماي للإنسانية، وإن الحرية والمساوة والأخوة هي المبادىء والأسس التي تضيء طريق الماسونية، وتهديها إلى سواء السبيل، وإن التسامح واحترام أنفسنا وحرية العقيدة هي أساس دساتيرنا وقوانيننا، والهدف من نضالنا هو محاربة الجهل والخرافة والمعتقدات الباطلة وكل أنواع التعصب، ونحن نوقر الفضيلة والحق والعدالة والحكمة العقلية والعلم والثقافة».

وإن ما جاءت به حركات النهضة والإصلاح في أوروبا كان بمثابة الأساس العملي للماسونية المتطورة في معلم علماني، حيث ظهرت في هذا المعلم أصداء فكرية تتجه نحو توضيح

(1) Zühtü Velibeşe, Masonluk Neye Çalışır ? , Güven Mat., Ankara, 1959, s.17

(2) Kemalettin Apak , Ana çizgileriyle Türkiyede Masonluk Tarihi , İstanbul , 1958, s.298)Adı geçen kitap, M Ertuğrul Düzdağın Türk Masonları nın Gizli Tarihi , CihT Yy., İstanbul, 1977 isimli kitabın tam metin olarak yayınlanan İek İ bölümünde yer almış ve oradan faydalanmıştır

(3) Naudon: masonluk .S.50 – 51

معنى الحياة والإنسان والكون والله، والعلمانية تعني صبغ الحياة بالصبغة الدنيوية الخالصة، وأن الإيمان بالآخرة كأساس لتنظيم حياة الفرد والمجتمع يصطدم ولا جرم مع الأديان، وفي هذا الصدام قدمت الماسونية النزاع والحرب المستعرة المستلهمة من العلمانية، ومن أعظم المشكلات في هذا السبيل أن الماسونية مهدت السبيل لأفكار مثل العقيدة الإلهية بكل الأديان الإلهية والإلحاد الذي يعيش في مضمار الدين، أو أن يكون شيئًا يعيش بنفسه بمنأى عن الدين وقائمًا برأسه ليس إلا.

الماسونية والدين

كانت الماسونية العملية هي الحالة الأولى التي كانت عليها، وكانت تسعى إلى إنشاء اتحاد حرفي لكل عمال البناء والتشييد، وكانت اجتماعاتها تصطبغ بالصبغة الدينية، وكل ماسوني ينتمي إلى الدين الذي يؤمن به وينفذ أوامره ونواهيه، ولهذا السبب فإن أول مؤسسة للماسون كانت تطلق على الماسونية اسم الماسونية الدوغماتية، ولما اتخذت الماسونية الحديثة العقل والعلم أساسًا لتوضيح الكون والحياة والأحداث، تغير اعتقادها بالله ونظرتها إلى الأديان، ولما نظرت الماسونية بعين التعصب إلى الأسس العقائدية للأديان المعتمدة على أساس الوحي الإلهي نتيجة لعدم إيمانها بالأشياء التي يرفضها العقل والعلم وحرية التفكير، فإنها سرعان ما خلفت تأثيرات قوية في هذا السبيل، مثل الإلحاد، وأنها عدو الدين ولا تعرف الله.

الأجوبة على مزاعم الإلحاد وعدم معرفة الله كما وردت في الوثائق الماسونية: كانت تهمة الإلحاد والكفر بالله من أكثر التهم التي تعرض لها الماسون بصفة مستمرة في المجتمع، ولهذا السبب فإن الماسون فقدوا اعتبارهم ونشأتهم في المجتمعات، وتعرضوا لعقوبات ومضايقات، ولما شرعوا يدافعون عن أنفسهم انطلقوا أول الأمر بالرد على معارضيهم بالوثائق الماسونية، وقدموا من أجل كل هذا أمثلة مقتبسة من قانون آندرسون الذي يعد أول دستور للماسونية الفكرية التأملية، وحاولوا في ردودهم إثبات ما يؤكد إيمانهم بالله.[1] وها هو ذا نص قانون آندرسون فيما ورد بشأن المادة رقم ١ التي تحمل عنوان الموضوعات المتعلقة بالله والدين: «ثمة ماسوني واحد مضطر إلى اتباع قانون أخلاقي موجود في داخله وقرارة نفسه، ولو أن الماسوني فهم الفن العظيم حق الفهم لما عرف إلهًا، ولما كان مُلحدًا ولا مستقلًّا من الناحية الروحية، وإذا كان الماسون في العصور الماضية قد استمسكوا باتباع أي دين خاص بالأمة والدولة التي يعيشون فيها، فرغم أنهم تركوا الاقتناع الشخصي بكل شخص، فإنهم أدركوا أن ضرورة اتباع ماسوني تتبناه الإنسانية جمعاء ومهما يكن شكل العقيدة التي تبين اسم هذا الدين وماهيته، فإنه

(1) Naudon ,Masonluk,s50 -51

سيكون من المناسب الاهتمام بالعقيدة وشرف الإنسان وكرامته وعزته وأريحيته، وبهذه الصورة أصبحت الماسونية مركزًا للوحدة والمعية، ووسيلة تحقيق الصداقة بين الأشخاص الذين ظلوا بمنأى عن بعضهم بعضا.[١]

وفي أعقاب قانون آندرسون ظهرت تعبيرات تبوأت مكانة في البيانات التي نشرت في ختام الاجتماعات الماسونية التي عقدت في كثير من المحافل الدولية، ومن هذه التعبيرات على سبيل المثال ما يتصل بالإيمان بوجود الله وسرمدية الروح، ومن المبادئ الأساسية للجمعية الكبرى للماسون الذين تمتعوا بالحرية المطلقة في تركيا: «إن الماسونية الحرة تقبل بأن ثمة وجود سامٍ يسمى المهندس المعماري[٢] العظيم للكون، كما أنها توافق على ما يسمى أبدية الروح وخلودها».[٣]

«وقد رود في القانون التنظيمي للجمعية الماسونية التركية أنها تركت المفاهيم الميتافيزيقية للماسونية إلى تقدير أعضاء الجمعية وتقويمهم[٤]، ولم تتفوه برأي جازم في البحث في مسألة العقائد».[٥]

الأفكار الشخصية للماسون: «يمكن الحديث عن الأفكار الشخصية للماسونية فيما ورد في الرد على مزاعمهم فيما يتعلق بمسألة الإلحاد وإنكار وجود الله، ويبين هذا Paul Nuudon الذي يقول إنه رغم قبول الماسونية بوجود الله، فإن هذا الإله لم يولد، ويوجب المنطق حينئذٍ أنه لا سبيل إلى معرفة هذه القوة، ولا سبيل كذلك إلى تحديد أوصافها».[٦]

ويقول أنور تجدن أجه ران: «إن الماسونية هي مؤسسة تناقض الدين وتعارضه منذ زمن قديم وحتى الوقت الراهن، وثمة إشاعات كثيرة تدور حول شكل الديانة الخاصة بها، ولا نرى في هذا الصدد ضرورة أن نوضح بصورة مهمة وجود هذه الماسونية في مجتمعنا مستترة تحت نية خبيثة، والغاية المبتغاة من وراء وجودها عندنا، ونحن نجد أنفسنا لا نملك معلومات

(1) İlhami Sosyal , Türkiye , de ve Dünya , da masonluk ve Masonlar , Der Yy , İstanbul , 1987 , s , 406

(2) Kainatın Ulu Mimarı: İskoç Ritine Mensup masonların Allah mefhumuna verdiği isim , Zoletti , s , 25)

(3) Masonluğun Temel Prensipleri , s , 7

(4) Doktrin=Akaid , Hayat ve Kainatı izah eden fikirdir

(5) Sosyal .s . 417

(6) Naudon –Boucher . s. 62

كافية بشأن بنية الماسونية وغايتها أكثر من هذه الأسباب التي أسلفنا القول فيها».

كانت الماسونية على النقيض من ذلك، إذ كانت تريد بجلاء تام الارتباط بأية علاقة دينية وعقائدية، شريطة ألا تكون معارضة للأخلاق المألوفة للوجود الإنساني، وكانت الماسونية في الوقت نفسه لا ترى أي فرق بين كل العقائد والديانات، ولا تقارن بينها».[١]

إن الماسونية هي مؤسسة عقلانية تقدمية وديمقراطية حرة ومتحضرة غربية.، كما أنها لا تهتم بالعقيدة الدوغمائية، وهي ضد الأحكام المسبقة التي تدعو للغلو، ولكنها غير دينية، ولا تؤمن بالله، ولم ينضم إلى المجتمع الماسوني أولئك الأشخاص الذين لم يؤسسوا تأسيسًا عقائديًّا، وهي تقبل بالكتب المقدسة باعتبارها المصدر الرئيس للأخلاق الشخصية السامية الرفيعة».[٢]

«الماسونية ضد مفهومين اثنين، أحدهما: المفهوم الدينى المتعصب المرتبط بعقيدة على غير بصيرة، وتتصف بالصفة الدوغمائية، والآخر: إنها ضد المفهوم المادى للعلوم التجريبية في دائرة التعصب الدوغمائي، ويشترط في الماسونية المتسقة المنتظمة[٣] أن تقبل الماسونية التي تؤمن

(1) Egeran .s 116

(٢) المؤلف السابق ، ص. ١٨٢

(٣) استخدم تعبير (الماسونية المنتظمة وغير المنتظمة) من أجل إظهار تمزيق الماسونية العالمية وتشتت شملها، وكانت الماسونية الفرنسية هي مصدر هذا الوضع الذي آلت إليه الماسونية. أما الجمعية الماسونية الفرنسية الكبرى، فهي التي أظهرت تعبير (المهندس المعماري العظيم للكائنات) الذي يتبوأ منزلة بين ثنايا المبادئ الأساسية، وذلك في الاجتماع العام الذي عقده الماسونيون الفرنسيون في عام ١٨٧٧م، وأصبح الأساس عند الدخول في الماسونية الوفاء بالوعد للشرف ليحل محل الكتب المقدسة، وهذا واضح بجلاء في الأيمان التي يحلفونها عند الدخول في الماسونية، ولهذا سُمِّيَت الماسونية الفرنسية باسم الماسونية غير المنتظمة.

(Naudon: Masonluk: s.98. Cem .s, 9, Türk Ansiklopedisi Mason Maddesi .C:23.s.322)

ولما أضافت الماسونية الفرنسية من جديد تعبير المهندس المعماري العظيم للكائنات في عام ١٩١٠م إلى المبادىء الأساسية، وطدت العلاقات مرة أخرى مع الماسونية الإنجليزية Naudon: Masonluk: s.99 وكانت الماسونية الفرنسية من أشهر ضروب الماسونية إلحادًا وإنكارًا لله بين ثنايا الماسونية العالمية، أما الماسونية الإنجليزية فوصُفت بأنها أقرب ضروب الماسونية إلى الأديان، وتفيد كتابات Paul dummont أن الماسونية الفرنسية دخلت شكلها الإلحادي إلى تركيا، ويجب أن نضع خطًا تحت هذه النقطة، إذ إن المنظمة الماسونية الفرنسية الكبرى قد واجهت صعوبات كبيرة بسبب جهودها الحثيثة ضد الأديان، وإذا كان الشخص الذي يدعى Obediyams قد تصرف تصرفًا شديد الإلحاد، فإنه كان يفكر في إمكان الحصول على نتيجة طيبة من وراء هذا، وثمة كثير والعثمانيون اقتفوا أثرهذه الشخصية المتميزة، وكانوا أعضاء في إحدى الجمعيات الماسونية التابعة لهذا الشخص .

بوجود المهندس المعماري للكائنات، وسرمدية الروح».[١]

«لم تحاول الماسونية أن تلغي الفوارق الموجودة في الحياة الاجتماعية عن طريق التدخل في العلاقات المتعلقة بالدين والدولة والأسرة، ولا شك أن الماسونية لم تجمع أصلًا بين ضرب من الإدارة الحكومية أو الدين أو نظام فلسفي، وكان أساس التعليمات عندها دائمًا يتمثل في حرية الفكر، والبحث عن أفضل ضروب الحقيقة وأكثرها اتساقًا وانتظامًا»[٢].

«وإذا غضضنا الطرف عن مناهضة المبادئ الماسونية للإسلام، فإن هذا يبين شيئًا آخر في هذا السبيل. فالماسونية تولي اهتمامًا بالغًا للعقل والعلم والمعرفة، ولا تعرف وسيلة بين العبد والله. وإن المساواة التي علّمها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طوال حياته كانت دائمًا تطبيقًا لمبادئ الحرية والعدالة، وتحمل فلسفة من الوحي أنزلها الله إلى الناس ونشرها بين ظهرانيهم. ولم تضطلع الماسونية بالتفرقة بين الأديان، بل وحّدت كل المتدينين وألفت بين قلوبهم في دولة واحدة، وجمعتهم على مبدأ وجود الله ووحدانيته. واتخذت من الأخوة مبدًا أساسيًا لها. وهي تؤمن بحياة ما بعد الموت حتى قيام الساعة».[٣].

الذين يرون الماسونية ملحدة ومنكرة لوجود الله:

كان الجنرال جودت رفعت آتيلهان ممن وجهوا اتهامات مقذعة إلى الماسون في تركيا، وكتب عدة كتب اتهم فيها هؤلاء الماسون بتحطيم الإسلام والعنصر التركي والقضاء عليه قضاءً مبرمًا. وقال عنهم إنهم ملحدون ويهود وشيوعيون[٤]. ثم أردف يقول: «إن

(١) استخدم تعبير (الماسونية المنتظمة وغير المنتظمة) من أجل إظهار تمزيق الماسونية العالمية وتشتت شملها، وكانت الماسونية الفرنسية هي مصدر هذا الوضع الذي آلت إليه الماسونية. أما الجمعية الماسونية الفرنسية الكبرى، فهي التي أظهرت تعبير (المهندس المعماري العظيم للكائنات) الذي يتبوأ منزلة بين ثنايا المبادئ الأساسية، وذلك في الاجتماع العام الذي عقده الماسونيون الفرنسيون في عام ١٨٧٧م، وأصبح الأساس عند الدخول في الماسونية الوفاء بالوعد للشرف ليحل محل الكتب المقدسة، وهذا واضح بجلاء في الأيمان التي يحلفونها عند الدخول في الماسونية، ولهذا سُمِّيَت الماسونية الفرنسية باسم الماسونية غير المنتظمة.
(Naudon: Masonluk: s.98. Cem .s,9, Türk Ansiklopedisi Mason Maddesi .C:23.s.322)

(٢) المؤلف السابق . ص، ١١٤

(3) Sabahattin Arıç ,Masonların Dünyası , Tekin Y , evi ,İstanbul , 1966, s,92-93 Macit Erbudak , Sahir Erman , Mukbil Gökdoğan , Hayrullah Ör ,Ziya Umar , Masonluk Üzerine , yenilik B,evi ,İstanbul , 1976,s,16,dan)

(4) Cevat Rifat Atilhan , Masonluk Nedir ? Tarihte ve Günümüzde Masonluk , Aykurt Neşriyat,İstanbul , 1972,s,50-52

اليهودية اليوم تمضي قدمًا إلى الأمام في شكل دين جديد يومًا بعد يوم في دولتنا. إنها تريد نشر التفسير الصوفي الأسطوري للتوراة والعقائد الرجعية الباطلة، منتهزة شتى الفرص المواتية لنشر التزييف والتحريف. وهي تقذف الرعب في قلوبنا، محطمة كل المقدسات التي تخصنا».[1] والشغل الشاغل لليهودية هو أن تنصب الأحابيل لتوقع فيها المثقفين ورجال الأعمال والأغنياء الموسرين. وهذا الدين اليهودي الباطل المفسد يتدثر بقناع من الخير والفضيلة والإنسانية والحرية وكثير من الأشياء الطيبة الحسنة، ويرى أن المنتسبين إليه أحق بكل هذه النعم التي لا تُحصى، ولا يدع الفقراء والمساكين يقتربون من هذه الأشياء.

كانت اليهودية تريد تحطيم كل معنوياتنا وجعلنا أسرى لليهود بفضل هذه العقيدة الباطلة. ومن ثم، أوجدت الفرص السانحة من أجل أن تستر عيبها وتواري هدفها، كما كانت تريد أن تخنق أصواتنا داخل هذه الجلبة اليهودية وتترك أثرها الرجعي على أطهر الأحاسيس والأفعال.

إنها ترفع عقيرتها بالصياح، ونحن صامتون. إنهم رجعيون، ولا قِبل لنا بالدفاع عن أنفسنا. إنهم يبذلون قصارى جهدهم ووسعهم من أجل إخفاء هويتنا وطمس ذاتيتنا ونشر دينهم الرجعي.[2]

«الماسونية تعني الإلحاد. ونحن نوافق على ما يقوله الماسون بشأن كل الأديان، فهم يقولون ما يقولون من أجل نشر فكرهم الديني في كل حدب وصوب، وأنهم أسمى وأعلى منزلة من كل دين. والماسوني عدو لدود لله ولكل قوة وكل فضيلة، ولا سيما أنهم لا قِبل لهم بالهيمنة والاستحواذ على الروحانيين. ويوجد إله واحد من أجل اليهود. في المنفعة الانتهازية ليس إلا».[3]

وأنتم يمكن أن تشعروا بهذا من العاطفة المشبوبة والمشاركة الوجدانية نحو الماسونية أو من أحد الغافلين الذين ينخدعون بمظهرهم وهيئتهم. والماسون لا يُدرجون من لا يؤمن بالله بين ثناياهم. ومن ثم، يمكن أن يكون الماسوني منتسبًا إلى كل دين ومحافظًا على عقيدته التي يؤمن بها، وهذا كذب عظيم مفتأت دون خجل أو حياء. إذ إن الماسون لا يعرفون الدين، وعندما

(1) Kabbala. Tevrat , ın Mistik tefsiri , tasavvuf kitabı dır , Hayata seküler bir bakış açısı ile baktığı için masonlar tarafından itibar görmüştür

(2) Atilhan , Masonluk Nedir ? , s 83 – 84

(3) cem .s.27

نتعقب خط سير التاريخ، فإنه يتبين لنا من خلال البحث والتمحيص كيف أن الماسونية لا تؤمن بنبي أو دين.

وننقل في هذا السياق طرفًا مما كتبه أحد الكُتّاب الأجانب ويدعى Rogriguze Deşil، الذي يتحدث عن دستور الجمعية الماسونية، فيقول:

«إن الماسونية لا تعترف بدساتير الدول وقوانينها، ولا تعبأ بالأديان الموجودة في العالم. ويجب على الماسونية بسبب مكانتها السامية أن تخدم الأفضلية السياسية والدينية لأعضائها. ولهذا السبب بات محظورًا فتح باب الجدل والنقاش فيما يتعلق بهذه الموضوعات في الاجتماعات. والماسونية تقدم خدمة جليلة، وفي درجة متساوية، للأفكار السياسية والعقائدية لأعضائها».

وها هو ذا الكاتب Rogriguze يتحدث عن هذه الأشياء محللًا إياها فيقول: «رغم وجود مواد في الدستور الماسوني تتعلق بالدين، فلا جرم أنها لا قيمة لها البتة، وهذا يعني أنها تضمن خلاف المتفوه بها».[1] ويمعن Rogriguze النظر في أخلاق الماسونية ويقول: «إن الماسونية ترى أن كل طريق يوصل إلى النتيجة المرجوة مشروع، أي أن الغاية تبرر الوسيلة».[2]

نماذج مما نشره الماسون:

نقل المناهضون للماسونية والمعارضون لها المعلومات الآتية من المصادر الماسونية المتباينة، موثقين مزاعمهم التي سلف ذكرها: «يجب أن يكون التعليم قبل كل شيء متحررًا من العقائد الروحانية والدينية. وقد دعت المنظمة الماسونية الكبرى المجلس الفيدرالي لاتخاذ كل التدابير اللازمة من أجل الدفاع عن العلمانية، التي أصبحت الوجه الحقيقي للجمهورية التركية، ومنع الخطر العظيم الذي تتعرض له. أما نحن، فنرى أن وجود تربية أخلاقية مناسبة شرط من أجل المنافسة مع الأخلاق الدينية والتربية الحسنة.

تقول الماسونية: «إننا لا نستطيع قبول الله هدفًا وغاية منشودة لنا. فلقد أسسنا فكرة مثالية، والله ليس هو الإنسانية. ومن ثم، فإن نور الماسونية ما هو إلا نموذج مجسم للإنسانية التي تمشي

(1) Gün -Çeliker , s, 112

(2) Caro Y.Rogriguez, Dünya Siyasetinin Perde Arkasındaki Güç Tarih Boyunca masonluk , Çev, H, Yüncü , Kayıhan Yy, İstanbul , 1999, s, 88

وتمضي قدمًا إلى الطريق المستقيم. ويجب أن نوجه جهودنا ومساعينا دائمًا من أجل بقاء الفكر الإنساني حرًا طليقًا. كما يجب علينا أن نشكل سدًا اجتماعيًا علمانيًا في مواجهة كل حركات الظلم والتخلف والرجعية».[١]

" لزام علينا أن نخوض حربا مع الأديان دون أدنى تردد. لأن هذه الأديان هي العدو الحقيقى للإنسانية، كما أن هذه الأديان كانت السبب للصراعات والنزاعات بين الأفراد والأمم والجماعات الإنسانية طوال الدهور والأحقاب ".

«لزام علينا يا إخوتنا أن نناضل ونكافح بكل ما أوتينا من قوة من أجل تنفيذ حكم الإعدام في طائفة من القوانين الاجتماعية ونقضي عليها قضاءً مبرمًا».

«لقد حان الوقت لكي نضع نهاية حتمية للهيمنة المطلقة التي فرضها رجال الدين حول العالم بأسره. وأن القضاء على الأديان واستئصال شأفتها هي غايتنا قبل كل شيء».[٢]

«لا سبيل إلى قبول الأشخاص المتدينين في الجمعيات والمنظمات الماسونية. ومن ثم يجب على كل إنسان جديد يلتحق بهذه المنظمات أن يكون قبل كل شيء رجلًا ذا فكر حر. والماسوني الحقيقي لا يمكن أن يكون متدينًا بأي حال من الأحوال البتة».[٣]

«لا سبيل إلى تصور مذهب ماسوني خارج عن إطار حرية العقيدة لأن هذا المبدأ يوحي بالعداوة من الماسونية تجاه الدين لأن الدين يعارض حرية العقيدة».[٤]

«إن الغاية من وجود الماسونية هو خوض صراع مع الجمعيات المستبدة للزمن المنصرم. وإن الماسون يقاتلون في الصفوف الأولى من أجل تحقيق هذه الغاية المنشودة. لأن الماسونية هي التنظيم الوحيد الذي يقف ضد الدين والأعراف والتقاليد الموروثة».[٥]

«ليس كافيًا الانتصار على المتدينين ودور العبادة. وهدفنا الحقيقي هو القضاء على الأديان

(١) المؤلف السابق ص ١٧٠

(2) A.G.Mason Diktatörlüğü ,Çev –Eski bir sefir , ihaye Yy ,İstanbul , 1976 ,s, 70 Fransız Maşrık –ı Azamlığı ,nın İçtimai Zabıtları , 1923 ,s, 17 , den

(3) Cem .s.89 –Fransız Büyük Locası Bülteni , 1922 ,s, 198 ,den

(4) Cem .s.89 –Fransız Büyük Mason Meclisi Zabıtları , 1893 ,s, 54 ,den

(5) Cem .s.89 –Fransız Maşrık –ı Azamlığı ,nın İçtimai Zabıtlarından , 1922 ,s, 389 ,den

واجتثاث جذورها».[١]

«إن النضـال ضد الدين سـوف يتحقق بعد فصل الدين عن الدولـة».[٢] «إن عبدة الأوثان ورجـال الديـن الذين يحاولون إقناع الناس بوجود علاقات لهـم مع الله، وثمة زمرة أخرى من عبـدة الأوثـان والمسـتغرقين في الخيـال يـرون أن الله هو المبدع الخـلاق، وثمة طائفـة من عبدة الأوثـان من الفلاسـفة ممن يلعبون لعبـة الدامة المربعات وهم من الماديين دون أن يعرفوا شـيئًا عن المادة، وهؤلاء يصفون الله بصفات خاصة بالبشر فهو قهار عادل قادر لطيف بصير سميع، وثمـة ثلة أخرى من عبدة الأوثان يتميزون بصفاء القلب والسريرة ويعبدون الله بطريقة تصبغ الأشياء بالصبغة الإنسانية الخالصة».[٣]

«إن كفـر الكافـر وثواب المتديـن لا يجعلوننا نهتم بالجنة والنار، ونقول إذا ظهر من يشـتغل بالدين فهذا شيء سـوف تعرفه يا أخي عند هؤلاء ولا نسـتطيع أن نضع شـيئًا يحول بيننا وبين الله، وإذا أصر فقل له أرجو أن تتركنا إلى حال سبيلنا».[٤]

الماسونية والكنيسة:

لم تكتفِ الماسـونية في عام ١٩٠٠م بالنضال ضد نفوذ الكنيسـة فحسـب، بل سـعت سعيًا حثيثًـا حتـى تسـتولي من يدها على السـلطة المطلقة التي كانت تسـتخدمها في ارتـكاب القبائح وكأنها وسيلة من وسائل العدوان.

وهـذا يعني أن الماسـونية هي دين ومذهب ووسـيلة تسـتخدم من أجـل إخضاع الطوائف والجماعات الكنسية وتخريب هذه الكنائس والقضاء عليها قضاءً مبرمًا.[٥]

«ولقد اضطر الماسون كلهم في عام ١٩٠٠م إلى خوض الصراع مع العدو المشترك، وكانت البابوية هي العدو الذي يجب تحطيمه والقضاء عليه».[٦]

(1) Cem .s.89.(Akasya Dergisi, 1902, s8 den

(2) At'lhan .s.28 Beynelmilel Mason Kongresi Rehberi , 1900, s, 102den

(٣) المؤلف السابق ص ٢٨ Akasya Dergisi, 1903, s860 den

(٤) المؤلف السابق ص ٢٩ – ٣٠ جريدة ترك ماسون العدد الأول ص. من ٤٥

(٥) المؤلف السابق ص ٢٠ جريدة بيوك شرقي ص . من ٣٩

(6) Mıchel , s, 55, Milletlerarası Paris Kongresi , s102den

«وفي عام ١٩٠٤م كانت توجد طائفة من الرهبان تعادي القوى المدنية وتقف ضدها في كل الدول اللاتينية. وكان النضال ضد البابوية ضرورة اجتماعية. وكان هذا يمثل مهمة مستمرة عند الماسونية».[١]

«أما الكاثوليكية فيجب علينا نحن الماسون أن نؤكد القضاء عليها قضاء تامًا».[٢]

الحرمان الكنسي الذي فرضه البابوات على الماسونية:

فرض البابوات والزعماء الدينيون الكاثوليك الحرمان الكنسي على الماسونية التي وجدوا أنها تعارض مبادئ الكنيسة الكاثوليكية.

ولقد حاولت الماسونية الخروج من حياة الفرد والمجتمع بسبب شخصيتها العلمانية، وكانت طوال التاريخ في صدام مستمر مع الأديان التي تريد الهيمنة على الأسس والمبادئ الدينية في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء.

فرض البابا جلميتوس الثالث عشر الحرمان الكنسي لأول مرة على الماسونية في عام ١٧٣٨م.[٣] وظهرت تأثيرات هذا الحرمان الكنسي في كل من فلورنسا والبندقية وساردونيا وبولونيا وإسبانيا والبرتغال. وانتقلت طائفة منهم إلى المذهبين البروتستاني والأرثوذكسي ممن أرادوا إنقاذ أنفسهم من هذا الحرمان الكنسي.[٤] وقد أُسست محاكم التفتيش من أجل محاكمة الماسون في كل من إسبانيا والبرتغال بين عامي ١٧٤٢ -١٧٤٤م. وتعرض هؤلاء الماسون لصنوف التعذيب والاضطهاد وعوقبوا بالأشغال الشاقة.[٥]

وفي أعقاب الحرمان الكنسي الذي فُرض على الماسونية في عام ١٧٣٨م جاء كل من البابا بنه دكتيوس XIV عام ١٧٥١م والبابا بيوس عام ١٨٦٥م والبابا ليون الثالث عشر في عام ١٨٨٤م وفرضوا جميعًا الحرمان الكنسي على الماسون. وكانت العقلانية والطبيعة من أسس

(١) المؤلف السابق . ص. ١٢٤

(٢) المؤلف السابق . ص. ١٢٤

(3) Rogriguez ,s,89 , Fransa Büyük Şark Locası , Eylül 1885

(4) Naudon .Masonluk s . 107

(5) Arıç , s, 89 Naudon , Masonluk ,s 109

مذاهب الماسون وكانت في مقدمة الضرورات التي فرضت الحرمان الكنسي عليهم، وكانت الماسونية تتدثر بسلوك سلبي يسمى نحن نرفض الدين.[١] وقد فرض البطاركة وزعماء الدين الأرثوذكس الحرمان الكنسي على الماسون.[٢]

هل الماسونية دين؟ وما هو مفهوم المهندس المعماري العظيم للكائنات؟

إذا أمعن النظر إلى الجبهة التي شكلتها الماسونية ضد الأديان وإلى الحرمان الكنسي الذي تعرضوا له، فإن مسألة هل للماسونية دين أم لا كانت موضوع جدل مستمر. فمنهم من يقول إن الماسونية دين أو مذهب أو طريقة، ومن الباحثين من يرى أن الماسونية ليست واحدة من هؤلاء جميعًا. وكان الباحث Stephan Knigh قد كتب كتابه والتقى بالماسون ولم يكن ماسونيًا، ثم يميط اللثام عن أفكاره في هذا الموضوع فيقول: «إن الماسونية هي جمعية مشكلة من أجل مساعدة المنفعة المادية فيما بينها، كما كانت نظامًا فلسفيًا ودينيًا وصوفيًا. وبعض الماسون يسلمون بأن الماسونية دين، والبعض الآخر يرونها مصدرًا للمنفعة المادية ليس إلا. بيد أن الأغلبية يجمعون بين هاتين الفكرتين».[٣] وكتب الماسوني سلامى ايشين داغ يقول: وكتب الماسوني سلامى إيشين داغ يقول: «إن الماسونية لا يمكن أن تلجأ داخل حدود دينية ضيقة. بل هي تشمل الكون برمته. وتجمع كل الأديان في صدرها. وتمحو الفوارق الدينية والمذهبية والعرقية، وهي دين كلي يسمو فوق الأديان».[٤] « «وإن الماسوني الجيد الحسن هو الذي يبلغ أشده ويستوي في سن متقدمة، ويشعر أن الدين ما هو إلا أمشاج مختلطة من العلم والفضيلة كليهما ويدرك أن الماسونية هي أكمل وأتم شعور ديني. وتعرف أنها تريد أن تجذب مريديها إلى مذهبها رويدًا رويدًا».

وها هو ذا الماسوني مصطفى سقاريا يتحدث عن الماسونية في أحد المؤتمرات فيقول إن مفهوم الدين عند الماسونية مفهوم اختياري بالنسبة لمفهوم الديانات الأخرى وبهذه الوسيلة يمكن الوقوف على ما يوصل إلى الدين الحقيقي، ثم يقول مصطفى سقاريا: «لماذا كان من الضروري

(1) Naudon .Masonluk s . 109

(٢) المؤلف السابق ص . ١٠٩

(3) Orhan Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar , s, 20 – 25

(4) Stephen Knıght , Biraderlik , Masonların Gizli Dünyası , Çev , K, Çiftçi Boğaziçi Yy , İstanbul , 1966, s, 22, 23

الحديث عن الحب والأخوة والكنيسة والأديان والموضوعات الدينية أكثر من كل الأشياء التي اضطلعت بها الماسونية؟ وقد اضطرت الماسونية إلى ألا تنفصم عشوائيًا عن المبادئ والأسس التي أمر بها هذا الدين والمدونة في الكتاب وظلت مدة من الدهر مرتبطة ارتباطًا وثيق العُرى بكل الأديان. لقد كانت الماسونية على النقيض من كل الأديان لأنها أعطت للفرد حرية التطبيق والتفسير الحر غير المقيد في الشكل الذي يدرك ويعي به مفاهيم المجتمع الذي يرتبط به وينتمي إليه. وإذا كانت الماسونية تتضمن هذا الاضطرار في أول الأمر فإنه يوجد فيها الإذن بالتفسير الحر لحرية الفكر، وإن هذه الملاحظة قد ظهرت من تلقاء نفسها وأصبحت ضرورة من أجل الشعور بالأخوة عند الماسونية رغم وجود الكنيسة.[1]

وينضم الأستاذ آيقوت يازجان إلى دائرة الجدل والمناقشة التي دارت حول تحديد ماهية الماسونية أهي دين أو مذهب أو طريقة؟ وقد انفصل أيقوت عن الماسونية عندما تجاوزت حدودها وبلغت درجة الغلو والطغيان ثم يقول: «إن الماسونية ليست دينًا ولا طريقة ولا عقيدة، بل هي نظام ليس إلا والماسون يقولون إن على كل الأديان والعقائد أن تبلغ الأريحية والفضل والصلاح ولا يوجد في الماسونية شيء من هذه الفضائل البتة. والماسونية هي طريقة من طرائق الحياة ربما كانت ضربًا من الجدل والسفسطة، ويمكن قبولها على هذه الصفة. وعلى حين تدافع الماسونية عن الشكوك التي تدور حول كونها دينًا أو غير دين فإن هناك جدلًا واسعًا مستمرًا يدور حول تعبير المهندس المعماري العظيم للكائنات، والذي تبوأ مكانة مهمة في الأسس والمبادئ العامة للماسون، ودار حديثهم عن أن لهم إلهًا آخر يختلف اختلافًا تامًا عن الآلهة الموجودة في الديانات الكبرى. إن الماسونية هي مؤسسة دينية تريد إماطة اللثام عن كل الأشياء المجهولة الخفية عن طريق ذكاء الإنسان والكائنات التي تحيط بنا وفق التعبير الهندسي لهؤلاء الماسون وهذا التعبير لا يعني الله الذي يفهمه أي دين ويدركه.

وإن مفهوم الله عند أي مسلم ليس هو بعينه الموجود عند الماسوني.[2]

(1) Selami Işındağ , Din Açısından Mason öğretisi ,Akasya Tekamül Mahfili Yy,İstanbul , 1964,s,326) Mıchel ,kitabın ekinde yayınlanmıştır , Oradan faydalanıldı)) Mıchel kitabın ekinde yayınlanmıştır ,oradan faydalandı

(2) Selami Işındağ , Mason Diyalog ,Akasya Tekamül Mahfili Yy,İstanbul , 1964,s,19

«مـا هي الغاية المنشـودة من المذهب الماسـوني؟ وما هو شـكل الإله الـذي يعبدونه؟ وهل هـذا الإلـه إنسـان مصطبغ بالصبغـة الوثنية؟ أم هو الشـمس التـي ترمز لأكمل قـوى الطبيعة وأحسـنها؟ أم هـو شـيطان. أجـل إن كل هذه الأشـياء هـي الآلهة الموجـودة عند الماسـونية».

«لقد اعتادت الماسـونية أن تنادي صنمها بالمهندس المعـماري العظيم للكائنات. وليس ثمة تشابه أو تقارب بين إله الماسونية وبين الحق سبحانه وتعالى الذي نعبده».[1]

ويقول روجريجبوز Rogriguez إن المهندس المعماري العظيم للكائنات يمكن أن يكون هو إله الطبيعة. ثم يردف قائلًا: «إن الشمس التي هي موضوع الحديث التي نمت ونشأت الأرض وما عليها، وقدمت ها هنا باعتبارها أعظم قوة مؤثرة لتغذية وتكاثر الكائنات الحية الأخرى».

ومن ثم فإن الشمس عند من يعبدون الطبيعة تمثل إلهة الطبيعة التي يعبدها الماسون بصورة وحشية، وهي رمز لهذه الطبيعة.

وقد عُبر عن هذا بشتى الرموز لعبادة الشمس والطبيعة في الطقوس والشعائر التي أصبحت عادة مألوفة في المنظمات والجمعيات الماسونية.[2]

وعلى حين تهتم الماسونية الأمريكية بأن الله يمكن أن يكون هو الذكر والأنثى اللذين ينتشران ويتكاثران ثم يستقران ويتبوءان منزلة مهمة، فإن هناك ثلة من هؤلاء الماسون يرون الشيطان إلهًا، "ويرى بعض الكتاب الماسون أن الشيطان هو ملك جهنم باسم آخر، وهو الذي علم الإنسان سر ألوهية الجنس البشري عن طريق تعذيب شهوة حواء واشتركت حواء مع آدم في هذا السر.

كيف يتسـنى لمن يعبدون إله الطبيعة أن يدفعوا مقابل الخير والأريحية التي يفعلهما الشيطان للجنس البشري؟

أمـا Serge Hutin مؤلـف كتاب الجمعيات السرية» فيقول إن هدف الماسـونية يتمثل في هدم المسجد الأقصى في القدس وتأسيس المعبد الكبير أو معبد سليمان وأن تأسيس هذه الجمعية موافق تمامًا للمبادئ الواقعية المعقولة من أجل تحقيق التطور التام المتقن للإنسانية جمعاء.

(1) Dr Mustafa Sakarya , Masonluk Hakında Mücmel Fikirler , Masonluk ve Menşei ile Bugünkü Tatbikatı , Bilgi Mat ,İzmir 1952,s,11

(2) Aksyon Dergisi , 5 Ağustos 2000,Sayı ,296,s,17

ويجب أن تكون جهود البشر ومساعيهم داخلة في إطار نظم الطبيعة متبعة أوامر المبدع الخلاق العظيم للكائنات. وتفيد مقالات الكاتب Wilermaz أن غاية الماسونية ليست إلا معرفة الإنسان أو الطبيعة فحسب. إن هدف الماسونية يتمثل في ألا تُحطم مؤسساتها وأن تسعى جاهدة من أجل تغيير الأديان وأن تتضمن الأحكام المشتركة لشتى الأديان التجريبية متمسكة بالأخلاق العالمية العاملة التي تسمو فوق الأمم والأعراق والأجناس. ومن ثم فإن الماسونية قد اتخذت شكل الدين الطبيعي داخل إطار كل الأديان القديمة والجديدة التي انقضت من العصور التاريخية، وحاولت أن تنشئ عصرًا ذهبيًا باذلة قصارى جهدها من أجل البحث عن معبد الجنة للإنسانية. ويقول الكاتب مازاروز Mazaroz: إن الماسونية تعني دين الأديان.

ولا يوجد في الدنيا وجود أسمى من الخالق أو المهندس المعماري العظيم للكائنات. وهو ذو قوة مادية شديدة النفوذ والتأثير. ويمكن للناس مشاهدة المظاهر المختلفة لنظام الدنيا وأحوالها. ويزعم فلاسفة الماسون مثل Roze – Groix[1] بعبادة الشمس، وهو يرى أن الشمس ما هي إلا وجود إلهي يعبر عن حياة كائنات ضياء الشمس[2]،كما أنها تهب الحياة الدنيا ممثلة للحق سبحانه وتعالى. أما الإنسان فإنه يتبوأ مكانة متميزة وهي الطبيعة إلى جانب الشمس ومن ثم فالإلهيات تتمثل بذلك الإنسان الذي يحمل الفكرة المثالية للجمال والأريحية والخير والحقيقة وأن الإنسان المفكر صاحب العقل الذي كان يمكن أن يصبغ الوجود بالصبغة الإلهية الخالصة، كما يتسنى له أن يطور الوجود بقدرته وإمكانياته السرمدية اللا متناهية.[3]

ثم يصل روجريجيوز Rogreguze إلى الحكم الذي وصل إليه Preuss الذي أمعن النظر مليًا في الماسونية الأمريكية حيث يقول: "لا شك أن الماسونية دين جديد. ولها محراب خصوصي مدهش عجيب، ولها نظريات غريبة بشأن الخصائص الروحية للإنسان وعلاقاته بخالقه.

وهي في النهاية لها إله منقطع النظير، لا ند له ولا مثيل.

---

(١) هو صاحب جمعية سرية ذات أفكار ماسونية قبل وجود الماسونية في إنجلترا. واتحدت معها عند دخول الماسونية إلى إنجلترا.

(٢) يستخدم الماسون رموز الشمس وإشاراتها بسبب العلاقة التي يشعرون بها تجاه الشمس.

(3) Hutin ,s80 –83

ولا تنحصر خصائص الديانة الماسونية في هذه الاشياء التي أحصيناها، ويمكن أن نضيف إليها أدعيتها ومقدساتها وواجباتها المنوطة بها، وقواعد تطهير الأخوة الماسونية من الذنوب والآثام والألقاب المستخدمة من أجل أن تتبوأ الدرجات العُلى.(١)

وكانت كل هذه الأشياء سببًا في اتهام الماسون بالكفر، وذلك لمخالفتهم أوامر الله والأديان الكبرى، ولكونهم لا دين لهم ولا إله، ولما كان من المتعذر وجود فرد ومجتمع دون عقيدة، فقد فُهم أن هؤلاء الماسون قد أنشؤوا لأنفسهم دينًا خاصًا بهم، وقد ورد في البحوث العلمية الحديثة المتعلقة بالماسون ما يُفيد بأن الماسونية هي دين الإنسانية والطبيعة.

وهذا المفهوم يعني أن خالق الكائنات وفاطرها هو إله واحد الذي صبغ كل المخلوقات بالصبغة الإلهية وهذا ما تسلم به الأديان الكتابية الثلاثة الإسلام والنصرانية واليهودية. وعلى سبيل المثال فإن الشمس التي جرى الحديث حولها تعني عند الماسونية العودة إلى المفهوم الديني لأن الطوائف المتفردة من المخلوقات في المجتمعات التي تسمى بالبدائية كانت تعبد الشمس والقمر والنجوم والماء والتراب والجبل والحيوانات وتصبغها بالصبغة الإلهية الخالصة. أما صبغ الإنسان بالصبغة الإلهية فقد تبوأ مكانة بين هؤلاء البدائيين.

ويفهم من هذا أن مفهوم الدين والله عند الماسونية سوف يظل لغزًا يكتنفه اللبس والغموض، مثله في ذلك مثل الماسونية تمامًا بتمام، ويعزى هذا إلى أن الماسونية لا تعرف الدين(٢)، والله عند من يستمسكون بأداء الصلوات الخمس(٣)، ونحن لا نتدخل في عقائد أعضائنا الذين تبوءوا مكانة في الطقوس والشعائر الماسونية، وهل يُترك كل ماسوني حُرًّا في عقيدته نتيجة للمقولة التي تقول: كل شخص يؤمن بما يريد؟ ورغم أن هذا يُفهم من أول نظرة، فإنه شُنَّ هجوم على هؤلاء الماسون المتعصبين للدوغماتية، بينما كانوا يدرسون الإيمان بالله وبالأديان الكتابية الثلاثة

(١) وهذا هو المعنى من وجهة نظر تاريخ الأديان والحضارات، لا يوجد فرد أو مجتمع دون دين. ولا بد من الإيمان والاعتقاد بشيء ما، وكلما ضعف الدين بتأثير التيارات العلمانية في أوروبا، فإنه يستلهم عقائد في معايير وقواعد دينية، والتى يطبقها الناس وفق عقولهم، ويُسمى هذا الطريقة أو الديانة العلمانية كما تراها الماسونية.
- Rogriguez ,s, 109

(٢) هذه عبارات أيقوت ياز جان، وهو من الماسون السابقين، مجلة الحركة مجلة الحركة ٥ أغسطس عام ٢٠٠٠م، عدد: ٢٩٦ ، ص: ١٧

(٣) ويستخدم الماسون تعبيرًا يقول: «إننا لا نضم إلينا من لا يؤمنون بالله، حتى لا يفصلوا أنفسهم عن المجتمع» .

عـلى وجـه العموم كما يزعم بعض الماسـون، كما قيل إن الذين لا يؤمنون بالنصوص الماسـونية التـي تؤكد أن الدين يُدرك بالعقـل ويُتوصل إليه عن طريق وربما يكون هذا صادرًا من قوة الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء لا يمكن بحال من الأحوال أن يكونوا ماسونيين حقيقيين.

«العقيدة الماسونية»

ظهر كتابان وضعهما أحد الماسون ويدعى "سلامى إيشيداغ" وهما بعنوان "حوار الماسونية" و"الماسونية من زاوية المذهب الديني"، وقد وقف الكاتب في هذين الكتابين على مسألة هل الماسونية دين أو ليست دينًا؟ وثمة طائفة من الماسون يقرون بأن الماسونية دين، أو هي عند البعض الآخر عقيدة تقوم على أسس دينية.

ويفهم من كلام إيشنداغ أن الماسونية دين عقلي أو طبيعي وهي تنظر إلى الله والأديان من هذه الزاوية، ومن ثم فإن الآراء والأفكار التي قدمها فلاسفة الماسونية ومفكروها كانت بمثابة المرشد الهادي في هذا السبيل.

ويُشرح الدين الطبيعي في تاريخ الفلاسفة على النحو الآتي: «إننا نرى أن الدين الطبيعي هو ذلك الدين المستقل عن الأديان التاريخية والخارج عن إطار الصيغ والأشكال والأعراف والتقاليد، وهو الدين الذي نبحث عنه في أواخر عصر النهضة على وجه الخصوص والدين يوجد مستقرا ثابتا راسخا في طبيعة الإنسان. ويطلق على هذا التيار الدين الطبيعي أو الدين العقلاني. وهذا الدين هو محصلة العقل وثمرته وليس وحيًا من عند الله وفق هذا المفهوم الذي توجد جذوره في فلسفة ستوا Staa في العصر القديم، وهذا يعني أنه الدين الذي يوجد بنور العقل ليس إلا».[1]

وقد تبوأت القضايا الآتية مكانة مهمة في المعجم الفلسفي، ولا سيما فيما يتعلق منها بالدين الطبيعي: «لقد ظهرت في الأفكار اليونانية والصينية والهندية بواكير الإيضاحات لمفهوم الدين الموافق للعقل والطبيعة، والذي لا يهتم بالقوى الخارجة عن إطار الطبيعة أو الموجودة فيما وراء الطبيعة، وسرعان ما بدأت هذه الأفكار تظهر مرة أخرى مع عصر النهضة في أوروبا، وإن مفهوم الدين الطبيعي الذي تطور في هذا الاتجاه عقب عصر النهضة قد نقله إلى اقتراح الأديان الجديدة كل من: المفكرين الفرنسيين جان جاك روسو ١٧١٢ -١٧٧٨م وآغسطس

(1) Macit Gökberk , Felsefe Tarihi , Bilgi Y ,evi ,Ankara , 1974,S 212-213

جومت ١٧٩٨ –١٨٥٧م، أما ما اقترحة جومت فيتمثل في وجوب أن يؤسس الدين وفق دين الإنسانية، وأن يسمو فوق الأسباب الإيجابية للدين، ولزامًا عليه أيضًا أن يولي دبره للعقيدة الميتافيزيقية ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وإن مفهوم الدين الطبيعي ما هو إلا تيار يوجد بين ثنايا الممر الموصل بين الألوهية والإلحاد، كما أنه يوضح كُنه عقل الانسان بالمشاعر الجديدة.(١)

وتُعد الـ(٢) peizm أي الاسم الذي يطلق على عقيدة الدين الطبيعي، وتقوم هذه العقيدة على معرفة العقل وليس على معرفة الوحي، ولا يوجد عندها شيء يسمى الخالق أو الخليقة، أما عقيدة الألوهية أو التوحيد فإنها تناقض الـ Dieizm وتخالفها، إذ إنها تعتمد على علم الوحي، كما أنها مذهب يدافع عن وجود الله الذي خلق الكون ووجهه وأدار شؤونه(٣)، وقد اضطلع الماسوني ايشيندغ بشرح مراحل التطور التي طرأت على المذهب الديني عند الماسونية، وذلك بعد أن بيَّن معنى الألوهية والوحدانية وماهية الـ Dieizm.

في مدخل كتابه المسمى حوار الماسونية يقول إيشندغ: «يبين البحث التاريخي في الماسونية أنها تعتمد في عصور تأسيسها على الأسس الدينية الدوغمائية أكثر من الأسس العلمية. ولكن الماسونية مع مرور الوقت تعبر بجلاء عن مبادئها وكيف أنها حررت نفسها من ظهور الأديان. ونستطيع أن نخص طائفة من هذه العناصر العقلية والعلمية التي مُلئت بها أفكارهم. إن ما يعرف عندهم باسم المهندس المعماري العظيم للكائنات هي فكرة مثالية ذات شأن عظيم. والله لا يحظى بأوصاف الإنسان وأن الزعم بوجود علاقة من أي نوع بين الله والإنسان هو ضرب من الوثنية وعبادة الأصنام. وأن تصور قوة تملك قضاء وقدرًا خارج إطار الطبيعة ما هو إلا شيء يتسم بالبدائية. فالله ذو قدرة مطلقة وكمال مطلق وذو وجود سرمدي غير متناه. أما العقل والعلم فهما الأساس المتين للعقيدة الماسونية».(٤)

ويفيد ما كتبه الماسوني اشيندغ أن الماسونية لا ترى فرقًا سياسيًّا أو فلسفيًّا أو قوميًّا أو

(1) Hançerlioğlu ,S 67 –68

(٢) معناها الربوبية: الإيمان بالله بغير اعتقاد بديانات منزلة: وهو مذهب فكري يدعو إلى الإيمان بدين طبيعي مبني على العقل وليس على الوحي، ويؤكد على المناقبية الأخلاقية، مُنكرًا في القرن الثامن عشر تدخل الخالق في نواميس الكون.

(3) Hançerlioğlu ,S 228 –229 ve 302

(4) Işındağ ,Masonluk Diyalog ,S 12

مذهبيًّا أو عرفيًّا أو دينيًّا عند من يدخل في طرقهم ويسلك سبيلهم، ولكن الماسونية تريد بعد ذلك إنشاء حكماء وعلماء يطبقون هذا مع الحكمة والعقل والعلم، والقضاء على كل هذه الفوارق وإزالة كل الاتجاهات التي لا تتفق مع المبدأ الماسوني والعقيدة الماسونية[1]، وهذه الأشياء تقدم في خاتمة المطاف انطباعًا عن الماسونية سوف يصل إلى مفهوم عن هذه العقيدة، وإذا ما أمعنا النظر في هذه العبادات من زاوية نظرية المعرفة[2] عند الماسونية، فإننا سندرك على الفور أن الحكمة والعلم والعقل هي سُبل الحصول على المعرفة والاستحواذ عليها، وإذا تم الحصول على هذه السُبل من زاوية العقيدة الإسلامية، فإن هذا يعنى أن هناك ثلاثة مصادر للمعرفة والعلم من أجل المخلوقين، وتتمثل فيما يأتي:

١ -الحواس الخمس: وهي السمع والبصر والشم والطعم واللمس، وهذه الحواس تشعر وتحس بموجب الوظائف المنوطة بها.

٢ -العقل: والعلم الذي يحصل بالعقل هو علم ضروري حتمي من أول نظرة، وكأن معرفة تمام الشيء وكماله يكون عن طريق معرفة أجزائه الصغيرة، أما العلم الثابت بالدليل فهو علم مُكتسب.

٣ -إن الخبر الصادق الصحيح هو المصدر الثالث للعلم، وهو ينقسم بدوره إلى نوعين اثنين:

(أ) الخبر المتواتر: وهو الخبر الذي ينقله مجتمع من المجتمعات لا يفكر في الإجماع على الكذب، وهذا النوع من الخبر يجب معرفته معرفة ضرورية، ويتضمن معلومات بشأن الحكام والبلاد القاصية التي تعيش في الأزمنة الموغلة في القدم.

(ب) خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثابت برسالته المعجزة: وهذا الضرب من الخبر ينشأ ويظهر بالاستدلال العلمي، فالعلم الحاصل بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) المؤلف السابق ص ٣

(٢) نظرية المعرفة: هي واحدة من موضوعات الفلسفة، وتقوم على أساس المعرفة والتأكد من مصادر العلم والمعرفة التي يُستعان بها للوصول إلى الحقيقة، وتتحدث هذه النظرية حتى الوقت الراهن عن ثلاثة مصادر للمعرفة، وهي: العقل والحواس الخمس والوحي، وإذا كانت شتى النظم الفلسفية والدينية توافق على أن هذه المصادر الثلاثة يتمم بعضها بعضًا، فإن هذا يوجد أيضًا في النظم التي تقبل بوجود واحد من هذه المصادر أواثنين منها، وعلى سبيل المثال فإن الماسون يقبلون بمصدرين اثنين، وهما: العقل والحواس الخمس.

يشبه العلم الثابت بالتواتر في الموضوع الحقيقي القاطع اليقيني الذي لا يقبل الشك، والإلهام في الإسلام لا يعد أحد أسباب معرفة صحة الشيء.

وخلاصة القول: إن طرق الحصول على العلم والمعرفة في الإسلام تتمثل في العقل والحواس الخمس والوحي.

«إن الدين الطبيعي أو الدين العقلي أو الديازم Deizm الذي هو مذهب هؤلاء لا يقبل علم الوحي. ويطلق على الوحي اسم الدوغمائية أو التعصب والخرافة والعلم الباطل. حتى إن هذا الدين يرفض أو يقبل الجدل والمناقشة مع العقل والحواس الخمس. كما أن الماسونية ذات الشخصية العلمانية تتبنى هذه الآراء والأفكار. والماسونية تقبل التسامح في الدين وترفض التعصب الباطل، وهي أيضًا تنظيم deisy يقبل مفهوم الإله معتمدًا على العقل والتجربة والحواس الخمس. وهؤلاء الماسون لا يسلمون بأن الله هو القوة التي تنقذ شؤون الناس وفق رغبته وإرادته، ولكنهم ضد تبني الأفكار المتعلقة بهذه القوة الإلهية دون جدل أو مناقشة. ويُعزى هذا إلى أن الماسونية ترى أن الارتباط بالتعصب في موضوع الدين يعني أسر العقل وتغليله وموت الحرية والقضاء عليها».(1)

ويتناول الأستاذ سلامى ايشينداغ في كتابه المسمى الماسونية من زاوية العقيدة الدينية عدة قضايا مثل: محاولة الأديان الكبرى الكتابية وهي الإسلام والمسيحية واليهودية، الرد على بعض الأسئلة وتوضيحها، ومسألة القضاء والقدر وخلق الإنسان والكائنات والمخلوقات، ومسألة الثواب والعقاب وأحداث الطبيعة وشرح الأضرار والملمات التي تصيب الإنسان والحركات العضوية والاجتماعية ومسألة البعث بعد الموت وغيرها من الموضوعات. ثم يتطرق ايشينداغ للحديث عن خلق الكون بعد أن أمعن النظر مليًا في مدخل كتابه على مسألة deizm التي تبنتها الماسونية واهتمت بها اهتمامًا بالغًا. ونقل ايشينداغ أثناء بحثه الآية الرابعة والخمسين من سورة الأعراف، وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا والشَّمْسَ والْقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ**

(1) Ömer Nesefi , İslam İnancının Temelleri Akaid , Haz: M.Seyyit Ahsen, Otağ Yy , İstanbul , 1973,s,39-40,51,53ve 54
Naudon -boucher , s61

﴿أَلا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾. (١)

ويقول ايشيندا غ إن فحوى هذه الآية موجود في التوراة والإنجيل التوراة: سفر التكوين الباب الأول، الجملة رقم ٧ ورقم ٣١. (٢)

وعلى حين يفهم ايشيندا غ هذه الآية، وما تتضمنه من خبر يقيني نراه ينطلق مرة أخرى من فكرة الديازمية Deizm حيث يقول: «إن العقيدة في التيزم Teizm الألوهية صريحة وجازمة. وهذا شيء مسلم به مهما تقدم العلم، وإن الآية الكريمة التي سلف ذكرها تصف الدوغمائية بأنها غير علمية وغير أخلاقية، وأن الآراء المتعلقة بالألوهية غير علمية وغير عقلية وتمثل نقطة انطلاق وبداية داخل إطار الأحكام والتفكير». (٣)

أما مفهوم خلق الكائنات في العقيدة الإسلامية فهو على النحو الآتي:

«لقد خُلق العالم بكل أقسامه بعد حين من الزمان. وخُلق الكون من العدم ولسوف يُمحى عندما يحين وقته والله هو القادر على فعل هذا». (٤).

أما إيشيندا غ فإنه عندما يبين مسألة خلق الكائنات نراه يضع العقل والعلم في المقام الأول حيث يقول: ارتضت الماسونية بعنصري العقل والعلم وجعلتهما الأساس المتين لنظام التفكير والإلهام عندها، ومن ثم فإنها تتبنى الإيضاحات التي قدمها الفيلسوف الألماني كانط لابلج Kant laplace في مسألة تكوين الكائنات. وترى هذه النظرية التي وضعها هذا الفيلسوف أن نظام الشمس ونظم النجوم الأخرى الثابتة قد حدث من السحاب المضيء في الفراغ الجوي وأن الأقسام المادية الكثيفة نسبيًا والتي لا شكل لها وتأتي على شاكلة السحاب تشكل الشموس التي تجتمع في إحدى الجهات بقوة الجاذبية وهذا يعني أنها تشكل النجوم الثابتة. وما تلبث هذه الأجرام الكبيرة المتقلصة المنكمشة أن تبرد تدريجيًا، وتُخرج هذه الأجرام المتوسطة غازات تتحول بعد ذلك إلى مادة سائلة مائعة ثم تتصلب وتتجمد في النهاية حيث تشكل الأرض

(١) فى هذه الآية إشارات دالة على أن الأرض كروية الشكل، وأنها تدور حول نفسها.

(2) Işındağ ,Din Açısından Masonluk Öğretisi , Akasya Tekamül Mahfili Yy , İstanbul , 1964,S304 Mıchel in Kitabının ekinden

(٣) المؤلف السابق ص. ٣٠٥

(4) Nesefi , S ,35

والكواكب السيارة الأخرى.

وعندما تصبح الجاذبية التي تؤثر في هذه الأجسام المتشكلة متوازية مع القوة التي تدفع هذه الأجسام من المركز، وتستمر هذه الأجسام في حركات دائبة ولا تقترب من المركز. وإن هذه النظرية التي حظيت بقبول العلم والماسونية اليوم ربما سوف يطرأ عليها التغيير والتبديل غدًا. ولهذا السبب فإن الماسونية لم تتخلَّ عن الفكر العلمي الثابت وسلَّمت بأنه لا توجد أي نظرية علمية قاطعة ونهائية، فالعلم والفن كلاهما يمكن أن يكونا شيئين نسبيين متغيرين مثل الزمان والمكان.[1].

ولو أن إيشينداغ جمع كل الآيات الموجودة في القرآن الكريم والمتعلقة بموضوع خلق الكائنات ثم نشر هذه الآيات وفكر فيها وأمعن النظر في فحواها، فإنه سوف يتسنى له حينئذ الوصول إلى نتائج أكثر تغييرًا ويخلص نفسه من الدوغمائية الماسونية، ولسوف يجد نتائج ثابتة قريبة من إيضاحات نظرية الخلق التي سلف ذكرها. ومن المحتمل أن يكون كل من العلماء وإيه وكانط ولابلاج قد توصلوا إلى نظرية الغاز المشروحة آنفًا في موضوع خلق الكائنات، كما أنهم أمعنوا النظر في القرآن ودرسوا ما فيه من آيات كونية، ويجب أن يكون هناك شيء شائع بين ثنايا الواجبات الملقاة على عاتق رجال العلم، وهذا الشيء يتمثل في: أن الآيات القرآنية سوف تكون أكثر سهولة للوصول إلى الحقيقة مقترنة بالحركة والبداية ولتحل هذه الآيات محل الدوغماتية المصطبغة بصبغة التعصب.

وها هي ذي طائفة من الآيات المتعلقة بمسألة خلق الكائنات:

١ -قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا ولِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾. (فصلت: ١١).

٢ -قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾. (البقرة: ١١٧).

٣ -قوله تعالى: ﴿**وجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾. (الأنبياء: ٣٢).

وهذه الآيات وغيرها تُشير إلى أن الملايين من النجوم المخلوقة تسير في أفلاكها دون أن

(1) Işındağ , Din Açısından Mason Öğretisi , S , 306 Mıchel , den

يصطدم بعضها ببعض.

٤ -قولـه تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّـمَوَاتِ بِغَـيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَـى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَـثَّ فِيهَـا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّـمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِـن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾. (لقمان: ١٠). «ويُفْهَم من هذه الآية أن خلق السماوات بغير عمد يدل على وجود قوة الجاذبية، ثم يبين الحق سبحانه وتعالى سبب خلق الجبال، حيث يقول: ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارًا وسبلًا لعلكم تهتدون**﴾ (النحل: ١٥). ويُفْهَم من هذه الآيات المتعلقة بالجبال أن الأرض تدور حول نفسها بسرعة فائقة لا يمكن أن يشعر بها الناس، ولهذا السبب نشأ عدم تعادل الليل والنهار، وأن خلق الجبال كان بمثابة الثقل الذي يوقف هذه السرعة المطردة، وهذا ما يمكن أن تثبته بالتجربة.

يقول الله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ**﴾. (ق: ٦). ويقول: ﴿**وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا**﴾ (النبأ: ١٢).

وقد تعذَّر حتى الآن حل المعنى الخفي الذي تعنيه مثل هذا النوع من الآيات، وهذا يمكن أن يكون موضوع بحث لرجال العلم الذين يريدون البحث العلمي والتمحيص وإمعان النظر، فالقرآن قد قدَّم الدليل المرشد في هذا السبيل. أما البحث والاستقصاء والتحري والتدقيق والتمحيص فإنها مهمة الإنسان الملقاة على عاتقه عن طريق العقل والعلم. وعلى حين يفصل القرآن القول في كيفية خلق الكائنات فإنه يشرح كذلك كيف خُلق الإنسان. وسوف لا نتطرق إلى هذه المسألة. بيد أنه يجب أن نعلم أن الله ذكر أنه خلق الإنسان ليكون خليفة له على ظهر البسيطة: يقول الله: ﴿**هُوَ الَّـذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْـرُهُ ولا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُـمْ عِندَ رَبِّهِـمْ إلاَّ مَقْتًـا ولا يَزِيدُ الكَافِرِيـنَ كُفْرُهُمْ إلاَّ خَسَـارًا**﴾ (فاطر: ٣٩). ويُفْهَم من هذا أن الإنسان هو من أكرم المخلوقات التي خلقها الله وأكثرها امتيازًا واصطفاء، وأن كثيرًا من المخلوقات الأخرى خُلِقَت لتكون في خدمته ومسخرة له.

وقد أشارت الآيات المتعلقة بيوم القيامة في القرآن الكريم إلى الحالة السابقة للكائنات، وسوف تتحول إلى سحاب وغاز وبخار. يقول الله تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّـتْ * وإِذَا الأَرْضُ مُـدَّتْ**﴾. (الانشقاق: ١ -٢ -٣). وهذا يشير إلى زوال قوة الجاذبية

التي كانت سببًا في دوران النجوم في مجراتها دون أن تصطدم ببعضها البعض، ويحدث هذا عند الحديث عن ظهور عدم الانتظام والاتساق وحدوث الاضطراب في الكون عند قيام الساعة، وحينئذٍ سوف تختلط الدنيا والقمر والشمس والنجوم ببعضها البعض، وسوف تتشكل على هيئتها الأولى، فتكون غبارًا وغازًا وسحابًا وبُخارًا، وهذا ما أشارت إليه: ﴿**فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ**﴾ (المرسلات: ٨-١٠). وهذا ما تعنيه الآية: ﴿**ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلًا**﴾ (الفرقان: ٢٥). و ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نُعيده وعدًا علينا إنا كُنا فاعلين**﴾ (الأنبياء: ١٠٤). ويُفْهَم من هذه الآية أن النجوم سوف تسقط فوق بعضها البعض نتيجة زوال قوة الجاذبية التي كانت تحافظ على استمرار هذه النجوم بالدوران في أفلاكها، وهذا هو المقصود بقوله تعالى: «كطي السجل للكتب». إن هذه الآيات التي سردناها والمتعلقة بمفهوم خلق الكائنات تمدنا بمعلومات كافية في هذا السبيل، ولا جرم أن العلم اليوم يقترب كثيرًا من معنى هذه الآيات في موضوع خلق الكون، ومن المحتمل أن يكون العالِم كانط لابلاس واحدًا من هؤلاء العلماء الذين اقتربوا من هذا الفهم الذي تضمنته الآيات التي سلف ذكرها، وهذا يعنى أن العقل مع مرور الوقت سوف يصل إلى الحقيقة التي تؤكد أن الوحي ليس دوغمائيًّا ولا باطلًا، بل هو علم صحيح صائب لا يقبل الشك، ولا جرم أن المؤمنين بالإسلام قد وصلوا إلى هذا اليقين. وخلاصة القول إن الحق سبحانه وتعالى يصف المنكرين لكيفية الخلق التي سلف ذكرها بأنهم جاهلون غافلون.

يقول إيشينداغ إن الأحداث المتعلقة بعلم الوحي والتي تبوأت مكانة في الآيات القرآنية ذات الصلة بمسألة خلق الكائنات لا تُقنع عقلي وفكري ولا أسلم بها أو أقبلها. ويبين لنا إيشينداغ حقيقة أخرى فحواها أن العقل يكون حينئذ ضيقًا محدود الآفاق. والعقل على وجه العموم يحاول الوصول إلى الحقيقة عن طريق تصنيف المعلومات التي تقدمها الحواس الخمس وتأليف أبعاضها في اتساق وانتظام. ومن ثم يكون نتاج الحواس الخمس بدوره ضيقًا محدودًا. وعلى سبيل المثال فإن حاسة السمع وهي الأذن تسمع الأصوات في ذبذبات صوتية واضحة، وعند حدوث زلزال تُصاب بعض الحيوانات بهلع وذعر يكون مصدره الأصوات التي تسمعها وتشعر بها عند حدوث زلزال ولما كانت الأصوات التي تسمعها هذه الحيوانات مختلفة متميزة

فإن شعورها بها يكون بنفس الدرجة متميزًا مختلفًا. ولهذا السبب فإننا عندما لا نسمع ذبذبات الأصوات العالية والخفيضة فإن من الخطأ القول إنني لا أؤمن بوجودها لأنني لا أسمعها ولقد خُلق الإنسان محدود الأفق وعلى شاكلة تحقق له التواؤم والتناغم مع الطبيعة عن طريق أعضاء الحس والشعور. ومن ثم فإن العقل الذي يعمل معتمدًا على هذه الأعضاء يمكن أن يصيبه التغيير والتبديل وسيكون محدودًا وضيّقًا. ولهذا السبب فإنه يكون محتاجًا إلى علم الوحي. وهذا العلم هو أساس العقيدة الإسلامية وشرعتها. فالوحي هو ذلك العلم الذي يخبره الله للبشر بواسطة الأنبياء. وما لبث علم الوحي أن أصبح انهيارًا روحيًا وجسديًا بناء على ما كتب في التوراة والإنجيل بعد ذلك. ولكن علم الوحي لم يكن dejenere [1] لأن القرآن الكريم كفل له الحفظ والحماية. وعلى هذا يكون من الخطأ القول إن العقل لا يقبل هذا العلم ولا يسلم به لأن علم الوحي علم يتجاوز حدود العقل. وإذا ما أخبر الحق سبحانه وتعالى بأنه خلق سبع سماوات طباقًا فإن العقل سرعان ما يرفض هذا ويصبغ رفضه بالصبغة الدوغماتية، أما إذا ما حاول العقل البحث والتحري والاستقصاء فإنه يصل لا محالة في خاتمة المطاف إلى الاعتقاد الجازم بأن علم الوحي صادق لا ريب فيه ويتبين لنا أن نظرية العالم كانط لابلاس المتعلقة بخلق الكون شديدة الشبه بالآيات القرآنية التي تحدثت عن خلق الكون. ويُفهم كذلك أن النتائج العلمية التي توصل إليها علم الفلك الحديث في الوقت الراهن تعبر عن اقترابها كثيرًا من الحقيقة التي أكَّدتها الآيات القرآنية التي سردناها آنفًا.

لقد وقف إيشينداغ على طائفة من أسس العقيدة وفيها خلق الكائنات وخلق الإنسان وهل الروح فانية أم باقية والبعث بعد الموت وتوضيح أحداث الطبيعة وظواهرها والقضاء والقدر وغيرها من المسائل والقضايا. وقد سرد إيشينداغ الجمل والآيات المقتبسة من القرآن والإنجيل والتوراة والمتعلقة بهذه القضايا التي سلف ذكرها. ووصف هذه الآيات والجمل بأنها تصطبغ بالدوغمائية وأعلن رفضه للكتب المقدسة وكتب ما كتب مضطرًا إلى الإيمان بنتائج العلم والعقل التي آمن بها الماسون. ودافع عن نظرية النشوء والارتقاء في موضوع خلق الإنسان وهي النظرية التي وضعها العالم داروين: «لقد تبنت الماسونية النتائج العلمية في مسألة الخلق. وأن الحياة بدأت من خلايا واحدة ثم ما لبثت أن تغيرت وتحولت حتى أصبحت اليوم

(١) الانهيار الروحي والجسدي

عـن طريق التطـور ذات حياة عضويـة». [1] ويتحدث داروين في نظرية النشـوء والارتقاء عن خلق الإنسـان ويزعم وجود شـبه قليل بين الإنسـان والقرد. وقد فسـدت هـذه النظرية اليوم ونُقضت من أساسـها بفضل النتائج العلمية الحديثة، فإذا كان الإنسـان قد نشـأ من القرد فإن بعض الكائنات الحية سرعان ما يطرأ عليها التغيير والتبديل نتيجة للنشـوء والتطور في غضون حقبة من الزمان ثم ما تلبث أن تمحى متحولة إلى كائنات حية أخرى، أما إذا نشأت موجودات جديـدة فـإن هـذا يوجب عدم وجود أي فـرد اليوم على ظهر البسـيطة كي يتحول إلى إنسـان. ولكننا نشاهد اليوم وجود أنواع متباينة من القرود.

ونحن نعلم من سـياق الآيات القرآنية أن الإنسـان انحدر من نسـل آدم وحواء. ثم تطرق إيشينداغ إلى مسألة الروح فقال: إن الروح التي هي إحدى نتاج العلم الذي سلمت به الماسونية مـا هـي إلا شيء يموت مع موت البدن، وهـذا يعني أنها لا تتصف بصفـة الخلود والسرمدية. وثمة فكرة أخرى تُعد من أهم الأفكار الأساسـية التي آمنت بها الماسـونية وتتمثل في أن الشيء الوحيد الذي سيبقى ثاويًا فينا بعد الموت هو مالنا وآثارنا وذكرياتنا ليس إلا.

إن نظام العقيدة والفكر الماسـوني لا يتفق مع الدوغمائية ولا يتواءم معها، ومن ثم فإننا على يقـين أن الإيـمان بخلود الـروح وسرمديتها لا يتبوأ مكانـة في طريقة التفكير عند الماسـونية. [2] كانت مسـألة وجود الروح قد بُحثت في القرآن الكريم عند الحديث عن خلق الإنسـان، يقول الله تعـالى: ﴿**ثـم سـواه ونفـخ فيه من روحـه وجعل لكم السـمع والأبصـار والأفئـدة قليلًا ما تشكرون**﴾ (السجدة: ٩).

وقد فُسرت الروح كما يراها الإسـلام بأنها عنصر الحياة الموهوبة للإنسـان بعد خلق القالب المادي له، وهذه الروح التي تخرج من الإنسان عند موته سوف تعود إليه من جديد عند البعث بناء على الفكرة الموقنة بخلود الأرواح وسرمديتها.

ثم يتحدث إيشـينداغ عن البعث بعد الموت فيقول: إن بعض الرموز الماسـونية يتعذر عليها إظهـار دليـل يؤكـد وجود عقيدة البعـث بعد الموت عند الماسـونية. أما الأديان فتسـلم بعقيدة

(١) المؤلف السابق من مايكل ص ٣١٤

(2) Işındağ , Masonik Diyalog , s, 5

البعث بعد الموت وتعتنق هذه الأديان مبدأ أساسيًا يتمثل في حث الناس على الطريق المستقيم بالترهيب والترغيب والإيمان بهذا يعني الإيمان بالدوغمائية. وها هي ذي طائفة من الآيات القرآنية المتعلقة بالبعث بعد الموت: [1] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحج: ٦). وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾. (الجاثية: ٢٦). وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾. (الروم: ١٩). وقد كتب إيشنداغ أفكارًا تتعلق بعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، مثل قوله إن التسليم بوجود قوة صاحبة قضاء وقدر خارج إطار الطبيعة هو اعتقاد أولي ثانوي.

وإذا كان بعض العلماء ممن تسنموا أسمى درجات العلم ومنازله، يرون أن ما يصيب الناس من زلازل وحرائق وحوادث طرق وفقر وفساد أخلاق ما هو إلا غضب من الله وجزاء وفاقًا لهم على ما اقترفت أيديهم من ذنوب وآثام فإنه لا يمكن التسليم بهذه الآراء عند الماسونية ولم تتبوأ هذه العقائد مكانة في أول خطوة من خطوات العقيدة الماسونية وسرعان ما هوجمت هذه العقائد الباطلة الفاسدة. وإذا كانت الماسونية قد أبدت تسامحًا مؤقتًا تجاه هذا النوع من العقائد فإن هذا الفكر ما لبث أن تكون عند المنتسبين إلى الماسونية الذين كانوا يأملون بإمكانية تسلل المفهوم الديني السامي إلى هؤلاء متجاوزين عن مفهوم هذه العقيدة الفاسدة. [2]

ويُعرف القضاء والقدر في العقائد الإسلامية على النحو الآتي: فالقدر هو ما قُدِّر من الأزل حتى الأبد، أي هو الأشياء التي أُريدت وقُدِّرت على يد الله سبحانه وتعالى منذ الأزل ووفق علمه ومعرفته مكان وزمان وقوع الأحداث وكيفية حدوثها. أما القضاء فهو الأشياء التي خلقها الله وفق تقديره وحكمه في الأزل والمقدرة والمعروفة سلفًا. [3] وثمة بضع آيات ذات صلة وثيقة بالقضاء والقدر، ومنها على سبيل المثال: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ ومَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾. (الواقعة: ٦٠). وقوله: ﴿يمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩). [4] وإذا

(١) المؤلف السابق ص . ٥

(٢) المؤلف السابق ص . ١ -٤ -٥

(3) Nesefi , s 133

(٤) اللوح المحفوظ: هو الكتاب المحفوظ عند الله والمدون به كل العلوم ، والقرآن الكريم هو الجزء الصغير من هذا اللوح المحفوظ.

أتينا على ذكر الآيات المتعلقة بالظواهر الطبيعية وأحداثها، فإننا نراها تتحدث باستفاضة عن قدرة الله سبحانه وتعالى، وهي آيات مبشرة ومعاقبة، وفيها على سبيل المثال المطر والرياح، وورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿**اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ (الروم: ٤٨)، والآية ٢٤ من نفس السورة، وهي قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾. والآية الأولى من سورة الحج، وهي قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم**﴾.

وثمة خبر نشرته صحيفة آسيا الجديدة في تركيا ويتعلق بوقوع أحد الزلازل حيث وصف كاتبو الصحيفة أن الزلازل من قضاء الله وقدره ولكن محكمة أمن الدولة في تركيا قررت حبس هؤلاء الكتاب لتفوههم بكلمة قضاء الله وقدره كما أودع محمد قوتلو ومساعدوه وهم أصحاب الصحيفة السجن لنشرهم هذا الخبر مقرونًا بعبارة قضاء الله وقدره.[1] ولما وقع زلزال أغسطس ١٩٩٩ م في تركيا، حكمت محكمة الأمن العليا بالسجن عامًا وثمانية أشهر على أربعة صحافيين هم: شعبان دوين وسامي جبه جى وآب دل يلدريم وجميل طوق بنار، جزاء لهم على قولهم أن الزلزال من قضاء الله وقدره.[2] ثم يتحدث إيشينداغ عن أن عقاب الناس ومكافأتهم بسبب أعمالهم الحسنة والسيئة لا تتم من ناحية إلهية، ثم يقول: إن الماسوني لا يرزح تحت تأثير الدوغمائية وأنه لا يتوسل إلى الله بالعفو والمغفرة والرحمة لأنها لا تقدم أوصافًا إنسانية لمفهوم الله. وعلى سبيل المثال، فإن السمع والبصر صفتان من صفات الله النسفى ص٨٢ وهاتان الصفتان موجودتان كذلك في الإنسان ولكنها صفات جزئية. وقد مُنح الإنسان صفة من صفات الله الكلية، وأن فعل الخير والأريحية وفعل الشر عند الماسونية لا يعتمد على الترغيب والترهيب.[3]

(١) وقع هذا الزلزال في ١٧ أغسطس عام ١٩٩٩م وعرف بزلزال بحر مرة، وبدأ من مقاطعة بولو، وشمل كل الأقاليم الواقعة على بحر مرمرة، وفقد فيه قرابة سبعة عشر ألف شخص حياتهم.

(٢) صحيفة زمان أ .٦ عام ٢٠٠١ م.

(3) –Işındağ , Din Açısından Mason Öğretisi , S, 318 –Mıchel den

الحركة المذهبية الماسونية:

يُبدي الماسون احترامًا وتوفيرًا لكل الأديان والنظم الفلسفية والعقائدية ولم يريدوا التدخل في عقيدة أي شخص، ورغم أنهم يزعمون أنهم ينظرون باحترام وتسامح لكل هذه الفوارق الدينية والمذهبية فإنهم يعترفون بأنهم يسعون سعيًا حثيثًا من أجل نشر المذاهب الدينية الخاصة بهم ولا سيما الدين العقلي والطبيعي الذي يظهر خصوصية دينهم ومذهبهم ويميط اللثام عنها. ولم تكن الماسونية في هذا الوضع بمثابة حركة فكرية فحسب بل ظهرت أمام ناظرينا لتظهر السمة المميزة ak siyonerlir، وهذا ما تحدث عنه إيشينداغ بقوله: ولما نصل بعد حين إلى حقيقة الحكمة والعقل والعلم فإن أعظم مهمة ملقاة على عاتقنا تتمثل في تثقيف الشعب وتنويره بكل ما أوتينا من قوة، ثم نخوض بعد ذلك صراعًا مع ضروب التخلف والتقهقر الناجمة عن المفاهيم الباطلة الفاسدة والتي تناقض الصفات والسجايا الموجودة عندنا، ولسوف نوقظ الشعب من سباته العميق. إننا سوف لا ننزل إليه ولكننا سوف نقربه منا.[1] وننهض به ونرفع من شأنه، وإن أوضاعنا الحزينة المؤلمة التي نحن عليها اليوم تبين أننا سوف لا يتسنى لنا الاضطلاع بالأشياء التي تريدها الماسونية منا. ويجب على الماسونية ألا تتحرك بالتسامح اللانهائي والحرية المطلقة وذلك فيما يتصل بكل ضروب الدين والإيمان والفلسفة. ولا جرم أن الطقوس والشعائر الماسونية تحول دون ذلك. وإذا ما تحركت الماسونية بالحرية المطلقة والتسامح اللانهائي فإنه سوف يكثر في مجالاتها طائفة كبيرة من المتعصبين والباطلين والمتكلين والقدريين والرجعيين المتخلفين وذوي الضرر المفسدين وكثير غيرهم من ذوي الميول والنزعات السياسية. وعلى حين كانت المهمة الملقاة على عاتقنا تتمثل في التأثير الإيجابي في الحياة.

فإن ما حدث كان على النقيض من ذلك. إننا نرى أن الماسونية يجب عليها أن تطبق الحرية والتسامح خارج إطار مبادئ العلم والعقل والحكمة التي قبلتها من طقوسها وشعائرها.

ونحن على يقين أنه يتسنى لأي إنسان منسوب لأي دين أو أي بنية اجتماعية أو نزعة سياسية أو فلسفية أو أي مذهب أو جنس أو عرق أن يدخل في الماسونية. بيد أن الماسوني

(١) حظى مبدأ " لا تشبه أحدًا وتشبه بأحد " بالقبول عند الماسونية ، كما أن كل دين يحقق الوجود للمؤمنين به فإن فكرة الحركة تبوأت مكانة عند الماسونية .

الحقيقي يجب عليه أن يكون ذا هوية ماسونية وشخصية جديدة متوائمة مع روح الماسونية وفكرها وروحها والأسس والمبادئ التي وضعتها طقوسها وشعائرها وفكرها. وهذا يعني أن الماسونية ليست أمشاجًا مختلطة من أديان ومذاهب شتى. ونحن لا نوافق على أن يكون تسامح الماسونية مؤيدًا للميول السياسية والاجتماعية والدينية التي يمكن أن تصيب الإنسانية بالأضرار المادية والمعنوية.

والماسون يعيشون في جو يفرض عليهم كتمان السر وإخفاء الموضوعات والأحداث التي تدور في جمعياتهم السرية، ولكننا نرى أنه يجب ألا يكون في الماسونية كتمان سر فيما يتصل بالعقيدة والفكر ونريد في هذا الصدد أن نوضح رأينا هذا في إيجاز حتى لا يُفهم رأينا فهمًا خاطئًا.[1] وعلى سبيل المثال، يقول إيشينداغ في توضيحه لهذه المسألة: إذا كان المتحدث في أحد الاجتماعات يربط كل شيء بالدين والله فيجب على الماسوني الموجود حينئذ المبادرة بالتدخل في هذا الحديث مباشرة.[2]

ويُفهم من كل ما شرحه إيشينداغ أن الماسونية ما هي إلا دين طبيعي أو عقلي، ومن ثم فإنها تريد تكوين طائفة من المؤمنين بها مثلها في ذلك مثل ما هو موجود في كل دين.

إيضاحات مذهبية عقائدية لطائفة أخرى من الماسون:

إننا لا نعلم على وجه اليقين هل تشارك أفكار إيشينداغ التي سلف ذكرها كل الماسون أم لا تشاركهم، ولكننا نجد أن هناك طائفة أخرى من الماسون يدافعون عن أفكاره، ويعد أنور نجدت أجه ران واحدًا من هؤلاء. وقد عمل في منصب رئاسة إحدى الجمعيات الماسونية الكبرى في تركيا عام ١٩٦٥م. وقد بيَّن أجه ران أفكاره وشرحها في كتابه المسمى "الماسونية بوجهها الحقيقي". وقد استخدم أجه ران مصطلح الإنسانية Hümanizm ليحل محل مصطلح الربوبية Deizm أي الإيمان بالله بغير اعتقاد بديانات منزلة، وهو مذهب فكري يدعو إلى الإيمان بدين طبيعي مبني على العقل لا الوحي، ويؤكد على المناقب أو الأخلاق منكرًا تدخل الخالق في نواميس الكون. وهو في اعتناقه لهذا المذهب يشبه إيشينداغ. ويتحدث أجه

(1) Işındağ , Masonik Diyalog s, 7, 10, 15, 16

(٢) المؤلف السابق ص . ١٧

ران عن الربوبية Deizm فيقول: "إن الربوبية ترى الإنسان ثاويًا في مركز كل شيء وأنها تتخذ من النقل والعلم أساسًا لمصدر العلم والمعرفة. ولكن أجه ران يرفض عقيدة التوحيد Teizm مثله في ذلك مثل إيشيندغ ويصفها بأنها دوغمائية تمامًا. ثم يتحدث أجه ران عن الجوانب التي يحتاج فيها كل من Deizm و Teizm إلى بعضهما بعضًا. أما الأكثر إثارة في هذه المسألة هو أن أجه ران يرى أن العقل والعلم هما الطريق المستقيم للمعرفة أكثر من علم الوحي، ثم يقول: "وخلاصة القول إن طرائق الحياة والمعيشة قد تطورت بالعلوم التجريبية وهي علوم بدأت معتمدة على التجربة والملاحظة، أما في مسألة مصدر الإنسان والحياة فقد ظهرت فلسفة ميتافيزيقية وضعتها الديانات ولا سيما الإسلام، حيث يوجد ما يعرف بالوجود الكلي الشامل. وكل شيء ما هو إلا جزء من كل وهذا ما يتضح لنا بالعبادات الحية وغير الحية في الكائنات. وكلما كانت الأوضاع والتأثيرات الداخلية والخارجية، موائمة مناسبة فإن الأجزاء سرعان ما تتبلور وتظهر نفسها مصطبغة بالصبغة المادية، وكلما زالت هذه الأوضاع يُظن حينئذ أن المادة ذابت وانصهرت وفقدت أجزاءها. وفي الواقع فإن هذه الأجزاء سرعان ما تتحول وتنقلب إلى الحالة الكلية.[1] ومن المحتمل أن يكون تحول الجزئيات إلى الحالة الكلية هو المعنى المقصود في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

ويدافع أجه ران عن نظرية النشوء والارتقاء في موضوع خلق الإنسان، مثله في ذلك مثل الماسوني إيشيندغ، ومن ثم يقول: نحن نعلم جميعًا أن ما يُعرف باسم Homo sapiens أي أجداد جيل الإنسان الموجود اليوم ما هو إلا فرع الثدييات الذي يمثل اليوم أعلى طبقة من الحيوانات الثديية.[2]

ثم يصل أجه ران إلى نتيجة فحواها: إن عقيدة التوحيد في قمة عالية والإنسانية في القمة الأخرى وأن المفاهيم الماسونية تكون في حالة تستفيد من القيم الإيجابية لهذين التيارين فوق خط يربط بين كليهما. ونحن نجد بعضنا أكثر ميلًا إلى طرف التوحيد. أما بعضنا الآخر فإنه يميل كذلك إلى الطرف الإنساني. ولا جرم أنه كلما تطور مفهومنا وإدراكنا فإن مواجهة الآفاق

(1) Egeran , s99

(٢) المؤلف السابق ص . ٥٩

المفتوحة الجديدة والأضواء الجديدة تجعل أفكارنا تتبوأ مكانة بين هذين التيارين ونعني بهما التوحيد والإنسانية. ولا سيما أن توضيحهما يكون في موضعه تمامًا. وهذا لا يحول دون تسليم مفاهيمنا الحرة لعقيدة ذات قطبين اثنين تقبلها كذلك مناهجنا وطرائق تفكيرنا ورغبة البحث عن الحقيقة المركوزة في فطرتنا. ونحن ولا جرم ممثلون للحرية الكلية، التي توحد بين هذين القطبين وتجمع قيمهما الإيجابية لهما في بنية واحدة. (١)

ونحن نعتقد أن البحث عن الحقيقة بحرية مطلقة غير مقيدة له وجود في طقوس الماسونية وشعائرها، ويرى الماسون أن الموضوعات المذهبية والعقائدية غير جازمة، ومن ثم فإن نتيجة هذه الأبحاث سوف تصل إلى أن علم الوحي هو أحد السبل للمعرفة الحقيقية، وأن العقل والعلم والحواس الخمس على وجه العموم والوحي تصل إلى هذه الحقيقة.

(١) المؤلف السابق ص ١١٠ -١١٢

«البنية التنظيمية الماسونية»

الجمعية السرية Loca لم نكد نذكر كلمة الماسونية حتى تدور بخلدنا على الفور كلمة Loca وتطلق هذه الكلمة على الصالون أو البناء الذي يجتمع فيه الماسون ويمارسون فيه نشاطهم. كما استخدم تعبير المحفل والمعبد ليحل محل تعبير Loca أي الجمعية السرية ١٨ كما تذكر كلمة Atelye أي ورشة العمل لتضاف إلى كلمة Loca باعتبارها تذكارًا للماسون. (١).

أما الجمعيات السرية Localar فإنها ليست صالونًا ولا بناءً، إنها ذات صفة معمارية خاصة وتهتم بالعُمد المستلهمة والمستوحاة من معبد سليمان عليه السلام وزينت جدرانها بالإشارات والرموز الماسونية. ويؤسس كل جمعية سبعة من الماسون في أقل تقدير، وأقل عدد فيها مائة وأكثرها لا يزيد على مائتي عضو ويقضي العرف المتبع بعقد اجتماع كل شهر في هذه الجمعيات ومن حق رئيس الجمعية أن يضغط هذه الاجتماعات ويمكن أن تجتمع في التاريخ الذي يحدده. وتُفتح هذه الاجتماعات وتُختتم به، ويتضمن دعاء الافتتاح تضرعًا من المهندس المعماري الأعظم للكائنات، أما في دعاء الاختتام فيدعو هذا المهندس المعماري الأعظم بأن يحمي الماسون ويحفظهم من كل سوء. (٢).

تعقد مناقشات فلسفية أبدية أثناء أعمال الجمعية الماسونية، حيث تلقى محاضرات في موضوعات تهتم بالدنيا والماسونية، ويتم كذلك الانشغال بتربية وتعليم الماسون الجدد، ويُحظر بصورة جازمة مناقشة شتى الأمور الدينية، حتى إنه يمنع كذلك الوساطة في المناقشات الحزبية السياسية. (٣)

مراسم الدخول والتعارف من أجل الانضمام إلى الماسونية:

ثمة مبادئ أساسية للجمعية الكبرى للماسون الذين قبلوا بحرية دخول تركيا في الماسونية: إن الماسونية الحرة تقبل الرجال المثقفين ذوي الشرف والسؤدد والخلق القويم دون النظر إلى الفروق

(١) Zoletti S , 21

(٢) Naudon –boucher , s89

(٣) Egeran , S , 133

العقائدية اللغوية والعرقية والمذهبية. ولا تقبل أولئك المتشككين ممن لا ثقافة لهم ولا عقيدة.

وإذا كانت الماسونية الحرة لا تُكره أحدًا على الدخول فيها، فإنها على يقين تام بأن تترك لأعضائها الحرية المطلقة في ترك الماسونية إذا ما اقتضت أوضاعهم وأحوالهم الاجتماعية ذلك. (١)

ويُبحث في هذا الصدد عن خصائص أخرى خارجة (٢) عن إطار ما سلمت به الماسونية: «وهي أن يكون المنتسب للعضوية قد بلغ الخامسة والعشرين، ويتمتع بسمعة طيبة ومشهود له بالفضيلة والأخلاق، وأن يكون ذا ثقافة وتحصيل علمي يمكنه من إدراك كنه الفكر الماسوني. كما يجب أن يكون موفيًا بالواجبات الماسونية والحياة الشريفة دون أن يحتاج إلى أحد أي أن يكون غنيًا ذا ثراء عريض وأن يكون مقيمًا على مسافة قريبة تمكنه من الاشتراك في الأعمال والجهود التي تتم في الجمعيات السرية». (٣)

أما العضو الخارجي فإنه يستعين بتقديم طلب من أجل تسجيل اسمه في الجمعية الماسونية ويُعلن عن هذا الطلب إلى الجمعيات كلها. وتتم تحريات واسعة بشأنه وتناقش عضويته في الجمعيات ويتم التصويت عليها. وإذا ما كان التصويت إيجابيًا فإنه سرعان ما تتم في إثره مراسم الالتحاق بعضوية الجمعية الماسونية. (٤)

وقبيل بداية المراسم تُسأل بضعة أسئلة يُرد عليها بصورة مكتوبة كما هو معتاد ومألوف: ولزام عليكم أن تمعنوا النظر مليًا في هذا الموضوع إذ أن الخروج من الجمعية الماسونية بعد الانضمام إليها ليس بالأمر اليسير. فهل ستُنفذون كل المبادئ والأسس؟ إنكم تصرون على الوفاء بوعدكم في سرية وكتمان، فهل أنتم متبعون هذا السبيل؟ لا ينظر إلى فرق بين الأديان والعقائد في هذا السياق.

فهل سترعون هذا حق رعايته؟ وغيرها من الأسئلة. وإذا ما أجاب العضو على هذه الأسئلة إجابات متسقة منتظمة فإن مراسم الالتحاق بعضوية الجمعية الماسونية تتم دونما تأخير (٥).

(١) اللائحة الكبرى للجمعية السرية للماسون الذين اعتنقوا مبدأ حرية تركيا. ص ٨

(٢) الخارجي: هو ذلك الشخص الأجنبي الذي لا يدخل في إطار الجماعة الماسونية Zoletti . s: 13

(3) Naudon –boucher , s 112

(٤) المؤلف السابق ص ١٨

(5) – Egeran ,S 116

يُؤخذ العضو الماسوني المُنتخب إلى حجرة مظلمة قُبيل بدء المراسم. وتحتوي هذه الحجرة على أحجار مختلفة وملح وأطباق وساعة رملية ومنجل وجمجمة وجذاذات من العظم وجرة ماء، وتُضاء هذه الحجرة بنور شمعة يوحي بجوٍّ قبر ميت. وتُؤخذ النقود والأشياء القيّمة الثمينة من العضو المُنتخب الذي يُؤخذ إلى هذه الحجرة. وتُربط عيناه بعصابة سوداء حتى لا يستطيع رؤية ما حوله. وفي هذه الأثناء، يُطاف بالعضو الماسوني المُنتخب في هذه الحجرة المظلمة، حيث يقوم بثلاث رحلات رمزية داخلها في مَعِيّة اثنين من الماسون يتأبّطانه ويطوفان به. ثم يُجرى التصويت بعد ذلك حول استمرار أو عدم استمرار المراسم لقبول العضو المُنتخب في الانضمام إلى الماسونية. وإذا ما قُبِل، فإنه يُدعى إلى حلف اليمين. ثم يقول رئيس الجمعية للعضو المُنتخب: «إنك سوف تنعم بالنور والضياء بعد أن تحظى بموافقة أعضائنا وتصويتهم». ثم يتلو رئيس الجمعية صيغة اليمين ويُكرّره العضو المُنتخب. وعند قراءته لليمين، يُمسك بيده اليمنى سيفًا ومثلثًا والكتاب المقدس المفتوح، ويغمس يده اليسرى في طبق مملوء بالتراب. ثم يقسم اليمين على النحو الآتي:

«أقسم في حضرة المهندس المعماري العظيم للكائنات وأعضاء الجمعية الماسونية بأن أمتثل للأمر الذي يُمليه على ضميري الحر بصدقٍ وإخلاصٍ وإرادتي. ولسوف أرعى لائحة النظام الداخلي. وسوف لا أُفشي الأسرار الماسونية التي سأتعلمها ولا أنقلها إلى أي شخص آخر دون إذن من الجمعية. ولسوف أعمل بوفاءٍ وإخلاصٍ وسعيٍ حثيث من أجل الماسونية الحرة، وسأظل وفيًّا مُخلصًا لمبادئها وسأواظب بانتظام على اجتماعاتها. وسوف أحافظ دائمًا على شرفي وسُؤدُدي في كل مكان، وسوف أحب كل إخوتي الماسون. وأكون على أهبة الاستعداد دائمًا للإسراع بمساعدتهم في كل وقتٍ وحين، ولأحين بكل ما هو شخصي وغالٍ من أجل الذود عن الماسونية والدفاع عنها في كل زمان ومكان. وسوف أساعد الضعفاء وأحب الناس أجمعين، وسأسعى جاهدًا من أجل فعل الخير لهم وسأضحي من أجل أسرتي ووطني. وسأحارب التعصب والجهل ولن أتخلى عن العدالة والحق، ولسوف أحترم حقوق الآخرين مثل حقي وأقدرها حق قدرها. وسوف أعرف أن الجمعية الماسونية الكبرى للماسون قد حظيت بالقبول والحرية في تركيا، وأنها تتمتع بالسلطة المطلقة الوحيدة، وأقسم بأنني سوف أفضل الموت بدلًا من الإخلال بهذه الواجبات ولن أتخلى عن تعهداتي الملقاة على عاتقي». [1]

(1) Gün –Çelikler , S 69 – 70 Naudon –boucher S 129

الدرجات والمنازل الماسونية:

تفيد شعائر وطقوس Iskoç أن الماسونية قد نُظمت من ثلاث وثلاثين درجة، أما الدرجات الثلاث الأولى وهي: الحرفي الممتهن، والمدرب، ورئيس الحرفيين، فإنها تمثل الماسونية العملية. وثمة ثلاثون درجة أخرى تدخل في معية الماسونية Sepkülatifالتأملية إبان القرن الثامن عشر الميلادي، ولكل درجة من درجات الماسونية رموزها الخاصة ومنازلها وكلماتها المقدسة، مقتبسة من اليهودية والمدارس الفلسفية القديمة والفروسية والحملات الصليبية، ويجب الحصول على درجة أستاذ حتى يتسنى له أن يتبوأ منصبًا في الجمعية الماسونية، وها هي ذي درجات الماسونية:

١ - الحرفي أو الممتهن.

٢ - المدرب.

٣ - الأستاذ.

٤ - الأستاذ الكتوم للسر.

٥ - الأستاذ الكامل.

٦ - كاتب السر.

٧ - الناظر والحاكم.

٨ - البناء الآمن.

٩ - منتخب التسعة.

١٠ -منتخب الخمسة عشر.

١١ -منتخب الإثني عشر.

١٢ -أستاذ المعمار.

١٣ -المهندس المعماري للملكة.

١٤ -المنتخب الكامل.

١٥ -فارس السيف والشرق.

١٦ -فارس القدس.

١٧ -فارس الشرق والغرب.

١٨ -الفارس الذي يقدم الصليب.

١٩ -علي الإسكوجالي.

٢٠ -أستاذ المحفل المحترم.

٢١ -فارس بروسيا.

٢٢ -أمير لبنان أوفارس أصيل بالطة.

٢٣ -شفيع صندوق الاسرار.

٢٤ -أمير صندوق الاسرار.

٢٥ -فارس أره يلان.

٢٦ -القسيس الإسكوجالي.

٢٧ -فارس المعبد.

٢٨ -فارس الشمس.

٢٩ -فارس القديس آندره أسكوج.

٣٠ -فارس قادوش.

٣١ -الأمير المفتش.

٣٢ -أمير السر العلوي.

٣٣ -مفتش الشرق الأعظم أو المفتش الكبير العام.[١]

(1) Zoletti s 35 – 36

فترات الانتظار في الدرجات

الدرجة الأولى والثانية: مدة الانتظار خمسة شهور.

الدرجة الثانية حتى الثالثة: مدة الانتظار سبعة شهور.

الدرجة الثالثة حتى الرابعة: مدة الانتظار تسعة شهور.

الدرجة الرابعة حتى الخامسة: مدة الانتظار ثلاثة شهور.

الدرجة السابعة عشرة حتى الثامنة عشرة: مدة الانتظار سبعة شهور.

الدرجة الثامنة عشرة حتى الثانية والعشرين: مدة الانتظار خمسة شهور.

الدرجة الثانية والعشرون حتى السابعة والعشرين: مدة الانتظار سبعة شهور.

الدرجة السابعة والعشرون حتى الثامنة والعشرين: مدة الانتظار خمسة شهور.

الدرجة التاسعة والعشرون حتى الثلاثين: مدة الانتظار سبعة شهور.

الدرجة الثلاثون حتى الحادية والثلاثين: مدة الانتظار خمسة شهور.

الدرجة الحادية والثلاثون حتى الثانية والثلاثين: مدة الانتظار سبعة شهور.

المجموع: ٨٤ شهرًا = سبع سنوات. [1]

معنى بعض الكلمات والإشارات والرموز الماسونية:

للماسون أنفسهم كلمات خاصة ورموز وإشارات، وقد تم الحديث عن معظمها في الصحف التي سلف ذكرها، وها هي ذى طائفة أخرى منها:

١ - **برادر الأخ**: وهي كلمة يستخدمها الماسون لمخاطبة بعضهم بعضًا في مختلف الدرجات، وكل أخ هو شقيق للماسون في كل الدنيا، والماسوني مضطر إلى مواجهة الظلم والتعسف والجور، ويساعد هؤلاء الإخوة حتى لو ضحَّى بحياته فداءً لأخيه، وإذا كانت الأحوال والأوضاع متساوية متكافئة، فإنه يفضل أخاه على نفسه.

(1) Cem S 23 – 29

٢ – **غـير مُنتظـم**: وهو لقب يُطلق على العضو الذي أُلغي قيده بسـبب عدم مواظبته بصفة معتادة وعدم دفعه العائدات الخاصة به.

٣ – **خام طاش**: وهو لقب يُطلق بصفة خاصة على الماسوني المُبتدئ، أي من كان في الدرجة الأولى، حيث يتطهر من الأخلاق السيئة ويُجردها من كل شائبة قد تعلق بها.

٤ – **الكاتب**: وهو الشخص الذي يُنظّم السجلات والأوراق ودفاتر القيد في الجمعية الماسونية.

٥ – **قليج**: وتعني السيف، وهي رمز للشرف والسؤدد والكرامة.

٦ – **كتـاب**: وهـو القـرآن والإنجيل والتوراة، ويضغط الماسـوني بيده عـلى واحد من هذه الكتب عند حلف اليمين.

٧ – **قونوان**: Konvan، وهو اجتماع رؤساء الماسون الذين يلتقون كل عام في شتى الدول.

٨ – **قـوردون**: Kordon، وهـي شريطـة حمـراء عريضة تُعلـق متقاطعـة في الرقبة أو من الكتف وفق وظيفة الماسوني ودرجته.

٩ – **لاندمارقلر**: Landmarklar، وهي القواعد الأساسية للماسونية الأنغلو –ساكسون.

١٠ – **مالا**: Mala، وهي وسيلة ترمز إلى الأخوة العالمية والحب والتسامح تجاه كل الناس

١١ – **مـشرق أعظـم**: وهـي هيئـة الإدارة العُظمـى التـي يؤسسـها ممثلو أماكـن التدريب الفيدرالية والماسون الفرنسيون.

١٢ – **مطرقة**: Çekiç، مصطلح يُعبّر عن الإرادة التي تُنفذ بفعل القوة.

١٣ – **مطـري كـول**: Matrikül، وهـو الدفـتر الرئيـسي الـذي يُبيّن أحـوال كل أعضاء الجمعية بكل تفاصيلها.

١٤ – **ميقب طاش**: Mikap taş، وهي أساس الفكر الفلسفي، وتُعبر عن الماسوني الذي يستحوذ على العلم والمعرفة.

١٥ – **نقطة أوج**: وهي ثلاث نُقط تُوضع على شـاكلة مثلث متسـاوي الأضلاع لتحل محل الحروف الناقصة للكلمات المختصرة في الكتابات والمقالات الماسونية.

١٦ – **نور**: تأتي بمعنى معرفة كُنه النفس البشرية.

١٧ – **أوبدي يانس**: Obedi yans، وهو تنظيم ماسوني كبير يُدير نفسه بنفسه.

١٨ – **أونلـوك**: Önlük، وهي العلامة الأصلية للماسـوني، وتوجد مريلة وفق كل درجة من درجات الماسونية.

١٩ – **ريت**: Rit، وهو نظام العمل الماسوني.

٢٠ – **شاقول**: Şakul، وهو رمز يُمثل التفاهم والتسامح.

٢١ – **تكريس**: Tekris، وهو الاحتفال التقليدي الذي يُقام عند الانضمام للماسونية.

٢٢ – **أستاذ محترم**: وهو رئيس الجمعية الماسونية.

٢٣ – **أويغو**: Uyku، وهي الحالة الساكنة للنشاط الماسوني.

٢٤ – **يوكسك شورى**: Yüksek Şura، وهي الهيئة التي تُؤسس من أعضاء من الدرجة الثالثة والثلاثين.

٢٥ – **ظلمت**: Zulmet، وهي رمز للعالم الخارجي كما تراه الماسونية.[١]

وتوجد أبجدية ماسونية تُذكِّر ببنية الطريقة بعلامات وإشارات ورموز خاصة، ولكن يوجد تقويم ماسوني مُقتبس من الكتاب المقدس التوراة والإنجيل. ويمكن الحصول على بداية العصر الماسـوني بإضافة أربعة آلاف سـنة إلى هذا العصر. وشـهر مارس هو بداية السنة عند الماسون. وتوجد عند الماسـونية وتُعد مقدسـة وذات مفهوم خاص. ويُعتبر رقم ٣ من أهم الأعداد عند الماسونية، وهو رمز إلى الماضي والحال والمستقبل. وثمة اهتمام بمضاعفات هذا العدد. وثمة طائفة أخرى من الحروف تحظى بقدسـية عند الماسـونية، ومنها على سبيل المثال حروف[٢] G.F.E.

(1) Zolettti , S 6 – 37

(2) Gün –Çelikler , S , 79

الماسونية والنشاط الحركى الفعال

وتضع الماسونية نصب عينيها الحركة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية إزاء الحركة المذهبية والعقائدية، وكل هذه الأشياء تبين لنا أن الماسونية هي تنظيم حركي فعال يتخذ من الحركة الناشطة أساسًا لتطبيق أفكاره، ناهيك عن كونها منظمة فكرية.

ورغم أن الماسوني آجه رن يقول إن الأنشطة الموجودة في الجمعيات الماسونية تصطبغ كلها بالصبغة العملية [١]، فإنه يستخدم تعبيرات تفيد بأن الماسونية هي فكر وعمل دائب على حدا سواء [٢]، ثم يردف قائلاً: «إن الغاية المنشودة لا تقتصر على أن تتضمن الماسونية أعضاء من الخارج فحسب، بل إسالة الماسونية وتدفقها داخل هؤلاء الأعضاء وبين ثناياهم، وإنشاء الماسوني الحق من بين هؤلاء». [٣] وها هو ذا مفهوم هذا: «إن الماسون لا يهتمون بشيء مثل اهتمامهم بتسجيل كل الناس في الجمعيات الماسونية، وصبغهم بالصبغة الماسونية الخالصة، وأهم شيء عند الماسونية يتمثل في سوق كل الناس للحياة الماسونية، والتفكير الماسوني المحض، وليس من الضروري تسجيل الشخص في دفتر العضوية الماسونية، وهذا يعني أنه ماسوني لكونه يفكر مثل الماسون.

ونحن على يقين أن هدف الماسونية أن تكون مؤسسة عملية وفكرية، وتشبه نفسها بالمجتمع. ويبدو أنها تُطبق مبدأ «لا تشبه أحدًا وتشبه بأحد»، مثلها في ذلك مثل المبشرين والدونمة على حد سواء. ويتحدث واحد من الماسون، وهو أوسوالد ويرث Oswald Wirth، عمّا يتعلق بالحركة الماسونية، فيقول: «إن الماسونية تدعو إلى تأسيس عالم جديد. وهذا ليس فوق طاقتها، ولكن هذا يحدث شريطة وجوب كيفية تحقيق هذا الذي تسعى إليه». [٤].

---

(1) Egeran , S 123

(٢) المؤلف السابق ص ١٥

(٣) المؤلف السابق ص ٨٩

(4) Naudon , Masonluk , S 206

وقالت الهيئة الماسونية الفرنسية العظمى في عام ١٩٦٠م: «إن من ينتظروننا غدًا لا علاقة لهم بالجبرية [١] أو الحتمية البتة، إن هؤلاء لن تكون لهم الأيام التي يريدها الله أو التي تُعد أي ضرب من السحر والفتنة». [٢]

لقد اعتنقت الماسونية العلم والعقل باعتبارهما سبيل المعرفة التي تمثل الربوبية، التي تُعد أساسًا لعقيدتهم ومذهبهم في مسألة خلق الكون. وهذا يُبين رد فعل العلمانية في موضوع تنظيم الحياة الاجتماعية. ولقد وصف الماسون الآيات والجمل المتعلقة بخلق الكون، والتي ورد ذكرها في الكتب المقدسة، بأنها مصطبغة بالصبغة الدوغماتية. وهم يتحدثون عن العقل والعلم اللذَين يُحرِّكان طرائق المعيشة التي تُنظِّم حياة الفرد والمجتمع وفق الأحكام القرآنية والآيات، ثم يصفون هذه الأشياء بأنها متصفة بالتعصب والدوغماتية والتخلف. ويقولون إنهم لا يُريدون تنظيم حياة الفرد والمجتمع وفق الرغبات الإلهية، بل يريدون تنظيمها وفق معطيات العقل الإنساني. ولهذا السبب سُمِّيت الماسونية باسم الطريقة العلمانية، وقد تمت تقويمات تدور حول النضال من أجل نقل العلمانية إلى الحياة العملية. وها هي ذي طائفة من آراء طائفة من الماسونية قد حظيت بالتوفيق والنجاح. [٣].

وقد وافقت الماسونية على أن الثورة العلمانية هي أعظم ثورة أهداها أتاتورك إلى تركيا.

وإذا كان هناك اضطهاد لفئة من المتعصبين الذين يريدون توجيه الدولة نحو القوانين الدينية، فإن هذا كان ضد المجتمع العلماني، أي المجتمع الحر. ولا توجد ديمقراطية حرة في المكان الذي لا توجد فيه علمانية. ومن ثم، يجب الاهتمام باحترام كلمة الدين بهذا المعنى. [٤] وأهم ما يلفت الانتباه في هذا السبيل هو اهتمام الماسون في كلٍّ من الدولتين الكاثوليكيتين، فرنسا وإيطاليا، بالصراعات العلمانية، ولا سيما أولئك الماسون من الفرنسيين الذين أبدوا ردود فعل وصلت إلى حد عقيدة التوحيد في هذا النضال. فقد استخدموا عبارات مثل قولهم:

---

(١) هي الحتمية أو الجبرية (الإيمان بالقضاء والقدر): مذهب يقول بأن أفعال المرء والتغيرات الإجتماعية ثمرة عوامل لا سلطة للمرء عليها .

(2) Naudon , Masonluk , S 197

(٣) بيجل ص ٦٨ (حديث سامبيث في اسبوع الدفاع عن العلمانية ، ديسمبر عام ١٩٢٣) .

(4) Arıç , S , 103

«يجب محو الأديان من تاريخ الكنيسة والقضاء عليها قضاءً مُبرمًا». وتجلى تأثير هذا بعد حين، وكانت فرنسا هي الدولة الوحيدة بين الدول الأوروبية كلها التي كتبت عبارة «الدولة تكون علمانية» في دستورها. ووصلت فرنسا أيضًا، أحيانًا، وحققت التطبيقات العلمانية، وبدت هذه التطبيقات العلمانية تبرهن على وجودها في شكل التدخل في الشؤون الدينية للدولة. وكان تعبير علمانية جاكوبان Jakoben هو بمثابة المصدر الذي انبثقت منه هذه التطبيقات العلمانية.

ولما ظهرت حركة التغريب في الدولة العثمانية، تم اقتباس النموذج الفرنسي من أجل تأسيس أول علاقة مع أوروبا. ولهذا السبب دخلت إلينا مبكرًا أعراف وتقاليد الماسونية الفرنسية، وجاءت من فرنسا الاتجاهات التي أظهرت الخصائص الإلحادية للماسونية التركية. أما التطبيقات العلمانية الموجودة في تركيا منذ العهد العثماني حتى وقتنا الراهن، فكانت في معظم الأحيان مُؤسسة على فكرة ومفهوم علمانية جاكوب أو ما تُسميه السمة الفرنسية، حتى إن الحديث دار حول وجود تطبيقات للعلمانية الملحدة في روسيا الاشتراكية إبان حقبة الحزب الواحد.

لقد فُهِمَت العلمانية في أيامنا هذه على أنها تُحيي كل الأديان والمذاهب والعقائد الفلسفية في لُجَّةٍ من الهدوء والسكينة والاسترواح، ناهيك عما تضطلع به في فصل الشئون الدينية عن شئون الدولة. فالدين لا يتدخل في شئون الدولة، ولكن الدولة تتدخل في شئون الدين، وحتى لو تدخلت في طرائق وأشكال الحياة الفردية لهؤلاء المؤمنين فإن هذا يعني حينئذٍ وجود ما يُعرف بـ «Laikili sendrom»، ويُسمى هذا التطبيق باسم العلمانية. لقد عاشت تركيا في يومنا الحاضر بثورة ٢٨ فبراير ولم يكن ثمة علمانية حقيقية في دولتنا، بل تم الوقوف على كيف تكون العلمانية حاكمة ومهيمنة، وظهرت مقالات للماسوني جو شقون قيرجه [١] منشورة في الصحف التركية، ويشير فيها إلى الماسونية العملية ذات الحركة النشيطة الدؤوب قصصة، وقد تم الحديث عن هذه المقالات بإسهاب في كتابنا المسمى يهود الدونمة، وتيار الدونمة.

الماسونية والحضارة الغربية:

ثمة جانب آخر كشف عنه الماسون ويتمثل فيما اضطلعوا به من دفاعهم عن الحضارة

(١) إن التكوين الماسوني لجو شقون ، قيرجه يتبوأ مكانة في الصحيفة رقم ٣٩٤ من كتاب الأستاذ إلهامى سوى سال المسمى " الماسوني و الماسونية في تركيا والعالم" وكان جوشقون هذا سفير لتركيا في حلف شمال الأطلنطى ، ثم أحيل الى التقاعد عندما كان سفيرا لتركيا في الولايات المتحدة الأمريكية .

الغربية. وقد عالج هذه المسألة الماسوني آجه رن في كتابه وخصص لها قسمًا مستقلًا أسماه: الحضارة الغربية والدور الذي اضطلعت به الماسونية في هذه الحضارة، ويُقسِّم آجه رن مراحل الحضارة إلى خمس مراحل، وقد أنشأت الحضارة الغربية المرحلة الأخيرة من هذه المراحل، وقد اضطلعت الماسونية بدور مهم في ظهور هذه المرحلة وانبثاقها في الوجود وتوجد العلمانية شاخصة بجلاء في أساس هذه الحضارة التي سلف ذكرها، ويقول إن هذه الحضارة هي التي يجب نقلها إلى تركيا يعني الحضارة المصطبغة بالصبغة العلمانية الخالصة. ومن ثم ظهر تحالف قوى بين الدونمة والماسون المبشّرين في هذا السبيل، كما ظهر بجلاء تام التأييد والتعضيد الماسوني في موضوع التغريب منذ وجود فرمان التنظيمات عام ١٨٣٩م حيث كان باديًا في الأيديولوجية الرسمية التركية وأهدافها المعلنة.

وثمة جزء آخر من الكتاب أصدره آجه رن بهذا العنوان: ما الذي يجب علينا أن نفعله من أجل التكييف والتأقلم مع الحضارة الغربية؟ إن الغرب اليوم أعاد تشكيل الأديان في صورة متقدمة متطورة وكفل الضمان للحياة الروحية الأصلية وطبق ما يعرف بالاقتصاد المختلط واهتم بقيمة الإنسان وحرصه على الإنتاج والاستهلاك، ثم يقول آجه رن بعد ذلك: «يوجد في العالم الغربي ضرب من الديمقراطية المعتدلة التي يميل أحدها إلى الاشتراكية والآخر إلى الليبرالية. ويوجد نظام دولة قانونية يحافظ على المبدأ الرئيسي للعدالة والمساواة والحرية وتعدد الأحزاب». (١)

ورغم ما يستفاد من كلام آجه رن، فإن الماسون لم يتبعوا سبيل نظام سياسي قط، إلا أنه يفهم من سياق حديثه أن هؤلاء الماسون اتبعوا سبيل منهج يمتد من الليبرالية المركزية حتى الاشتراكية. وهذا ما نراه موجودًا عند الماسون ممتدًا من النظام الملكي حتى النظام الشيوعي. ولا سيما أنه كانت هناك زمرة كبيرة من الماسون ممن اضطلعوا بدور كبير في الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧م. وكان هناك عشرون شخصًا من النخبة المختارة من الأعضاء من اليهود الماسون، باستثناء أما تروتسكي Trotksi مؤسس الجيش الأحمر الروسي، فكان ماسونيًا ويهوديًا. ورغم حظر وجود الماسونية في روسيا الشيوعية، فإنها استمرت في ممارسة أنشطتها، وكان الماسون موجودين في كل الهيئات البيروقراطية المهمة للدولة الشيوعية، ونشر حسن جم قائمة طويلة بأسمائهم. (٢)

(1) Egeran, S, 71

(٢) المؤلف السابق ص، ٨٠

وجدير بالذكر أن كارل ماركس وفريدريش إنجلز، وهما المؤسسان الحقيقيان للشيوعية، كانا ماسونيين، وقيدا في الدرجة الحادية والثلاثين في الجمعية الماسونية الإنجليزية [1]، وكان ماركس ذا أصول يهودية.

الثورة الفرنسية والماسونية

يفتخر الماسون قائلين: «نحن الذين صنعنا الثورة الفرنسية»، وكان هذا واحدًا من أفضل الوثائق التاريخية التي أماطت اللثام عن أفعالهم السياسية. فالماسونية هي الابنة غير الشرعية للفلسفة الفرنسية، وهي التي أعدت الثورة الفرنسية، وحُمِدَ القول إن الماسونية هي التي أدت تدريجيًا إلى طائفة من الإصلاحات المقرونة بالأفكار في الدعاية التي اضطلعت بها لهذه الثورة في صورة مستمرة لم تنقطع. [2] وكان الفلاسفة الفرنسيون، وفي معيتهم الماسون، قد اشتركوا معًا في زرع بذور الثورة الفرنسية وروّجوا لأفكار الماسون التي تنادي بالحرية والأخوة الإنسانية والمساواة في الحقوق. وما الثورة الفرنسية إلا أثر من آثار الماسون. [3] وكان الماسون إبان الإرهاصات المبكرة للثورة الفرنسية يتمتعون بنفوذ عظيم ويحظون بأهمية كبيرة في فرنسا. وكانت هناك جمعية ماسونية في اللواء الثاني والسبعين للجيش الفرنسي عام ١٧٨٠م. وفي عام ١٧٨٤م كان هناك قرابة ثمانمائة جمعية ماسونية في فرنسا، ناهيك عن وجود مائة وسبعين جمعية ماسونية تابعة للجمعية الماسونية الكبرى. [4]

وكانت الثورة الفرنسية هي أم الثورات المشابهة التي أعقبتها، واضطلع نابليون الأول الماسوني بنشر أفكار الثورة التي سلف ذكرها والتي قامت على أساس القومية والليبرالية والعلمانية. وامتدت هذه الأفكار حتى شملت أوروبا ووصلت إلى منطقة الشرق الأوسط، وسرعان ما ظهرت الآثار السلبية لتيار القومية الذي حرض على تمزيق أوصال الدولة العثمانية وتشتيت شملها.

(1) Cem .S 229 – 236

(2) Prof . Abdussabur Merzuh , kültür Emperyalizmi , Hedef ve Metotları , Çev A , Sarı , Hilal Yy , Ankara , 1980 , 1980 , S 124

(3) Naudon Masonluk .S 92

(٤) يرى Naudon – Boucher أن كُلًّا من: مونسيكو، وفولتير، وجان جاك روسو، هم آباء الفكر للثورة الفرنسية، وكانوا جميعًا ماسونيين.

هل الماسونية هي اليهودية والصهيونية؟

على حين وجدت احتمالات متباينة بشأن الماسونية، فإن اليهودية سرعان ما ظهرت بين هذه الاحتمالات، وظهرت أفكار على لسان اليهود تؤكد أنها تعمل في خدمة اليهود والماسونية. وها هي ذي طائفة من النماذج التي شاعت في تركيا في ذلك الإبان: «إن الماسونية موجودة منذ بضع سنين من الزمان، وهي مذهب يزعم أنه سُحق تحت وطأة ظلم البشرية وازدرائها. أما اليهودية فإنها فقدت الوطن والحكومة وأرادت الانتقام من البشرية، ولأجل هذا فإنها وجدت لتلعن الأخلاق والأمم والشعوب والأوطان».

ويجب ألا نفهم من تعريفنا هذا أن كل اليهود كانوا ماسونيين وينكرون الدين والمقدسات وأنهم أعداء الله. والقسم الأكبر من اليهود لا علاقة لهم بالماسونية. ولا شك أن اليهود أصحاب مذهب يتسم بالسحر والشعوذة ويسمى Kabbala، وهم الذين أنشأوا الماسونية.

ومن ثم فإن الماسون لا يعدون يهودًا من حيث العقيدة. وإذا كانت كثير من دساتير اليهود مقتبسة من الثورة والتلمود، فإنهم كانوا في آخر درجاتهم ومنازلهم متمسكين بلعن الحق سبحانه وتعالى وتقديس ملك الثور أي الشيكان، وهذا شيء تحقق صدقه اليوم. [1].

لا يوجد اليوم في العالم يهودي ليس ماسونيًا. بيد أنه لا يوجد ماسوني واحد لم ينضم إلى الحدود الضيقة لتأثير الجامعة الماسونية على أي نحو من الأنحاء. وكل يهودي هو عضو تابع للماسونية الدولية.

إن مبادئ الدستور الماسوني الصادرة في عام ١٢٧٣ والمعروفة باسم قانون آندرسون قد أزالت الفوارق الدينية والعرفية والطبقية، ولكنها أخفقت في إعطاء الوجه الحقيقي الذي تريده الماسونية، كما أنها أسعدت كثيرًا من اليهود ممن أخفقوا في الاستفادة من المكاسب العالمية التي يريدونها. ولم تبق عقبة كأداء في هذا السبيل، وسرعان ما بدأت الماسونية تنتشر بسرعة مطردة. [2]

لقد عرف زعماء اليهود أن غايتهم المنشودة تتمثل في استخدام أحلامهم التي تراودهم من أجل الاستفادة الجمة من الشعوب الموجودة في الدول الأخرى وصبغهم بالصبغة الماسونية

(1) Naudon Masonluk .S 87

(2) Şehbenderzade Ahmet Hilmi , Müslümanlar Uyanın , Bedir Y , evi , İstanbul , 1966 , S, 69 – 70

الخالصة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا. ولا جرم أن المعبد والمعبد الماسوني اللذين انتقلا إلى الثورة هما صنوان يشبه بعضهما بعضًا. وإن معظم الكلمات التي تعد مقدسة عند الماسونية قد جاءت جميعها من اليهودية.

لا جرم أن اليهود في كل حدب وصوب قد اضطلعوا بخدمة الماسونية وتطويرها في كل حدب وصوب، وتبوأوا أعلى المناصب والدرجات في الجمعيات الماسونية، وأن معظم الأشخاص من ذوي التحصيل العلمي والذين يُقال عنهم إنهم ارتدوا عن اليهودية في تركيا قد تبوأوا منزلة عالية في الماسونية على مدار التاريخ. ومن ثم فإنهم وجهوا الماسونية إلى الغاية التي ينشدونها. ونحن على يقين أن الماسونية كانت دائمًا منحازة لليهودية معضدة لها، ناهيك عن أنها اضطلعت بدور يحقق المنافع القومية للدول الإمبريالية المرتبطة بالجمعيات الماسونية. ولكن الماسونية لم تتحلل دائمًا من الدور الرئيسي لها في تحقيق المنافع اليهودية والإسرائيلية. (١)

إن الماسونية ما هي إلا اسم جديد وقناع آخر للشريعة اليهودية. وإن أديان الماسون ما هي إلا دين يهود القبالة وأعرافهم وتقاليدهم ورموزهم وعبادتهم، وكل شيء عندهم مصطبغ بالصبغة العبرانية الخالصة. وإن الأهم هو آدونيا ومعبودهم العجل الذهبي، وعقائدهم باطلة ومتخلفة بكل ما في الكلمة من معنى.

حكوماتهم مقبورة في ماضٍ سحيق الغور حالك الظلمات، متدثرة بسديم من الضباب، مستغرقة في لجة من الأكاذيب المختلقة المفتأتة. إنها حكومات رجعية ومدعاة للسخرية والاستهزاء والجدل والسفسطة. وظاهرة للعيان، وينكرون كل الأديان حتى إنهم لا يتورعون عن أفكار وجود الله. وهم أعداء ألداء لكل مقدسات الأمم والشعوب، والثورة زاخرة بالآيات المحرفة المتعلقة بما يعرف بحرام أرسطو الذي اتخذته هذه الزمرة اليوم نبيًا لهم ورمزًا لمقدساتهم. (٢) واليوم أي بعد عام ١٩٥٠م نعيش الأيام التي اشتدت فيها حدة الصراع بين أولئك الناس القوميين والمتدينين الأطهار وبين غيرهم من الماسون.

لا جرم أن هذا الصراع قديم وله ماضٍ يمتد حتى قرن مضى من الزمان، ولكنه لم يحقق

(1) Masonluğun İçyüzü , yeni İstanbul Gazetesi Yy, İstanbul , 1968 , S 2

(2) Gün – Çelikler ,S 13

العلانية والشدة بمثل ما هو عليه في الوقت الراهن، ولم يصل إلى مرحلة حرب الحياة أو الموت.

وفي الحقيقة، لقد كان الترك منذ أن أسلموا أعداء ألداء للماسون، وأن هؤلاء الماسون أعداء لديننا وتاريخنا ومقدساتنا. ولم ينظر اليهودي إلا بنظرة الخادم أو الأجير، كما كان المسلمون يعلنون صراحة مشاعر الغضب والنفور والاشمئزاز والازدراء تجاه الماسون.

وإذا وجب التعبير عن هذا بكلمة واحدة، فإننا نقول إنه لم تُرَ عداوة ماسونية ذات خطر عظيم وظاهرة للعيان مثل تلك الموجودة في تركيا، بما في ذلك كل الدول المثقفة على وجه البسيطة. وفي الوقت نفسه، فإن الماسون الموجودين في كل حدب وصوب من أرجاء المعمورة لم يضطلعوا بخيانة الوطن كما فعل الماسون في تركيا. (١)

ما نسميهم الماسونية لهم جذور في الخارج، وهم عنصر يهودي زمامهم في يد الصهاينة ويمثلون عنصرًا فاسدًا. (٢)

أما النماذج الغربية من هؤلاء الماسون، فإنهم استخدموا كلمة يهودي وكأنها قناع لتنظيم ماسوني يختفون وراءه. (٣)

ويفهم من هذا وجود علاقة روحية معنوية تربط بين اليهودية والماسونية، فاليهود ينظرون إلى الماسونية بعين توحي بأن الماسونية وسيلة متغيرة تمامًا لخدمة أهداف اليهود وتحقيق أغراضهم الخبيثة، ومن ثم فإنه لا ضرورة لإخفاء نشاطهم ومداراته. (٤).

ويعترف اليهود والماسون بأن «الماسونية تعتمد على اليهود وأسست عليها، وإذا خلعتم اليهودية ونزعتموها من الماسونية فلن يبقى لها شيء». (٥)

لقد كانت الماسونية أعظم وسيلة لتحقيق الأغراض السياسية والاجتماعية والثقافية من أجل اليهود. وقد اتخذ اليهود الموجودون في العالم اليوم الماسونية لتكون وسيلة لهم في تحقيق

(1) Hikmat Tanyu , Tarih Boyunca Yahudiler ve Türkler , C I , Yağmur Yy , İstanbul , 1977 , S , 1289 – 1290

(2) Atilhan , S , 7

(٣) المؤلف اسابق ص. ٤٨ – ٤٩

(٤) المؤلف السابق ص ٧٤

(5) Rogriguez , S , 249

أغراضهم وتلقين الروح اليهودية للجمعيات الماسونية بواسطة إخوانهم الماسون ممن يتمتعون بالاجتهاد والحمية والنشاط المؤثر الفعال. وها هو ذا واحد من الكتاب الإنجليز الذي يبين العلاقة الوطيدة بين اليهودية والماسونية فيقول: «إذا لم يكن هناك يهودي ماسوني المولد، فإنه سيكون حينئذ يهوديًا مصطنعًا متكلفًا». [1]«لا وجود لجمعية ماسونية دون يهودي. ولا يوجد مذهب في المعابد اليهودية، ويوجد عند الماسون رموز تشبه هذا، ولهذا السبب فإن المعبد الإسرائيلي هو حليفنا التابع لنا». [2]«والماسونية بعيدة عن العداوة اليهودية، واليهود أحرار في دخول الجمعيات الماسونية متمتعين بالمساواة في كل الحقوق». [3] وعلى حين تؤسس علاقة حميمة بين اليهودية والماسونية، فإنه توجد دراسات وأبحاث تدور حول المؤسسة الماسونية التي تضطلع بخدمة اليهود، ويُعزى هذا للأسباب الآتية:

١ - أزمة الهوية:

ظل اليهود الموجودون في أوروبا المسيحية إبان العصر الوسيط معرضين لمعاملات عدوانية بسبب اختلاف أديانهم وأعراقهم. أما أوروبا التي لم تستطع تحمل الأديان المختلفة، فإنها سرعان ما مارست ضغوطها ضد كل من اليهود ومسلمي الأندلس الذين يعيشون في بنيتها من أجل تغيير دينهم، حتى إن أوروبا أسست من أجل هذا ما يعرف بمحاكم التفتيش، وبلغت العقوبات حد الإعدام على أولئك الذين لم يغيروا دينهم. أما اليهود الذين اضطروا إلى تغيير دينهم، فإنهم أصبحوا من يهود الدونمة وأطلق عليهم اسم مارون وفق التعبير الأوروبي. أما من لم يرغبوا في تغيير دينهم، فهاجروا إلى الدولة العثمانية، وأما الباقون، فإنهم حاولوا المحافظة على قوتهم مقاومين الظلم والتعسف والإضهاد. ويمكن القول إنه في هذا المناخ ظهرت فلسفة ماسونية من أجل مساعدة اليهود. وظهرت في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ما يعرف بالماسونية العملية، وكان من بين مبادئها تعبير عدم ملاحظة الفروق العرقية والدينية والمذهبية واللغوية. وكانت هناك بقية باقية من اليهود الذين كانوا مسرورين من بداية ردود

(1) Theodor Fritsch , Tarih Boyunca Yahudi meselesi Çev – M Abdurrahman Akçağ Yy, Ankara , 1972,S 228,229

(٢) المؤلف السابق ص. ٢٢٩

(3) Gün –Çelikler ,S 114) Aechive İsraelite , Mart 1904

الفعل والأفكار التي تنادي بالمحافظة على حياة الأخوة الإنسانية مقرونة باحترام الفوارق الدينية والمذهبية التي سلف ذكرها. بدأ اليهود في تأييد الماسونية وعقيدتها متجاوزين أزمات الهوية التي كان مصدرها الفوارق الدينية والمذهبية والعرقية. ولهذا السبب، فإن معظم أعضاء الجمعيات الماسونية قد تكونوا من اليهود الأثرياء المتعلمين، وكان يُنظر بعين الأمل من أجل إنقاذ اليهود من مفهوم الهوية المشتركة التي ظهرت حديثًا في ذلك الإبان. ولهذا السبب، فإن علاقة اليهود المتطرفة نحو الماسونية قد مهدت السبيل لتأسيس علاقة يهودية ماسونية.

٢ - النظم الدكتاتورية:

كانت توجد نظم ديكتاتورية تعتمد على تحالف الباباوات والممالك الأوروبية إبان العصر الوسيط المسيحي. وقد رأى اليهود ظلمًا واضطهادًا تحت وطأة هذه القوانين العنصرية الظالمة ولم ينضموا إلى هذا النظام. وقد حثت الماسونية اليهود ورغبتهم في الدخول في الماسونية واعدة إياهم بتحقيق المساواة لأفراد المجتمع دون تفرقة بينهم. وقد أيدت الماسونية في بداية الأمر كل الثورات الاجتماعية والسياسية بناءً على قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. وكانت الماسونية تأمل في تسوية الأوضاع والمواقف العالمية. ولا جرم أن هذا التأييد شد من أزر إقامة العلاقة اليهودية الماسونية، وكان اليهود ضالعين إلى حد كبير في نشوب هذه الثورات.

٣ - اقتباس الكلمات والإشارات والرموز الماسونية من الثقافة اليهودية:

كانت الثقافة اليهودية هي المصدر الأول للماسونية في بداية نشأتها، واعتمدت الماسونية في ذلك على أسطورة «حرام أسطى»، كما اقتبست طائفة كبيرة من الكلمات الخاصة والرموز والإشارات من الثقافة اليهودية وحضارتها، وقدمت إلى الجمعيات الماسونية مصطبغة بالصبغة اليهودية، مما كان سببًا في توثيق عُرى العلاقة الماسونية اليهودية.

٤ - الفلسفة القبلانية:

وهي فلسفة دينية سرية عند أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط، مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيرًا صوفيًا. لم تظل الماسونية رازحة تحت تأثير الرموز والكلمات والإشارات المقتبسة من الثقافة اليهودية فحسب، بل تأثرت أيضًا بالفلسفة اليهودية ولا سيما

الفلسـفة القَبَلَانية. والقبَلَانية هي تفسـير صوفي للتوراة، وحظيت هذه الفلسـفة بشـأن عظيم على يد الماسـونية لكونها تحمل السـمة العلمانية وخصائصها، وورد ذكر هذه الفلسفة في المعجم الماسـوني الذي أعده الماسـون، وجاء فيه: «القبلانية هي مذهب سري يرتبط مصدره بالشرف، أنها في الوقت نفسـه ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالديانة اليهودية، وتفسـيرها للتوراة صعب عسير إلى حد ما، وهي تبين الله والإنسـان والدنيا في شـكل من الرمزية والتشـبيه. وهي تميل نحو الإيمان بالقوة الخفية وبإمكان إخضاعها للسـيطرة البشرية عن طريق بعض المفاهيم والأفكار الفلكية والرياضيـة والتنجميـة. وقـد اضطلعـت هذه الفلسـفة القَبَلَانيـة بدور مهم خلـف تأثير قوي في نفـوس بعض المسـتنيرين والمثقفـين. وإن بعض النظم الماسـونية تعتمد برمتهـا على الأفكار والمعرفة القبلانية». [1] وعلى حين يبحث الأسـتاذ صباح الدين آريج عن العلاقة بين الماسـونية والقبلانيـة، فإنـه يقول إن كليهما يمثلان مذهبين سريين غامضـين، ويقول: «إن المذهب الخفي الـسري في القبلانيـة هو اسـم للقوة الخفيـة الموجودة في اليهوديـة. وهذه العقيـدة تفسر المعاني المجازيـة للتـوراة وهـي الكتاب المقدس عنـد اليهود. وتـرى القبلانية أن الله مـا هو إلا وجود روحي ولا سـبيل إلى أن يُرمز إليه في شـكل محدد معين، وهو أبدي سرمدي لا يرى ولا يُدرك. وهـو يبرهـن على ذاته باعتبـاره كونًا. وهو بهذه الهيئة يعد وجودًا ماديًـا. وهو كل يحيط بالكون كله. وإن الموجودات الحية وغير الحية المشاهدة في الكون ليست أجزاء هذا الكل بل هي الكل نفسه. فالوجود واحد. ومن هذه النظرة فإن الله يكون نموذجًا للإنسان».

لقـد أثـرت القبلانية أو القوة الخفية اليهودية في المؤسسـات السرية الخفية التي ظهرت إبان عـصر النهضة والعصر الوسـيط، وكانت رموزها دينية، وقد انتقلـت جذورها وآراؤها الخفية المستترة إلى عقيدة المجلات الماسونية في هذا العصر. [2] كانت الفلسفة القبلانية خاصة باليهود، وكانت الأمة اليهودية من أشد الامم قربًا من الفكر العلماني طوال التاريخ، واضطلعت بتسهيل التكيـف مـع هذا الفكر الفلسـفي [3]، وتمخـض عن هذا إثـارة الحديث عن العلاقة الماسـونية اليهودية.

(١) المؤلف السابق ص . ١١٥ جريدة أقاصيا ١٩٠٨ العدد ٦٢

(2) Atithan Masonluk Nedir ? , S 42 Akasya Dergisi , 1908 , No 98

(٣) كان اليهود من أكثر الامم في التاريخ التي أُرسل اليها كثيرا من الانبياء ولكنهم كانوا يعصون أوامر الله

٥ - شروط تكوين العضوية في الماسونية:

يجب على من يريد الالتحاق بالعضوية في الجمعيات الماسونية أن يكون أولًا ذا شخصية علمانية ومتمتعًا بالثراء العريض. وكان اليهود قريبين ممن يشتغلون بالتجارة والصناعة وأعمال المصارف، وكان الغنى في أي أمة سيلفت انتباه اليهود في كل وقت وحين. وكان معظم أعضاء الجمعيات الماسونية ممن كونوا من اليهود واصطبغوا بالصبغة اليهودية الخالصة.

٦ -الصهيونية:

كانت العلاقات الماسونية اليهودية تدعو إلى وجود ماسونيين ذوي أصل يهودي صهيوني يكون هدفهم تأسيس دولة يهودية مستقلة، ومن ثم فإنهم استخدموا اليهود من أجل تحقيق أهداف الجمعيات الصهيونية.

وخلاصة القول، أن اليهود كانوا في طليعة الأمم التي استفادت فائدة جمة من الحركة الفكرية الماسونية، وقد ظهر هذا نتيجة للوجود الطبيعي لأحوال هذه الحقبة من الزمان. ورغم هذا، فإنه ليس من الصواب القول إن إقامة العلاقة الماسونية اليهودية قد استحوذت على كل الماسونية والماسون في كل حدب وصوب. ومهما يكن من أمر، فقد عرف اليهود كيف يستخدمون الماسونية ويستفيدون منها فائدة جمة.

ويمكن القول إن اسم اليهود ظهر في استخدام الماسونية. حتى إن الأمة الإنجليزية كانت أكثر استخدامًا لهذا الاسم، وهذه الكلمات الآتية تنسب إلى أحد الماسون الإنجليز وقد تفوه بها في عام ١٩٠٢م حيث يقول فيها: «إن عظمة بريطانيا هي أثر من آثار الماسونية». [١] ومن المعلوم أن إنجلترا كانت بمثابة الركن الأم والمهد الأول للماسونية الفكرية التأملية الحديثة. فقد انتشرت الماسونية في كل أنحاء العالم منطلقة من إنجلترا، حتى إن الماسون في كل الدول كانوا يضطرون إلى استئذان إنجلترا من أجل فتح جمعية ماسونية في بلادهم. وبناءً على ما سنراه فيما بعد، كانت الماسونية ذات تأثير قوي باعتبارها مؤسسة اضطلعت بخدمة الإمبريالية والاستعمار

(1) Zoletti S , 17

الإنجليزي، وأسست علاقة وطيدة بين الماسونية وإنجلترا، بحيث أصبحت الماسونية هي التي تحكم الإمبراطورية الإنجليزية التي لا تغيب عنها الشمس.

لن يستخدم اليهود والإنجليز الماسونية فحسب، بل إنهم سيستخدمون أيضًا الدول الأوروبية الاستعمارية الأخرى، ولسوف يصفون هذا بأنه أمر أخذه الاستعمار الغربي من الماسونية، مثلها في ذلك مثل التبشير. وإذا أمعن النظر في أن يهود الدونمة قد استخدموا في مواضع متفرقة على يد هذا الاستعمار عينه، فإن هذا سوف يتمم حلقات هذا المثلث في التاريخ السري ونعني بهذا المثلث: التبشير، والماسونية، والدونمة.

ردود الماسون أنفسهم على الاتهامات الموجهة إليهم:

اتهمت الماسونية الماسون بالإلحاد، ناهيك عن الاتهامات الأخرى التي وُجهت إليهم، حيث وُصفوا بأنهم منظمة يهودية. وقد جاءت ردود من الماسون على كل هذه الاتهامات. ولنتحدث بادئ ذي بدء عن هذه الاتهامات: «إن كل ماسوني محروم من حب الوطن والمشاعر القومية، وإن كل الماسون ما هم إلا خدام وعملاء سريين لطريقة روحية أجنبية ذات جذور في الخارج». [1]

إذا وجدت الماسونية، فإن وجودها يكون عالميًّا لا محالة.

لقد أسس الماسون الموجودون في تركيا علاقة وطيدة ومهمة مع جزء من الماسونية العالمية وانصهرت في بوتقة الماسونية العالمية، وهذا يعني أنها ذهبت إلى حال سبيلها مولية الأدبار، ولكن أين تكون قوميتها؟ وكان معروفًا قبل قرن من الزمان أو قبيل حقبة من الزمان أن الماسونية في تركيا ما هي إلا بضاعة مستوردة ذات ماركة أجنبية، وظلت حتى الوقت الراهن لا يُعرف لها قومية أو بضاعة من أي أمة.

وكانت الماسونية بمثابة قوة سرية تعمل داخل الجمهورية التركية وباسطة نفوذها في كل حدب وصوب منها، وإن قولهم إننا لا نشتغل بالسياسة ما هو إلا نوع آخر لأكذوبة أخرى جرت على ألسنتهم، يقولون فيها إننا نحترم الأديان ونوقرها [2].

(1) Arıç ,s,97

(2) Fritsch ,s,90

إن الماسـون في تركيـا حتـى عام ١٩٥٤م كانوا يترددون في ممارسـة نشـاطهم، ولا سـيما أن المشـاعر الدينيـة والقوميـة للأمـة التركيـة جعلـت هؤلاء الماسـون يترددون بشـدة في سـحب الخصومة الشعبية، مما جعلهم يطبقون مبدأ تفعيل وتنفيذ أغراضهم داخل إطار من السرية [١].

الماسونية تنظيم دولي ذو جذور في الخارج، وهي منظمة عدوة لدود للأمة التركية والقومية والدين. [٢]

يقـول روجريجيوز Rodríguez في دسـتور شـيلي الماسـوني: «يجب على الماسـونية احترام الأفـكار السياسـية لأعضـاء الجمعيات الماسـونية، ويُحظر رسـميًا وقطعيًـا كل ضروب الجدل والمناقشـة المتعلقة بالسياسـة». ورغم ما تبوأته هذه العبارات من مكانة، فإن الحديث عن هذه المادة الكاذبة من الدستور التي تتضمن السياسة وتحظر التدخل في المعتقدات الدينية للأعضاء، ثـم يتحـدث بعد ذلك عن الماسـونية مادحًـا إياها على مـا اضطلعت به مـن دور عظيم في قيام الثورة الفرنسية. [٣]

وهـا هي ذي اعترافات الماسـون المتعلقة بالمزاعـم التي سردناها آنفًا: «يُقال إن الماسـونية لم تشـتغل بالدين أو السياسـة طوال مدة من الزمان، فهل يا ترى هل هذا تزييف وافتراءات؟ أنا لا أعتقد هذا، فنحن قد اضطررنا إلى إخفاء أهدافنا الأصلية بسبب تضييق الخناق الذي فرضه علينا القانون والبوليس. نعم، نحن كنا مشـغولين بالسياسـة ونشتغل بها في كل اجتماعاتنا، بل نشتغل أيضًا بالسياسة العليا». [٤]

لا يقبل الأشخاص المتدينون في الجمعيات السرية الماسونية، ويجب على كل إنسان جديد يلتحق بالجمعية السرية أن يكون قبل كل شيء رجلًا ذا فكر حر، والماسون الحقيقيون غير متدينين. [٥]

كل شيء عندنا نحن الماسـون مُتدثر ومستتر بسـتر الأسرار، فنحن نحقق نجاحات عظمى ونخوض حروبًا ميدانية كبرى بقوة الاتحاد والمحافظة على الأسرار. [٦]

---

(1) –Masonluğğn İçyüzü ,s,89

(٢) المؤلف السابق ص. ٣ و ٨٤

(3) Cem ,s,26

(4) Cün –Çelikler ,s,56

(٥) المؤلف السابق ص . ٣٦

(6) Rogriguez , S ,117

يجب على الماسونية أن تُشعر غيرها بنفسها في كل مكان، ولكنها يلزم عليها ألا تظهر وتُرى في أي مكان البتة. (١)

إن أهم الأدوار السياسية للماسونية يتمثل في الصراع مع الدين والدفاع عن الديمقراطية في الدولة العلمانية. (٢)

" الماسونية ليست خادمة للأحزاب السياسية، بل هي سيدها. (٣)

يجب على الشخصيات التي تشكل الحكومة أن تكون من الإخوة الماسون، أو تظل محرومة من هذه الوظيفة. (٤)

إن مؤسساتنا في مسألة الحكم والإدارة تتخذ من الشعائر والطقوس البلجيكية القديمة مثالًا يحتذى. (٥)

إن الماسونية هي قوة الحكم الخفية للجمهورية الفرنسية، وهؤلاء الحكام الفرنسيون يفعلون ما يريده الماسون. (٦)

تغلغلت الماسونية في جمعية الاتحاد والترقي من أجل الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني وإقامة الحكم الدستوري، ونظمت صفوفها من أجل القضاء على هذا الطاغية، ووفرت الحماية للمثقفين وأعضاء جمعية تركيا الفتاة. وكانت هناك جمعيات سرية متدثرة بهوية الأحزاب السياسية، وأخذت هذه الجمعيات تناضل وتقاتل من أجل إقامة النظام الدستوري، وسرعان ما أصبحت الجمعيات الماسونية الموجودة في سلانيك بمثابة مركز لإصدار القرار في كثير من الشؤون المهمة والموضوعات السياسية على حد سواء. (٧)

وكان اشتغال الماسونية بالسياسة سببًا في اهتمام الماسون الترك بالسياسة بشكل مكثف سواء

(1) Atithan Masonluk Nedir ? , S 14

(٢) المؤلف السابق ص ١٤ ظباط المجلس الماسوني الفرنسى العظيم ، ١٨٧٩ ص . ٥٤

(٣) المؤلف السابق ص ١٥

(4) Mıchel ,s,29 –Fransa Maşrıkı Azamı İçtimai Zabıtları , 1922 ,S 362

(5) Cem ,s,91 –Akasya Dergisi ,No 91, 1904 ,S 256

(٦) المؤلف السابق ، ص ٩١

(٧) المؤلف السابق ، ص ٩٤

إبان المشروطية الثانية ١٩٠٨ – ١٩١٨م أو في سنوات الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨م أو بعد فترة الهدنة ١٩١٨ – ١٩٢٠م. (١)

ويشرح هذا الماسوني السابق أي قوت يازجان فيقول: «لقد عُقدت الاجتماعات واضطلعت بطائفة من الشعائر والطقوس في الجمعيات السرية، ثم تحولت بعد ذلك إلى المناقشات اليومية، ويمكن أن تكون هذه الموضوعات ذات مغزى عظيم. ثم الحديث عن كل شيء يتعلق بالمجتمع، مثله في ذلك مثل الأحداث السياسية». (٢)

ثمة سؤال يقول: إلى أى حد كانت الماسونية التركية تتمتع بالحكم الذاتى؟ الجواب: أنتم الآن قد كونتم جمعيتكم الماسونية واضطررتم إلى الحصول على شهادة مواطنة موثقة من الخارج، ثم ألغيت هذه الجمعية كى تحقق الماسونية الحكم الذاتى الخاص بكم. وهذا هو بعينه ما ندافع عنه مع طائفة من أصدقائنا؛ لأن الماسونية ما هي إلا شكل فكرى، وهذه بضاعتنا التي يجب علينا أن نجلبها من الشرق والغرب على حد سواء. وهذه هي الغاية المنشودة، ومع الأسف فإننا أخفقنا في تحقيقها. (٣).

ويجب عند تأسيس جمعية ماسونية الحصول على شهادة رئيسية من الجمعية الماسونية الكبرى، وأن الماسون الموجودين في شارع النور والضياء كانوا بمثابة المؤسسة التي تعمل بالشهادة التي تحبها إنجلترا، أما الماسون الموجودون في منطقة تبه باشى فكانوا يمارسون نشاطهم بالشهادة التي حصلوا عليها من الماسونية الفرنسية. (٤).

سؤال: هل يوجد أولئك الماسون من أجل تحقيق مصالحهم الكبرى؟ وعلى سبيل المثال: ألا يوجد الماسون الذين تبوءوا المناصب العليا في التجارة والصناعة؟

الجواب: نعم يوجد. وهل يمكن ألا يوجد؟ لقد امتد هؤلاء الماسون حتى وسط أنقرة، ولكل شخص مصلحة وله حاجة للمال. أو إنه كان يريد المجيء إلى أماكن أخرى. ثم يبحث

(1) Atilhan , Masonluk Nedir , S , 31 – Büyük Şarkı Mecmuası , 1334 , S , 16

(٢) المؤلف السابق ص. ١٤

(3) Arıç , s , 111

(4) Ana Britannica , Mason Maddesi , C –V , S411

وينقب، وهو حينئذ إما أن يجد الماسونية شاخصة أمام ناظريه أو يواجه شخصًا آخر. ويختار واحدًا منهما ويعود إلى ركنه. والآن، هل يختار هؤلاء الماسونية؟ حينئذ يصبح وسيلة من وسائل الماسونية. وتركيا تموج بمثل هذا الصنف من البشر. (١)

وإذا أتينا إلى رد الماسوني على مثل هذه الأسئلة فإننا نقول: «يمكننا العثور على الردود من خلال الوثائق الماسونية، في نظام الماسونية التركية التي لا تعرف قوة مساوية لها أو أعلى منها في الداخل والخارج على حد سواء. (٢)

إن الماسون الأحرار مضطرون إلى اتباع قوانين الدولة باعتبارهم مواطنين أو ماسونًا ويخدمون وطنهم بشرف.

والماسوني الحر مرتبط بالوفاء والإخلاص لوطنه، ويعرف أن مصالح الدولة واستقلالها وحريتها وحماية حياتها ونظامها واجب مقدس.

تريد الماسونية المحافظة على الأسرار بصورة جازمة، وإن تاريخ الماسونية الحرة ومبادئها ليست هي السر الوحيد الجدير بالحفظ.

تقبل الماسونية الحرة تجربة الضمير والعقيدة والتفكير لأعضائها. (٣)

ليس للماسونية كنيسة ولا حكومة ولا حزب سياسي، ولا ناد ولا جاسوس أو عميل سري تبشيري، ولاتنظيم دعائي، ولا مدرسة دينية أو مسرح. (٤)

ماسونيتنا قومية، وكلمتنا مستقلة بكل ما في الكلمة من معنى، و الماسوني محب لوطنه لا يعرف التعصب ولا يؤمن بالأباطيل والأراجيف، وهو مثقف تقدمي مجدد متدين، والماسونية ليست سِرًّا خفيًّا، وكل أعمالها واضحة لمراقبة الحكومة وإشرافها. (٥)

إن الماسونية تطبق الدين، وتضطلع بدور في الحزب السياسي، والماسوني يتمتع بحرية

(1) Aksiyon Dergisi , 5 Ağustos 2000 Sayı , 296, S17

(٢) نفس الجريدة السابقة ص. ١٩

(٣) نفس الجريدة السابقة ص. ١٩

(٤) نفس الجريدة السابقة ص ٤٨

(5) Hür ve Kabul edilmiş Masonlar Büyük Locası Tüzüğü , S , 19

مطلقة، ويرعى ما يُمليه عليه الشرف والكرامة، وعندما يكون على هذه الشاكلة فإنه غير مضطر إلى محاسبة أي شخص. إنه لا يكترث بالسياسة، ولا يغوص مستغرقًا في كل الألاعيب السياسية، إننا نفعل كل ما هو ضروري لهذا الماسوني، وهذا هو أفضل ما عندنا. (١)

إن الماسونية عقيدة وليست مؤسسة ذات اتجاه خفي سري أو باطنية. وإن كلمة الباطنية أو السرية تأتي بمعنى العلم الخفي. ولكن عضو المجتمع الماسوني البين يشرح المعلومات الخفية التي يتسنى له أن يعلمها للأشخاص الذين يتمتعون بالكفاية والمقدرة. وإن المفاهيم السرية للمعلومات التي نهتم بها ونطلق عليها اسم الحقيقة هي دون أدنى تفكير رغبة جارفة للبحث والتحري والتفكير.

وهذا هو السر الماسوني، ومن ثم فإن الماسونية بهذه الهوية ليست مؤسسة سرية، بل هي مؤسسة يكتنفها اللبس والغموض. وعليه فإن أبوابها مفتوحة لكل الأشخاص الفضلاء الذين يتمتعون بمقدرة فائقة تمكنهم من فهم فلسفتها. (٢)

لا توجد منظمة ماسونية دولية، ولهذا السبب فإن الماسونية ليست دولية، ولكنها مبدأ مذهبي عقدي منتشر في الدنيا، وعالمية بأفكارها. (٣)

ولكن الأستاذ آريج صباح الدين يحاول إثبات أن الماسونية ليست لها علاقة بالخارج، ويتحدث في هذا السياق عن القرار الذي أصدرته المؤسسات الماسونية التي اجتمعت في مدينة شارلتون الأمريكية في عام ١٨٠٠م وقالت فيه:

«إن كل المؤسسات الماسونية في كل الدول خاضعة تحت حكم هذه الدولة، أي الولايات المتحدة الأمريكية». وقد طبق القرار في اجتماعات الوفود الماسونية الدولية التي عقدت في لندن عام ١٨٧٥م، وفي باريس عام ١٩٢٧م. (٤)

ومن ثم، فلماذا الاجتماعات والقرارات الدولية؟

---

(١) المؤلف السابق ص. ٩, ٨

(2) Mustafa Sakarya , Masonluk ve Menşei ile Bugünkü Tatbikatı , bilgi Mat , 1952 İzmir S , 12

(3) Egeran , s , 161

(4) Arıç , s , 84 ve 94

«ولماذا سرق الماسون الأتراك الجمعيات السرية الماسونية في كل من فرنسا وسويسرا والوثائق الموجودة فيها؟ ولماذا أبدى الماسون الأتراك جهودًا حثيثة حتى عام ١٩٦٥م من أجل معرفة هذه الأسرار على يد طائفة من الجمعيات الماسونية في بعض هذه الدول؟ إن هذه الأسئلة ترد على العقل.

لقد اتهم الماسون في كل الدول بأنهم ملحدون ويشتغلون بالسياسة ويعملون خفية ولهم جذور في الخارج. وقد زعم الماسون عكس هذه الاتهامات حتى لا يفصلوا أنفسهم عن المجتمع ويحولوا دون تبوؤهم مكانة سيئة بين الناس بسبب تأثير هذه الدعايات المغرضة، ولكن سلوكيات الناس المتجهة نحو تصديق مثل هذه المزاعم ظلت زمنًا طويلًا لا تتأخر عن النشر والعرض.

وعلى سبيل المثال، فإن قول الماسون إننا لا نشتغل بالسياسة بناء على اعترافاتهم التي سلف ذكرها يؤكد أنهم كانوا يريدون التخلص من هذه التهمة، قائلين: «إننا لا نشتغل بالسياسة»، حتى ننجو من مطاردة البوليس والقوانين. وبعد ذلك، فسوف تستمر الشكوك تجاه الماسونية، ويفهم من هذا أن الشكوك لن تنقطع أبدًا.

الدول التي منعت الماسونية على مدار التاريخ:

ونحن نعلم أن الماسونية فرضت ما يعرف بالحرمان الكنسي على يد كل المذاهب الخارجية، مثل البروتستانية والإنجليزية، وكذلك المذاهب الإصلاحية للنصرانية، وكان هذا نتيجة لمفهوم ما يعرف بالعقل الديني أو الدين الطبيعي الذي كان مصدره الفكر الربوبي الذي اعتنقته الماسونية.

إن النظم الحكومية للماسونية، والتي صُنعت وحُظرت على يد السلطات الدينية والحركات السياسية التي اتجهت نحو تغيير الصفة العلمانية للماسونية، كانت كلها سببًا في اضطلاع الثورات والانقلابات بدور مهم في هذا السبيل، ناهيك عن السمات الاحتكارية والاضطهاد الذي فرضته النظم غير الديمقراطية، والتي لم تسمح للجمعيات التي لا تخضع لحكمها بإظهار الحقيقة، كما مُنعت أيضًا التشكيلات السرية على يد السلطات السياسية، حتى إنها رأت معاقبة هذه التشكيلات.

وقد مُنعت الماسونية الخارجة على القانون لأول مرة في فرنسا عام ١٧٣٧م، وتم هذا المنع على يد الملك لويس الخامس عشر [١]، وفي عام ١٨٣٧م أصدر لويس الخامس عشر أمرًا بحظر جميع الاجتماعات والجمعيات الماسونية ومنع تأسيسها، وإذا كانت مديرية الشرطة في فرنسا قد أمرت بكتابة كتب ضد الماسون، فإن الجيزفيت[٢] Giztritlen وقفوا ضد الماسونية. [٣]

وما لبث الماسون الموجودون في فرنسا أن تعرضوا للمطاردة على يد الحكومة، بسبب أدوارهم التي اضطلعوا بها في الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وقد وُضِعَ حَدٌّ للأنشطة الماسونية إبان الثورة، وأُعْدِمَ كثير من الماسون شنقًا، وبعد أن كُبح جماح السرعة المطردة للثورة الفرنسية، فإن الماسونية الفرنسية قد أُسِّسَت من جديد، وانفصلت عن الماسونية التقليدية. [٤]

وفي عام ١٧٨٦م مُنعت الماسونية في إيطاليا وكذلك النمسا على يد الملكة مارى تيريس Marie Theresملكة النمسا، ناهيك عن الدور العظيم الذي اضطلع به بابا الفاتيكان في هذا السبيل، أما الماسونية في روسيا القيصرية فإنها حُظرت عام ١٨٢٥م، لأنها كانت ضالعة في تأييد الفوضى والحركات الإرهابية، ولا سيما بعد محاولة قتل قيصر نيقولا الأول، ولما أُعْلِن الدستور في روسيا عام ١٩٠٥م فُتِحَ الباب من جديد للماسونية، ثم منعت الماسونية مرة أخرى في روسيا الاشتراكية، وفي عام ١٩٢٢م عُقِدَ المؤتمر الشيوعي الرابع، وزُعِمَ أن الماسونية هي مؤسسة برجوازية [٥] تحمل الهوية السياسية، ومن ثم أصدر هذا المؤتمر قرارًا بطرد الماسون من الحزب الشيوعي.

(١) المؤلف السابق ص. ١٠٤

(٢) هم الرهبان اليسوع: أو الرهبنة اليسوعية، هي واحدة من أهم الرهبنيات الفاعلة في الكنيسة الكاثوليكية، ومن أكبرها .تأسست على يد القديس إغناطيوس دي لويولا في القرن السادس عشر أيام البابا بولس الثالث في إسبانيا، كجزء من الإصلاح المضاد، وأخذت على عاتقها مهمة التبشير ونشر الديانة النصرانية في العالم الجديد.

(٣) المؤلف السابق ص. ١٠٤

(٤) المؤلف السابق ص. ١٠٣ – ١٠٤

(٥) الطبقة البرجوازية هي شيطان الشيوعية، وتبدو باعتبارها طبقة الأثرياء التي تستمر طبقة العمال في الأدبيات الشيوعية، وتعد العامل ب.....، بيد أن هذه التجربة فشلت في القرن العشرين، وسقط هذا النظام في كل الدول الشيوعية.

قرار بطرد الماسون من الحزب الشيوعي [1]:

وقد مُنعت الماسونية على يد طائفة كبيرة من الدول الشيوعية التابعة لروسيا السوفيتية، وتم هذا عقب قرارات الحظر التي فرضتها روسيا من أجل منع الماسونية. ورغم هذه القوانين التي حظرت وجود الماسونية، فإنها استمرت في ممارسة نشاطها بصفة شديدة السرية والخفاء، حتى إن كثيرًا من المناصب والوظائف ذات المستوى الرفيع ظلت في يد الماسون. ولسوف نرى فيما بعد أن الوضع الذي حدث في روسيا سوف يشبه الوضع الذي فرض فيه أتاتورك الحظر على الماسونية في عام ١٩٣٥م.

لقد عاشت الماسونية حقبة الحظر الكثيفة المتراكمة إبان النصف الأول من القرن العشرين، وكانت الفاشية والديكتاتورية والنازية والشيوعية بمثابة الأنظمة التي كانت تبسط نفوذها وهيمنتها إبان هذه الحقبة من الزمان.

وقد حُظرت الماسونية في إيطاليا التي كانت خاضعة للنظام الفاشي الماسوني، وفي ألمانيا الخاضعة للحكم النازي من أنصار هتلر، وكان هذا منذ عام ١٩٣٠م، وعقب الحظر الذي فرضته الدول التابعة لروسيا الشيوعية. [2]

ومما يُلفت الانتباه في هذا السبيل ذلك الحظر الذي فُرض على الماسونية في تركيا الكمالية التي أسسها مصطفى كمال باشا، والتي كانت تتمتع بسمة النظام الديكتاتوري المحض. ومما يشد الانتباه أن النظم الديكتاتورية العالمية تطبق ما يُعرف بالحالة الراهنة أو الوضع الحالي. وفي الوقت نفسه، فإن النظام الديكتاتوري المطبق في إسبانيا إبان حكم الجنرال فرانكو قد تأثر بالحالة الراهنة أو الوضع الحالي.

إن ماسونية إيطاليا قد أصبحت على يد موسوليني ذات تنظيم أشد تأثيرًا واتساعًا في أوروبا، حتى حُظرت إبان العام نفسه لوصول موسوليني إلى السلطة الحاكمة في السنة الأولى من عام ١٩٢٤م.

(1) Arıç ,s,93

(2) Arıç ,s,93

ولما كان هتلر يرى أن لليهود تأثيرًا قويًا، ولا سيما ضد الوحدة القومية الألمانية، فإنه لم يكد يتبوأ السلطة الحاكمة في ألمانيا حتى أسرع من فوره بحظر الماسونية في عام ١٩٣٣م. وكان يوجد في ألمانيا آنذاك سبعون ألف ماسوني، بيد أنه كان يوجد مائة وسبع وأربعون جمعية ماسونية تابعة للجمعية الماسونية الكبرى الموجودة في مدينة فرانكفورت. وقد طهر هتلر ألمانيا من كل الجمعيات الماسونية في غضون حقبة قصيرة من الزمان، وطرد كل اليهود الموجودين في هذه الجمعيات من ألمانيا، وفي معيتهم زعماء التنظيم الماسوني. (١).

وقد مُنعت الماسونية الموجودة في شبه جزيرة إيبيريك Iberik. أما الجنرال فرانكو، رئيس دولة إسبانيا، فإنه أمعن النظر مليًا في الماسونية والشيوعية، واتهمهما بهما في إحدى مواد الدستور، واتُهما متهمين أيضًا في البرتغال. (٢)

وقد حُظرت الماسونية في فرنسا مرة أخرى إبان سنوات الحرب العالمية الثانية. وتدخل الماسون بشكل مؤثر في حياة شؤون الجمهورية الثالثة في فرنسا، وأصبحوا يمثلون وضعًا سياسيًا. (٣)وفي ١٣ أغسطس عام ١٩٤٠م، أصدر الجنرال الفرنسي بيتان Pétain منشورًا وصف فيه الماسونية بأنها منظمة سرية تضطلع بالفساد، مما دفعه إلى معاملة زعماء الماسونية معاملة اليهود، ومنع نشاطهم في كل الوظائف العامة. وقد أُسست في فرنسا شعبة تسمى شعبة الجمعيات السرية تحت إدارة برنارد فاي Bernard Fay من أجل تطبيق كل هذه المحظورات التي سلف ذكرها. ولما تعرضت فرنسا للاحتلال الألماني، أُلغي قرار الحظر في ١٣ ديسمبر عام ١٩٤٣م. (٤) إن رد الفعل تجاه الماسونية قد ظهر بجلاء في الدول الإسلامية إبان السنوات الأخيرة، وعقد المؤتمر الإسلامي اجتماعًا في عام ١٩٧٣م. (٥)

---

(1) Gün –Çelikler , s , 14

(٢) المؤلف السابق ص ١٥

(٣) وهؤلاء يدحضون كلام الماسون الذين يقولون إننا لا نتدخل في السياسة.

(4) Naudon , Tarihte ve Günümüzde Masonluk , S 101 – 103

(٥) أسست منظمة المؤثر الإسلامي بسبب حرق الإسرائيليين للمسجد الأقصى الموجود في القدس، وذلك ٢١أغسطس عام ١٩٦٩م . لما كان المسجد المذكور مقدسًا لدى كل العالم الإسلامي، فقد اجتمعت كل الدول الإسلامية من أجل اتخاذ التدابير ضد الطغيان الإسرائيلي الذي تجاوز حدوده . وعقد أول مؤتمر بالمغرب، أما الاجتماع الذي عقد في مدينة كراش بباكستان في عام ١٩٧٠م، فقد قرر إنشاء لجنة دائمه من أجل القدس.

حيث تمخض هذا الاجتماع عن اتحاد في الرأي واقتناع بأن الماسونية ما هي إلا مؤسسة منحازة للصهيونية. وأوصى هذا الاجتماع الدول الإسلامية بوضع حد لأنشطة الماسون وطردهم من كل الوظائف العامة. وإذا كانت باكستان قد استجابت لهذا الطلب وأغلقت الجمعيات الماسونية ووضعت يدها على أموالها، فإن المحكمة العليا الباكستانية قد عطلت هذا القرار بعد فترة من الزمان، وصرحت بفتح الجمعيات الماسونية مرة أخرى. (١)

ولسوف نرى في القسم الثاني من هذا الكتاب الصورة التي كان عليها خطر الماسونية في تركيا.

الماسونية وعلاقتها بالبكتاشية والمولوية:

لقد عُرفت الماسونية بأنها مؤسسة غربية، ومن ثم أصبح البحث عن وجود أو عدم وجود مصادرها أو من يمثلها في الشرق مسألة جديرة بالاهتمام. وتفيد الدراسات التي قدمها الماسون أنه توجد آثار للماسونية في تركيا، ولا سيما في البكتاشية والمولوية والآخية أو ما يعرف بجماعة الفتوة. (٢) وهذا هو أحد الماسون، ويدعى كمال الدين أياق، يستنبط رسائل ماسونية ويستنجها من أفكار كل من مولانا جلال الدين الرومي ١٢٠٧ -١٢٧٣م وحاجي بكتاش ولي ١٣٥٢ -١٤٢٩م، والتي وردت في آثار كليهما. ومن هذه الأفكار على سبيل المثال قول مولانا: «أقبل مرة أخرى، أقبل مهما يكن من أمر، أقبل ولو كنت كافرًا أو مجوسيًا أو عابدًا للأوثان. فإن صومعة عبادتنا ليست صومعة يأس وقنوط وانقطاع رجاء. أقبل حتى لو فسدت توبتك مائة مرة». (٣) وعلى حين ينقل كمال الدين أياق هذه المصاريع الأخرى التي وردت على لسان حاجي بكتاش، والتي يقول فيها: «إن تلامذته ينحتون الأحجار ويقدمونها للأستاذ، وهم يذكرون اسم الله موجود في كل درجة من هذا الحجر». (٤)

---

(1) Arıç , S , 91

(2) Egeran S , 27 , Apak , S , 40

(٣) توجد هذه المصاريع في الجزء السادس من المثنوي، ولما كان هذا الجزء قد كتب بعد رحيل مولانا، فقد تأكد أن هذه المصاريع لا تنسب إلى مولانا.

(٤) لما كان الحجر الخام المنحوت له وجود من ثنايا الرموز والاصطلاحات الماسونية، فإن الحجر الذي ورد ذكره في المصاريع ذو علاقة وثيقة بالماسونية، ويمكن أن يكون هذا قد دخل أيضًا بين ثنايا مصاريع يونس أمره فيما بعد لأن رمز الشيء المنحوت أو الاستواء والاستقامة في فلسفة يونس أمره لا تعنى الحجر الأصم، بل ترمز إلى عود الحطب الذي قطع مستويًا وبطريقة منتظمة.

ومن ثم، فإنه لا يخطر ببال أحد أن مثل هذه المصاريع تجري على لسان مولانا جلال الدين الرومي، الذي هو واحد من أهل الشريعة ومتبع لأهل السنة. وإن من لا يقترب من الذنوب في الإسلام يعني أنه أخذ على نفسه عهدًا مع الله، ومن ثم يجب عليه ألا يرتكب ذنوبًا أخرى حتى يمكن أن تقبل توبته. ولهذا السبب، فإنه من المتعذر أن يتفوه المسلم الحقيقي بمثل هذا القول: أقبل حتى إذا فسدت توبتك. وعندما كان كمال الدين أياق يحلل هذه المصاريع التي سلف ذكرها، فإنه يكتب قائلًا: "وهكذا، فإن مثل هذه المواعظ الإرشادية التي جرت على لسان جلال الدين الرومي وحاجي بكتاش ولي وكثير من المرشدين والهادين موافقة تمامًا للأسس الماسونية ومبادئها. وإن هؤلاء الآخيان وجماعة ضاربي [1] السهام الذين حافظوا على وجودهم قرونًا طويلة داخل بنية تنظيم ماسوني موجود في الأراضي التركية منذ سبعة قرون على أقل تقدير، ويمكننا القول إن أفكار هذه الطوائف التي انتشرت في البيئة التركية كانت موافقة لأفكار ومفاهيم التربية الماسونية، وكانت لهم أسماء مختلفة وهويات متباينة. [2]

وكتب أورخان قول أوغلو يقول: «يؤكد الباحثان عبد الباقي جلبنارلي ولويس ماسينيون على وجود تشابه بين كل من الماسونية والفتوة [3] والأخية، ويبدو أن هناك مناخًا لتكوين النموذج التركي فوق الأرض التي مهدت البكتاشية سبيلها. وقد حققت البكتاشية هذا المناخ اللازم والضروري لحرية الجدل والنقاش والجمعيات السرية من أجل دخول الفكر الغربي وآليته إلى داخل المجتمع المسلم. وهذه هي الروح البكتاشية العلوية التي خلقت ظاهرة تسمى

(١) كلمة آخى تعنى في العربية أخي، وتأتى في التركية بمعنى الجواد الكريم مبسوط اليد، وقد أطلق هذا الاسم على اتحاد أرباب الحرف والصناعات إبان عصر السلاجقة، واستمر هذا التنظيم في زمن العثمانين، والآخية تعنى في الاصل أهل الفضيلة والمروءة والأريحية، وهذا التنظيم ينظم ويرتب أحوال العمل للصناع وأرباب الحرف، وتحمي حقوقهم ومصالحهم، ومن ثم فإنها منظمة تتخذ من الصدق والتعاون والتضامن أساسًا لها. وقد انهارت هذه المنظمة وفت في عضدها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، عقب الأزمة الاقتصادية التي أصابت الدولة العثمانية وظهور الثورة الصناعية في أوروبا.

(٢) هو اسم أطلق على تنظيم ضاربي السهام إبان عصر الدولة العثمانية، ولما كانت الفروسية حرفة مهمة، فإنه كان يوجد تضامن وقواعد مراعية يجب مراعاتها واتباعها بين ماسونيين على وجود ثنايا أعضائها.

(٣) الفتوة: تعنى الكرم والسخاء وبسط اليد، وهي معنى مساوٍ للآخية، وتتضمن الفتوة مبادئ الأخوة والصدق المستخدمة في أفكار الآخية.

الصوفيـة المسـتنيرة، أي أربـاب التصـوف العلـماني». [1] ومن المصـادر التركية في هـذا المضمار الكتـاب الـذي كتبه أحمد نـوزاد أو ديا قمر بعنوان «البكتاشـية المولوية الماسـونية»، ويشرح في هذا الكتاب من أوله حتى آخره العلاقات بين الماسـونية وكل من البكتاشـية والمولوية، ويقف في إمعان واستقصاء على التشابه بينهم جميعًا. ويرى الأستاذ أحمد نوزاد أو ديا قمر أن شخصية حاجي بكتاش ولي الموجودة عند البكتاشـية تقابل شـخصية حرام أوسـطى الموجودة في بداية الماسونية، وتقابل أيضًا شخصية مولانا عند المولوية. وقد أسست الطرق الصوفية ملتقى حول هاتين الشخصيتين: حاجي بكتاش ومولانا جلال الدين الرومي. وهذا يعني وجود تشابه بين الأسـتاذ عند كل من الماسونية والطرق الصوفية. كما يوجد أيضًا تشابه فلسفي ومذهبي بينهما. والطـرق الصوفيـة الثـلاث العلوية والمولوية والبكتاشـية تستمسـك في المقـام الأول بالتفكير الدنيوي الذي يظهر الشخصية العلمانية.

إذ تتخذ من العقل أساسًـا وترى الله في الأشـياء والإنسان [2]، والطرق الثلاث تلقن مفهوم «العالمية والتسـامح والأخـوة»، كما أن البنية التنظيمية عند الطرق الثلاث يشـبه بعضها بعضًا. وعند البكتاشـية ما يعرف باسـم «داركاه» أي صومعة التعبد أو الزاوية الصغيرة، أما الصومعة الكبرى فتسـمى باسـم «آسـتانة» أو «الخانقاه». وتوجد عند المولوية ما يعرف باسـم «مولوى خانه»، ويوجد عند الماسونية ما يعرف باسم «locola» أي الجمعيات الماسونية السرية، وكلها تتسـم بسـمة السرية والخفاء. يوجد عند البكتاشية شعار يقول: «أطلق الصوت وتفوه بالكلام ولا تبـح بالـسر ولا تُبح به لأحد». كما أن الالتحاق بالطرق الثلاث مليء بالطقوس والشـعائر والنواميس، وتوجد نظم وقواعد مرعية متبعة في إدارة شؤون هذه الطرق الثلاث، وكلها يهتم اهتمامًا بالغًا بالمرأة والرسـم والشـعر والموسـيقى، ولا يكترثون بالتعصب ولا يعيرونه اهتمامًا. [3] أما الأسـتاذ Naudon – Boucher فيبين في كتابه «الماسـونية في التاريخ وفى أيامنا» رأيه بشـأن التشـابه والتقـارب الموجودين في الطرق الثـلاث، ثم يسرد الآراء التي سردها الأسـتاذ أوديا قمر [4]، ورغم التشـابه الموجود بين الماسونية وخصائص تنظيم الآخية التي شغلت طبقة

(1) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar , S , 250

(2) A , Nevzat Odyakmaz , Bektaşilik , Mevlevilik , Masonluk , Özne Yy , İstanbul , 199 , S, 15 – 18

(٣) المؤلف السابق ص. ٣٢ – ٧٤ – ٩٨ – ٢١٢ – ٢١٦

(4) Naudon Boucher , S , 222 – 227

أربـاب الحـرف والصنـاع في الدولة العثمانية، فإن المولوية والبكتاشـية كانتـا أول الأمر تابعتين لطريق أهل السنة، ثم تغيرتا بعد حين وأصبحتا بعد ذلك منحلتين فاسدتين تعانيان من التردي والانحطـاط. وتسـللت العلمانيـة بـين ثناياهمـا، وأصبحتا على غـير حالتهما الأولى، ويشـبهان الماسـونية تمام الشـبه، ولا سيما أن تشابه البكتاشـية بالماسـونية بلغ درجة مطردة، وأصبح كثير من البكتاشـية يميلون ميلًا عظيمًا إلى الماسـونية بسـبب تبنيها العلمانية، فضلًا عن وجود طائفة الدونمة في بنية المجتمع العثماني.

القسم الثاني

الماسونية والماسون في تركيا

مراحل تاريخ الماسونية في تركيا

يدرس تاريخ الماسونية الموجودة في تركيا مقسمًا إلى أربع مراحل، وهي:

١ – مرحلة ما بين ١٧٢٠ إلى ١٩٠٩م: وهي حقبة الجمعيات السرية المرتبطة بنفوذ السلطة الإكليريكية، وتتناول هذه الحقبة بين ثناياها فترتين زمنيتين، وهما:

أ. الفترة ما بين ١٧٢٠ إلى ١٨٥٦: وهي فترة افتتاح الجمعيات السرية المرتبطة ارتباطًا وثيق العُرى بنفوذ السلطات الإكليريكية والتكوين الأجنبي التام لأعضائها.

ب. الفترة ما بين ١٨٥٦ إلى ١٩٠٩م: وهي فترة افتتاح الجمعيات السرية الماسونية المرتبطة بنفوذ السلطات الإكليريكية والجمعيات التي فتحتها الأقليات الموجودة في بنية المجتمع العثماني، وقد سُجل في هذه الجمعيات الأجانب الأقليات والأتراك.

٢ – مرحلة ما بين ١٩٠٩ إلى ١٩٣٥م: وتمثل بداية نشاط الماسونية التركية ويمكن دراسة هذه المرحلة متضمنة فترتين زمنيتين، وهما:

أ. مرحلة في عام ١٩٠٩م: وهي فترة تأسيس الماسونية التركية وافتتاح الجمعيات السرية المرتبطة بها.

ب. فترة استمرار أنشطة الجمعيات السرية المرتبطة بنفوذ السلطات الإكليريكية الأجنبية في هذه الحقبة من الزمن وافتتاح جمعيات جديدة ثم قل عدد هذه الجمعيات إبان عصر الجمهورية.

٣ – فترة ما بين ١٩٣٥ إلى ١٩٤٨م:

وهي فترة إغلاق هذه الجمعيات على يد أتاتورك في عام ١٨٣٥م، واستغراقها في سبات عميق.

٤ – فترة عام ١٩٤٨م:

وهي استمرار للأنشطة التي أُذن لها مرة أخرى بافتتاح الجمعيات السرية. [١]

فترة ما بين ١٧٢٠ – ١٩٠٩م

الفترة الزمنية بين عامي ١٧٢٠ – ١٨٥٦م:

وهي الفترة التي تمثل دخول الماسونية تركيا وسنوات ظهور الماسونية التأملية والفكرية: وفى هذه المرحلة افتتحت أول جمعية ماسونية في عصر السلطان أحمد ١٧٠٣ – ١٧٢٠م والجمعية الماسونية العربية التي فتحت في منطقة بارشمبه بازار بجلطة بمدينة إسطنبول، وكانت مرتبطة بالجمعيات السرية الكبرى والتابعة بدورها للسلطة الإكليريكية الفرنسية، ولا يعرف تاريخ افتتاح هذه الجمعية، وضمت بين أعضائها أهل جنوة والبندقية والأوربيين المقيمين في إسطنبول إبان هذه الحقبة من الزمان، ويبدو أن نشاط هذه الجمعية قد استمر حتى عصر السلطان سليم الثالث ١٧٨٩ – ١٨٠٧، وما لبثت هذه الجمعية أن أُغلقت إبان مناخ الجدل والنزاع الذي تمخض عن نشوب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. [٢]

وها هي ذي قائمة بأسماء الماسون الترك الأولين، الذين يعتقد أن أسماءهم سُجلت في هذه الجمعية: ابن محمد جلبي يكرمى سكز، سعيد جلبى [٣]، إبراهيم متفرقة صاحب المطبعة، هومبره جى أحمد باشا ضابط مدفعية، ويوسف جلبى تاجر وحسن أغا. [٤]

وقد تم الحديث عن حسن أغا في تاريخ عاصم على هذا النحو: «إن حسن أغا لا يتبع قواعد الإسلام وشروطة، وهو ملحد زنديق لا عقيدة ولادين. وقد تعلم في الدول الأوربية أشياء كثيرة مثل الماسونية والسحر والكيمياء والشعوذة ثم انضم أخيرًا إلى إحدى الجماعات

(1) Egeran S, 30, Apak, S, 41

(2) Apak, S, 28

(٣) أُرسل السلطان أحمد جلبي محمد في عام ١٧٨٢م ليكون أول سفير للدولة العثمانية في باريس، وذهب ولده في معيتهِ ليكون وكيلًا له في مهمته، ومكث كلاهما عامًا واحدًا في باريس ثم عادا إلى إسطنبول بأفكار جديدة عظيمة. وأُرسل سعيد جلبي ليعمل سفيرًا في سويسرا عام ١٧٣٢م وفي فرنسا عام ١٧٤١م ثم تولى منصب الصدارة العظمى عام ١٧٥٥م إبان عصر السلطان سليم الثالث، واستمرا فيها خمسة أعوام ونصف العام. (آياق، ص: ٤٥)، وكان سعيد جلبي هذا أول صدر أعظم ماسوني في تركيا.

(4) Sosyal, S, 170 – Tarih –i Asım, S, 241 den alınmıştır

المسلحة». [1] ويستفاد من هذه العبارات أنه كان ينظر إلى الماسونية في المجتمع التركي بانطباع سيىء على الدوام، ويفهم من هذا أن هذه الماسونية تصطبغ بالصبغة الإلحادية الخالصة.

وقد فتحت إبان الحقبة الزمنية بين ١٧٢٠ - ١٨٥٦م جمعيات ماسونية أخرى. ومن هذه الجمعيات على سبيل المثال لا الحصر جمعية سانت جين دو لافنت التي فتحت عام ١٧٦٧م، وكانت تابعة للجمعية الماسونية الكبرى في مدينة جنوة، وفى عام ١٧٨٣م انضمت جمعية Aurorede Tsarigadeوكانت تابعة لجمعية المشرقين الموجودة في مدينة بولونيا. وقد أصبح الماسون على شاكلة طوائف وجماعات مؤتلفة متحدة لأول مرة إبان عصر السلطان سليم الثالث. [2] وقد أُسست في تركيا أول جمعية ماسونية معروفة بصفة رسمية في ٣ فبراير عام ١٧٤٨م، وكانت تحت إدارة ألكسندر درومند. ومما يلفت الانتباه في هذا الصدد أن المؤرخ الماسوني Gouldيصنف هذه الجمعية بأنها أول جمعية أجنبية مسجلة في سجل الجمعيات الماسونية الكبرى في أسكتلندا، ورغم هذا فإنه لا يعرف إلا معلومات قليلة جدًا عن هذه الجمعيات، ويجب أن يكون الأعضاء الأولون لهذه الجمعيات هم من الأجانب الموجودين في تركيا حقبة مؤقتة من الزمان، أو من السادة البارزين في السفارات ولا سيما في السفارة الإنجليزية.

وفى عام ١٧٦٠م فُتحت الجمعيات الآتية والتابعة للجمعية الرئيسية في مارسيليا:

جمعية سانت جين دايجيوس في إسطنبول، وجمعية أخرى في إزمير وسلانيك، بيد أنه فتحت أيضًا الجمعيات الأجنبية الآتية:

جمعية سانت جين دى لاونت التابعة لجمعية مشرقين الكبرى في سويسرا، وقد فتحت هذه الجمعية عام ١٧٦٨م، كما فتحت في إسطنبول عام ١٧٨٤م جمعية مارجردوت فون زرججارد التابعة لجمعية مشرقين الكبرى في بولونيا، وفتحت في إزمير جمعيات لـ فيكتور. وكان أعضاء هذه الجمعيات يشكلون الأجانب الموجودين في تركيا والعناصر العثمانية غير المسلمة. [3]

(١) المؤلف السابق ص ١٧٠

(2) Naudon – Bouçer , s , 192

(3) Arıç , S , 108 – 109

الجمعيات الماسونية التي فتحت إبان الحقبة الزمنية ١٨٥٦ - ١٩٠٩م:

أسبابها:

كانت الفترة بين ١٨٥٦ - ١٩٠٩م بمثابة بداية فتح الجمعيات الماسونية في تركيا بصورة كثيفة. وها هي ذي أسباب ميول العثمانين البيروقراطيين والمثقفين إلى الماسونية إبان هذه الحقبة من الزمان.

١ - كانت الدولة العثمانية مع صدور فرمان التنظيمات عام ١٨٣٩م قد جعلت هدفها الرسمي متمثلًا في صبغ الدولة العثمانية بالصبغة الغربية الخالصة من أجل إنقاذها من تقويض بنيانها وتمزيق أوصالها والقضاء عليها قضاء مبرمًا، ومن ثم بدأت تأخذ من الغرب الثقافة والنظام والواردات الأساسية.

وكان زعيم التنظيمات والسفير والصدر الأعظم مصطفى باشا نفسه ماسونيًا، حيث اعتنق الماسونية إبان ذهابه إلى إنجلترا سفيرًا للدولة العثمانية. ولما عاد إلى تركيا، كان ذا علاقة وثيقة العُرى بالسفير الإنجليزي في تركيا، استراتفورد كانينغ، حيث توثقت عُرى التعامل بينهما من أجل صبغ تركيا بالصبغة الأوروبية وفق النماذج الغربية الخالصة. وكان السفير الإنجليزي كانينغ ماسونيًا، حتى إنه فتح إبان عمله في السفارة الإنجليزية جمعية ماسونية تابعة لمدينة إدنبرة في إسكتلندا، وكانت تقع أمام مسجد برلنت زاده في منطقة غلطة سراي في إسطنبول. وأحس هذا السفير بالأمن والطمأنينة في معية الرعايا الإنجليز، مثله في ذلك مثل مصطفى رشيد باشا. وقد انضم إلى هذه الجمعية بعض من مثقفي الأتراك ممن يعرفون الإنجليزية. [1] وكان النفوذ الإنجليزي في الدولة العثمانية قد بلغ أوجه بفضل السفير الإنجليزي كانينغ، وبدأت الحقبة الزمنية من ١٨٥٠ - ١٩٥٠م تسمى بحقبة العصر الإنجليزي لتحل محل حقبة النفوذ الفرنسي الذي بدأ في تركيا منذ عام ١٥٣٦م. وقد فُتحت الجمعيات الماسونية في تركيا باعتبارها مرتبطة ارتباطًا وثيق العُرى بالعادة المتبعة في فتح الجمعيات الماسونية في كل الدول والمستعمرات الخاضعة لنفوذ الإمبراطورية الإنجليزية. وقد ظهرت آراء تدور حول الأمل الذي كان يراود إنجلترا في تحقيق الانضباط في بنية هذه الجمعيات عن طريق انضمام المثقفين إليها، وكذلك الصفوة المختارة من البيروقراطيين المدنيين والعسكريين لهذه الدول.

(1) Apak , S , 49 - 50

٢ - جاءت التنظيمات عام ١٨٣٩م وفرمانات الإصلاح الصادرة عام ١٨٥٦م بمناخ اتخذ من التغريب أساسًا يحتذى للإنقاذ، وكان أساس هذا متمثلًا في نقل القيم العلمانية الأوروبية إلى تركيا. وهبت رياح الماسونية، وكانت خطتها تقتضي في المقام الأول بجعل الناس متساوين أمام القانون دون اعتبار للدين والمذهب واللغة والعرق والعقيدة. وتمخض عن هذا أمل يراود الماسونية في أن تظل الإمبراطورية العثمانية ثابتة بالأخوة والحرية والمساواة. وكان المجتمع العثماني يحلم بحماية بنيته الأساسية المتينة المكونة من الديانات الثلاث الكبرى المسيحية واليهودية والإسلام، والمشكلة من خمس وثلاثين أمة صغيرة وكبيرة. ولهذا السبب، كانت هناك رغبة جارفة لدى طائفة من المثقفين والبيروقراطيين العثمانيين في انتشار الجمعيات الماسونية وتذكرة العلاج الماسونية.

كانت الدول الاستعمارية إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا تريد استخدام الماسونية لتحقيق أغراضها وأهدافها المتمثلة في طغيان الإمبريالية ونجاح الحركات الانفصالية. ومن ثم تحركت العناصر الانفصالية وأصبحت على أهبة الاستعداد، وهي اليونان والصرب والرومان والبلغار وأرمينيا والعرب. وكانت سببًا في فتح الجمعيات الماسونية بصورة مكثفة في المدن العثمانية. وكانت العناصر الانفصالية ترى أن سمة السرية التي تتسم بها الماسونية تساعدها في تنفيذ نشاطها، وأنها بمثابة وسائل تجلب لها مبادئ الدستور وتحقق أهدافها عبر طريق مختصر يسير.

ولهذا السبب، فإن الماسونية سوف تعيش الهزة العنيفة في التطور الذي حدث في الإمبراطورية العثمانية إبان الحقبة الزمنية من ١٨٥٠ -١٨٧٥م. وقد ظهرت أول وأعظم نتائج سياسية أول الأمر في إصلاحات التنظيمات التي اضطلع بها رائد التنظيمات مصطفى رشيد باشا، وظهر هذا في أثناء النضال من أجل المشروطية الأولى المقدمة ضد نظام حكم السلطان عبد العزيز المسمى بنظام الاستبداد. وكانت أول ثورة من أجل الدستور هي ثورة ٢٩ مايو ١٨٧٦م، وكان الماسون ضالعين فيها.

الجمعيات الماسونية التي فُتحت وكانت تابعة لنفوذ الدول الأجنبية وهيمنتها:

أظهرت الماسونية في تركيا تطورًا عظيمًا مطردًا إبان عصر السلطان عبد المجيد، وهو السلطان الحادي والثلاثون في الدولة العثمانية ١٨٣٩ - ١٨٦٠، وفي أثناء حرب القرم والسنوات التي أعقبتها.

وفي أثناء هذه الحرب التي دامت ثلاث سنوات وانتهت بانتصارنا كان لنا تقارب عسكري وسياسي مع الغرب، ولا سيما مع الدولتين الكبيرتين: إنجلترا وفرنسا، مما تمخض عنه ظهور ضرب من التفاهم الفكري والاجتماعي بين ثنايا المُثقفين [١]، وأظهر هذا الوضع تأثير الماسونية في هذا المضمار. [٢]

وكانت الجمعيات الماسونية المرتبطة بالنفوذ الغربي قبل عام ١٨٥٦م تُفتح على يد المواطنين الأجانب. أما بعد حرب القرم ١٨٥٥ -١٨٥٦م، فقد كان اللافت للانتباه هو دخول السفارات الأجنبية في منافسة شديدة من أجل فتح الجمعيات الماسونية. وكانت كل دولة لها تمثيل دبلوماسي في تركيا، ولا سيما تلك الدول التي تراودها الأحلام الاستعمارية فوق الأراضي العثمانية، تهتم اهتمامًا خاصًا بفتح إحدى الجمعيات الماسونية بواسطة السفارات الكثيرة المنتشرة في تركيا، شريطة أن تكون هذه الجمعيات الماسونية مرتبطة ارتباطًا وثيق العُرى بنفوذ الدول الأجنبية وهيمنتها. [٣]

ولكن فتح العناصر الانفصالية التي كانت تجردت في أثر حلم الانفصال عن الدولة العثمانية للجمعيات السرية الماسونية قد زاد بسرعة مطردة عقب حرب البلقان. وها هي ذي قائمة بأسماء الجمعيات الماسونية التابعة للنفوذ والهيمنة الأجنبية، والتي فتحت تحت قيادة السفراء وزعامتهم:

1 – L, Etoil du Bosphare

وفتحت هذه الجمعية في منطقة باي أوغلو في إسطنبول عام ١٨٥٦م وكانت تابعة لفرنسا. وكان أستاذها الأعظم هو المستشار القانوني لويس أميبال وكان مستشارًا قانونيًا لدى حكومة الباب العالي. وكان المشير فؤاد باشا من بين أعضاء هذه الجمعية الماسونية. [٤]

ويتحدث الاستاذ Dummont عن أن هذه الجمعية التي سلف ذكرها قد فتحت في ٢٦

(١) كان الهدف من هذا التفاهم هو فرمان الإصلاح الصادر عام ١٨٥٦م والذي يتضمن برنامجًا لصبغ الدولة التركية بالصبغة الأوروبية إلى درجة أكثر تطورًا مقارنة بفرمان التنظيمات الصادر عام ١٨٣٩م، ولما كان فرمان الإصلاح قد أتى بمناخ الحرية والمساواة، فإنه بهذا كان قد شكل سبيلًا مناسبًا من أجل تطور الماسونية وتقدمها.

(2) Apak , S, 49

(3) Sosyal ,S , 177

(4) Apak , s 22

إبريل عام ١٨٥٨م وهو يخالف الأستاذ Apak في هذا السبيل.

ثم يصف Dummont أنشطة هذه الجمعية مستخدما عبارات يجب إمعان النظر فيها، فيقول: «كانت هذه الجمعية في السنوات العشر الأولى من حياتها تشبه الجمعيات الأخرى الموجودة في إسطنبول، حيث كانت بمثابة المعين والمساعد في نشر الأفكار الإيجابية للماسونية الفرنسية». ثم يتحدث Dummontعن التطور الأفضل الذي يمكن أن تحققه الماسونية في تركيا في أي أوضاع وأحوال، ويقول: «لا جرم أن الماسونية يمكن أن تكون ذات نفوذ وتأثير قوي في تركيا عن طريق المدارس العلمانية، التي يزيد عددها مع مرور الأيام». (١)

ثم يتحدث الأستاذ آباق عن غلق هذه الجمعية الماسونية إبان عصر السلطان عبد المجيد الثانى بسبب متابعته لنشاطاتها وتضييق الخناق عليها. (٢)

٢ - جمعية Bulver Lodge

تحدثنا آنفًا عن افتتاح السفير الإنجليزي كانينغ لإحدى الجمعيات الماسونية في منطقة غلطة. ولما غادر هذا السفير إسطنبول عقب حرب البلقان، حل محله السفير هنري بولوار، الذي فتح بدوره في منطقة بويوك دره في إسطنبول جمعية ماسونية عام ١٨٥٧م تحمل اسمه، وكانت تابعة لنفوذ السلطة الأكليريكية الإنجليزية. (٣)

ويقول شريف ماردين: «إن كلًا من علي فؤاد ومصطفى فاضل ومصطفى رشيد وسليمان آهان ومنير باشا كانوا جميعًا أعضاء في هذه الجمعية ». (٤)

ويتحدث الأستاذ آباق عن وجود جمعيتي «Oriental Lodge» و«Provencal Lodge» اللتين أسسهما الإنجليز، وكانتا تابعتين لإنجلترا. (٥)

---

(1) Dummont , S 114 – 115

(2) Apak , S 22

(3) Dummont , S 51 , Apak , s, 22

(4) Şerif Mardin , yeni Osmanlı Düşüncesinin Doğuşu , İletişim Yy , istanbul , 1996 , S 113

(5) Apak , S 23

٣ - جمعية L, union D, oriental

أسست هذه الجمعية في عام ١٨٥٨م على يد السفير الفرنسي في تركيا، وكانت تابعة لنفوذ السلطة الإكليريكية في فرنسا.[١] أما الأستاذ Dummontفيقول إن هذه الجمعية أسست في ٢٣ مارس عام ١٨٦٣م وكان أستاذها الأعظم هو Aleksander Skinas ثم يتحدث يتحدث الأستاذ Dumont عن هدف هذه الجمعية فيقول: «إن هدف هذه الجمعية يتمثل في جمع الأعراق المختلفة في أُخوة وحميمية. وقد أُسست لتكون جمعية تسعى جاهدة من أجل لم شمل هذه الأعراق، وتكون مفتوحة لشتى الجماعات الدينية والقومية التي تشكل بنية الإمبراطورية العثمانية».[٢] وعند افتتاح الجمعية، تحدث A. Skinas في خطابه الذي ألقاه بهذه المناسبة قائلًا: «لك أن تتصور أمة ما يعيش بداخلها أعراق وأجناس متباينة يحقر بعضهم بعضًا حتى اليوم، ويعذب بعضهم بعضًا[٣] وينفر بعضهم من بعض. إن هذه الدولة تتميز بالقوانين الدينية والمدنية والمذاهب المختلفة والجمعيات المتباينة، وبأولئك الذين يرون ضرورة اتحادها وتآلفها طوال القرون والأحقاب. ومن ثم، فإن تأسيس جمعية ماسونية في هذه الدولة تركيا هو الوسيلة الوحيدة من أجل تغيير هذا الوضع المدمر والمقوض لبنيانها. والهدف الوحيد لهذه الجمعية يتمثل في جمع شمل كل هذه الأعراق والأجناس داخل إطار اتحاد حقيقي، وتحقيق الاحترام والحب بين بعضهم بعضًا، وحمل مشعل الماسونية ورفعه وإعلاء شأنه. ولسوف يكون هذا تنويرًا للباقين في غياهب الظلمات».[٤]

وهذه العبارات أجهضت الأمل الذي كان يراود طائفة من مثقفي الدولة العثمانية البيروقراطيين من أجل إنقاذ الإمبراطورية العثمانية من تمزيق أوصالها نتيجة لتطبيق الأسس والمبادئ الماسونية. وكانت هناك رغبة في الميل إلى الماسونية، ولكن لم يكن هذا منتظرًا. ولكن هذه الجمعيات الماسونية سوف تُستخدم لتكون الوسيلة الوحيدة من أجل تحقيق أنشطة الدول الكبرى والمتمثل في تقسيم الوطن عن طريق العناصر الانفصالية، واحتلال أراضي الدولة العثمانية

(١) المؤلف السابق ص . ٢٣

(2) Dummont ,s,16

(٣) لم يُعذب غير المسلمين الموجودين تحت الحكم العثماني بسبب الفوارق الدينية والمذهبية لهم، ومن ثم فإن كلمة تعذيب الواردة في المتن غير صحيحة ومتقوضة من أساسها .

(4) Dummont ,s,16 -17

والتهامها والقضاء عليها قضاءً مبرمًا. ولربما كانت الماسونية صادقة من حيث مبادئها ليس إلا، ولكن غير المخلصين ممن أحاطوا بها كانوا يريدون تحقيق آمالهم مستخدمين إياها في هذا السبيل.

كانت الكثرة الكاثرة من أعضاء جمعية «L'union D'oriental» تتكون من العائلات اليهودية لأعيان إسطنبول ووجهائها، وهم أشخاص ينتسبون إلى إحدى الجاليات الفرنسية في إسطنبول. وكان الأرمن والروم من بين أعضاء هذه الجمعية، ولا سيما أن هذه الجمعية كانت تختار أعضاءها من بين الأقليات التي كانت تعيش في الإمبراطورية العثمانية. وكانت في السنوات الأولى من تأسيسها لا تضم إلى عضويتها أحدًا من المسلمين. ثم ما لبثت أن كسرت هذه القاعدة وبدأت تضم المسلمين إلى عضويتها. ولما جاء عام ١٨٦٩م، كان بها ثلاثة وخمسون تركيًا من بين عدد أعضائها البالغ ثلاثة وأربعين ومائة عضو. وكان معظم الماسون الأتراك منتسبين إلى الجيش، ومن بينهم طائفة من القضاة وثلة من الموظفين وزمرة من رجال الدين، وهذا شيء يدعو إلى الدهشة والذهول. (١)

جمعيات Leinster , Deutcher bund ve German24colden Horn

كان الألمان قد دخلوا المنافسة الدائرة بين السفراء الأجانب من أجل فتح الجمعيات الماسونية. «مما لا شك فيه أنه لم يكن من المتوقع أن تقف سفارات الدول الأوروبية الأخرى خاوية الوفاض وهي تحمل بين ثناياها أحلامًا وآمالًا في أراضي الدولة العثمانية. في الوقت الذي كان فيه ممثلو الاستعمار الإنجليزي والفرنسي يضطلعون بتأسيس الجمعيات الماسونية ويجذبون بين صفوفهم أهم المثقفين المستنيرين الأتراك إبان هذه الحقبة من الزمان. ولأجل هذا، أسرع الألمان من فورهم بتشكيل جمعيتين ماسونيتين في إسطنبول، إحداهما تسمى «Leinster» والأخرى «Deutscher Bund». وفي هذه المرة، أسس الألمان جمعية أخرى تسمى «Germania zu Golden Horn» أي القرن الذهبي، وكانت تابعة للجمعية الماسونية الكبرى الموجودة في هامبورغ. وفُتحت هذه الجمعية عقب الجمعيتين اللتين سلف ذكرهما، واللتين لم يطل عمرهما كثيرًا. ولكن هذه الجمعية ما لبثت بعد فترة أن ظلت رازحة تحت نفوذ وتأثير الجمعية الفرنسية الكبرى، وسرعان ما أخفقت في المحافظة على استمرار نشاطها. (٢)

(١) المؤلف السابق ص . ١٩ - ٢٠

(2) Sosyal , s, 177

جمعية سبرانزو: Spranzo

أراد الإيطاليون أن يأخذوا نصيبهم من المنافسة الاستعمارية التي تدور رحاها بين الدول الكبرى، ومن ثم أسرعت إيطاليا بدورها في تأسيس جمعية ماسونية في إسطنبول عام ١٨٧٦م، وكانت تابعة للجمعية الكبرى الإيطالية، وسُميت هذه الجمعية باسم جمعية «Spranzo». وفي عام ١٨٨٤م، أُسست جمعية «Rizarta»، وكانت تابعة لإيطاليا، ولكنها ما لبثت أن أُغلقت بعد فترة وجيزة من الزمان. وفي السنوات الأولى من عام ١٩٠٠م، افتُتحت مرة أخرى في سلانيك جمعية «Macedonia Rizarto». (١)

الجمعيات الماسونية التي فتحها الأقليات:

رأينا أيضًا الجمعيات التي فتحتها الأقليات الأرمنية والرومية. حيث فتح الأرمن جمعية «Serlacasi» في عام ١٨٦١م، وكانت تابعة لنفوذ وهيمنة فرنسا. وكان السفير الإيراني محسن خان هو الأستاذ الأعظم لهذه الجمعية. وكانت جمعية «العثمانيون الجُدد»، التي بدأت تناضل من أجل الدستور، وطائفة أخرى من رجال الدولة قد سجلوا أسماءهم في هذه الجمعية. وكان من بين أعضائها كل من: فؤاد باشا، ومدحت باشا، وأحمد وفيق باشا، وخير الدين باشا التونسي. (٢)

ويرى الأستاذ آياق أن ولي العهد مراد أفندي مراد الخامس كان مسجلًا في هذه الجمعية في درجتها الثامنة عشرة. وها هي ذي طائفة أخرى من أعضاء هذه الجمعية: إبراهيم حقي باشا وكان الصدر الأعظم في عام ١٩٠٩م، وسعد الله باشا سفير تركيا في برلين، وضيا باشا، ونامق كمال، وإبراهيم شناسي. ومن الأمراء كل من: نور الدين أفندي، وكمال الدين أفندي، وبسته كار علي حيدر بك الذي كان حبًا جليس الملك أو السلطان للسلطان عبد العزيز. (٣)

جمعية سر: Ser Locasi

وهي الجمعية التي أظهرت تعبير «المهندس المعماري العظيم للكائنات»، وهو أحد المبادئ التي كانت موجودة في عام ١٨٧٧م. وقد انتشرت الفلسفة الوضعية الفرنسية في هذه

(1) Apak ,s, 53 , Sosyal ,s, 178

(2) Sosyal ,s, 178

(3) Apak ,s, 53

السنوات تحت التأثيرات الإنسانية والدينية للمفكر الفرنسي وعالم الاجتماع «أوجست كونت» Auguste Comte. وقد انحصرت هذه الجمعية بين ثنايا كثير من الأرمن، ولكنها ما لبثت أن أخفقت بسبب تضييق الخناق الذي فرضته الدولة عليها. (١)

ولما بدأت الأحداث العنيفة والأنشطة الثورية الأرمنية من أجل تحقيق الآمال الانفصالية منذ عام ١٨٩٠م، اضطلعت طائفة من أعضاء هذه الجمعية بتأييد هذه الثورات وتعضيدها وشد أزرها، مما كان سببًا في غلقها عام ١٨٩٤م. (٢).

جمعية برودوس Prodos

وهي الجمعية التي أسسها الروم في ٢٨ مارس عام ١٨٦٨م، وكانت تابعة لهيمنة فرنسا ونفوذها. وكان كل أساتذتها العظام وخمسين في المائة من أعضائها من الروم. كما كانت تضم أعضاء من الأتراك. ورغم أن الأستاذ آياق يقول إن كُلًّا من الأميرين: كمال الدين أفندي ونور الدين أفندي، وكذلك الشاعر نامق كمال، من المسجلين بهذه الجمعية، فإن الأستاذ Dummont يقول إن هؤلاء جميعًا كانوا مسجلين في هذه الجمعية في معية ولي العهد مراد الخامس. وكانت هذه الجمعية خاضعة لتأثير الثورة الفرنسية وتيار الفلسفة الوضعية الفرنسية. وقد ألقى الأستاذ الأعظم لهذه الجمعية، ويدعى ألكسندر، خطابًا في مدينة إزمير قال فيه: «إن الماسونية تهتم اهتمامًا بالغًا بالأخوة العالمية وتحقيق السلام السياسي والاجتماعي الدائمين داخل الإمبراطورية العثمانية.» أما عضو الجمعية Kari Laas Kalaisaki، فقد أماط اللثام عن أهداف هذه الجمعية مادحًا مبادئ الثورة الفرنسية المتمثلة في الحرية والمساواة والأخوة، ثم قال: «إن هدفنا يتمثل في خوض الصراع ضد الأحكام الاستباقية والقضاء الناجم عن الأفكار السياسية والدينية المختلفة، ولم شمل بني البشر بروابط الأخوة التي تنفصم عُراها.

كانت الماسونية مضطرة إلى غرس راية الحضارة والمدنية والسلام والاتحاد في الشرق أكثر من كل المناطق الأخرى. إذ إن الشرق قد ظل مقبورًا في غياهب الظلمات طوال بضعة قرون من الزمان، وما لبث أن استيقظ مرة أخرى من سباته العميق. ومما يؤسف أن هذا الماضي الأليم

(1) Dummont , s, 27 Ve 32

(2) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar , S , 208

قد أظهر لنا نتائج فجيعة محزنة تمخض عنها ضرب من النفور والعداوة وسوء التفاهم. واليوم يجب علينا أن نسعى جاهدين لنتذوق الطعم الحلو المستساغ الذي جاءت به الأخوة والاتحاد وجمع الشمل والوئام. ولزام علينا أن نربي الشعوب التي ملأت دولتنا المباركة ونعلمها حب بعضها بعضًا، ونقضي على كل أنواع الجدل وسوء التفاهم التي تقسم هذه الشعوب وتُنشئ الخلاف بينها. ويجب على هذه الشعوب أن تحب موسى وعيسى ومحمدًا عليهم الصلاة والسلام. ولزام علينا أن نشرح لهذه الشعوب ضرورة أن يكون البشر كلهم متساويين، وأن يكونوا أخوة متحابين حريصين على حماية هذه المبادئ وحبها بهذه الخصائص التي أشرنا إليها آنفًا. فالعدالة وحدها هي التي تقدر الشرف والحيثية لكل إنسان، وتحقيق المساواة دون النظر إلى فروق العرق والعقيدة. ولزام علينا أن نعلم الشعوب أن العلم والمهارة سوف يحظيان بالمكافأة والتقدير. وبفضل هذه النظم، لن يتأخر تطور الأخوة فيما بيننا. (١)

وقد تولى Kleamti Skaliyeri منصب الأستاذ الأعظم لجمعية برودوكس في عام ١٨٧٠م. كما كان الروس يمثلون خمسين في المائة من أعضائها في الفترة ما بين عامي ١٨٧٢ -١٨٧٣م، من بينهم خمسة عشر يهوديًا وتسعة عشر تركيًا. ويقول الأستاذ Dummont: «إن الأستاذ الأعظم Kleamti Skaliyeri قد أقام تعاونًا وثيقًا مع بيروقراطية القصر العثماني والباب العالي، مستفيدًا في هذا السبيل من مبادئ الماسونية.» ثم تحدث عن هدف هذه الجمعية المتمثل في اشتراك كل من الأتراك والروم من أجل إحياء الإمبراطورية البيزنطية من جديد في إطار من المساواة الدستورية والقانونية. (٢).

ويوضح الأستاذ محمد شكري هاني أوغلو رأيه في هذا الاتجاه الفكري فيقول: «إن Sakaliyori سوف يتسنى له الاضطلاع بدور عظيم في هذا السبيل عن طريق العلاقة الوطيدة التي عقدها مع السلطان مراد، والمتمثلة في صبغه بالصبغة الماسونية وجعله سلطان الدستور الذي تترقبه الماسونية، ولا سيما أن الدستور كان رغبة ملحة باتت منتشرة عند الماسونية الشرقية. وهذا يعني أن تآلف العناصر التركية واليونانية تحت حكم السلطان مراد قد

(1) Dummont ,s,36 -37

(٢) المؤلف السابق ص. ٧٧

تمخض عنه بذل الجهد الحثيث من أجل تحقيق دولة بيزنطية جديدة. [١].

وثمة سمة أخرى تميزت بها جمعية برودوكسى الماسونية، وتتمثل في أنها ظلت رازحة تحت تأثير الفلسفة الوضعية الفرنسية. كما أنها أظهرت في الوجود التعبير المسمى «المهندس المعماري العظيم للكائنات»، والذي يعد من أهم مبادئها. [٢]

وكانت هناك جمعية ماسونية أخرى تسمى جمعية «Areti»، أسسها الروم في إسطنبول سنة ١٨٦٥م. وفي عام ١٨٦٧م، أُسست جمعيات ماسونية أخرى تسمى جمعيات «ستيوارت جورج».

نظرة على الماسونية لدى الرأي العام التركي إبان عصر التنظيمات:

رأينا كيف أدرك كُنه الماسونية باعتبارها مصطبغة بالكفر والإلحاد منذ دخولها تركيا.

وفي ١٦ أبريل عام ١٨٦٣م، أُرسل الدكتور الكسندر اسكيناس الماسوني رسالة إلى فرنسا، وصف فيها رأيه العام حول الماسونية قائلًا: «لقد أيقظت الماسونية مشاعر الخوف والنفور والاشمئزاز، حتى ولو كانت هذه الماسونية هي الاسم الوحيد الشائع في هذه الدولة تركيا. وكلمة ماسون تعني ذلك الملحد الكافر الثوري، ويطلق على الماسون كلمة أصحاب جهنم وبئس المصير. حتى في الوقت الراهن، تطلق كلمة ماسون ويُراد بها الرجل سيء السمعة من الطبقة الدنيئة الحقيرة.

ولا سيما أن هذا التعبير انتشر بين عامي ١٨٤٠ -١٨٦٣م، ويرى أن كل تدخل يُفعل ضد هذا الحكم الاستباقي أو تجاه هذا التعصب المتصف بالحماقة والغباء يخص المجتمع الماسوني الذي يستحق جهنم وبئس المصير. [٣].

إن الذين جاهروا بأنهم ماسون إبان عصر التنظيمات قد فقدوا وظائفهم وأعمالهم. وقد وصفت الماسونية بأنها مجتمع الفتنة والفساد، وهي تيار قادم من أوروبا خارج على الإسلام

(1) M Şükrü Hanioplu , Osmanlı İttihat ve Terakki Cemiyeti ve Jön Türklük) 1889 –1902 İletişim Yy, İstanbul , 1985 ,S ,77

(٢) المؤلف السابق ص . ٤١

(3) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar , S ,38 – Arıç ,s, 108

[1]، إنها مؤسسة ترمي إلى تقسيم الدولة التركية وتمزيق أوصالها وغزوها والقضاء عليها قضاءً مبرمًا. [2] وقد أرسل Kleamti Skaliyori، الأستاذ الأعظم لجمعية برودكس الماسونية، تقريرًا إلى باريس في الأيام التي سجل فيها ولي العهد مراد أفندي في سجل الجمعية الماسونية في حفل عظيم. ومما ورد في رسالته قوله: «إن دولتنا من أشد الدول احتياجًا إلى مؤسساتنا الجميلة، ويوجد فيها أحقاد وضروب من سوء التفاهم بسبب الأديان المختلفة والأمم المتباينة والأعراف والسلالات المنتشرة في كل حدب وصوب فيها. وإن السلطان والوزراء والكثرة الكاثرة من الشعب ينظرون إلى الماسونية بنظرة سيئة. وكانت الغاية من وراء هذا أننا كرسنا جهودنا غير مرة دون أن ندرى من أجل معرفة أسماء الإخوة المسجلين الذين دخلوا بين ثنايانا. وإن معظم هؤلاء الإخوة المسلمين إما أن طُردوا من وظائفهم أو جُردوا من رُتبهم أو تم نفيهم. وثمة قائمة كاملة بأسماء هؤلاء موجودة في حوزة البوليس. هذا وقد نُشر كتاب بالتركية من أجل إقناع السلطان بأن الماسونية ما هي إلا منظمة لا غاية لها سوى تنصير المسلمين وصبغهم بالصبغة المسيحية الخالصة».

وقد فقد الإخوة المسلحون حماسهم وشجاعتهم عقب نشر هذا الكتاب، ولم يتسن لهم الاستمرار في الجمعيات الماسونية كسابق عهدهم. ولما شاهدنا الماسونية متحسرين عليها وأصبحت على وشك الانهيار والتصدع، وجدنا أنه من الممكن القيام بحملة في المستقبل القريب تكون ذا فائدة جمة من أجل إنقاذها مما حل بها. [3]

إن الحملة المفيدة التي يتحدث عنها Kleamti سوف نراها فيما بعد متمثلة في اعتناق ولي العهد مراد للماسونية، والذي سيكون بعد حين في منصب الزعامة والرئاسة.

ويفهم من عبارات Kleamti التي سلف ذكرها أن السلطان عبد العزيز قد طارد الماسون وتعقب فلولهم، مثله في ذلك مثل السلطان عبد الحميد الثاني. أما ذبح الماسونية والقضاء عليها، فقد تم على نطاق واسع على يد الصدر الأعظم محمود نديم باشا إبان عصر السلطان

(١) ومن هذه التيارات الخارجة على الإسلام: الدهرية والعلمانية والرافضية والزندقية، وهي تيارات ثلاثة موجودة في مضمار الفكر الشرقي (قول أوغلو. عبد الحميد والماسونيون: ص: ٩٠

(2) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar , S , 38

(٣) المؤلف السابق ص . ١١٢

عبد العزيز. ونُفي البيروقراطيون الماسون في معية مثقفيهم وطُردوا خارج إسطنبول. ولهذا السبب، فإن الماسون قد أبدوا عداوتهم الشديدة لمحمود نديم باشا، وكانوا من أشد الكارهين له بعد السلطان عبد العزيز.

بدأ المؤيدون للماسونية والمناصرون لها ينتشرون في تركيا بدءًا من عصر التنظيمات، وأول من كتب عن هؤلاء المؤيدين للماسونية هو برتو باشا، والي قسطموني، والمتوفى عام ١٨٧٣م. ومن المحتمل أن يكون هذا هو الكتاب الذي تحدث عنه الماسوني Kleamti آنفًا.

أما كتاب برتو باشا فيحمل اسم «رسالة النوم»، ولا تُعرف السنة التي طُبع فيها ولا المدينة ولا المطبعة. واستخدم فيه تعبير «Duvarci» مُشيد الجدار بدلًا من كلمة ماسون، ثم استمر الكتاب على شاكلة سؤال وجواب بعد أن تحدث صاحبه عن طقوس ونواميس الماسونية المخيفة المفزعة. ثم تحدث عن أن الماسونية بدأت نشاطها في معية الحملات الصليبية، ووجدت في الصليب رمزًا لها، وسعت إلى إغواء المسلمين وإضلالهم والقضاء عليهم. لم يكن هدفهم تأليف قلوب الأمم وتوحيدها، بل إفسادها وإضلالها وإحداث الانقسام في صفوف الجماعة المسلمة.[١]

أما القصة الثانية التي تحدث عنها الكتاب فهي أسرار الماسونية. فقد ورد في هذا الكتاب الذي نُشر في خلال الأشهر الثلاثة الأولى من سلطنة عبد الحميد الثاني اسم شخص يدعى محمد، وهو أحد أعضاء الجمعية وواحد من المتميزين، وقُيد اسمه فيها باسم من وزارة المعارف. ويرى الأستاذ قول أوغلو أنه لم يتسن له العثور على اسم كاتب هذا الكتاب أو الجمعية الماسونية التي ينتسب إليها. كما ورد بين ثنايا الكتاب أن الماسونية لا فائدة مرجوة منها للشعب والأمة والدولة على حد سواء. إنها تريد استئصال شأفة كل المذاهب الدينية وتجتث جذورها، ناهيك عن رغبتها في القضاء على الحكم الاستبدادي المطلق والاغتيال بالنظام الجمهوري. كما أن الماسونية تناضل بوسائل أخرى من أجل تحقيق أغراضها كالسحر والكيمياء وغيرها.[٢]

وثمة كتب منثورة تمدح الماسونية بإزاء هذه الكتب التي تقدمها وتعدد مثالبها ونقائصها. ومن هذا على سبيل المثال تلك المقالة التي نُشرت في صحيفة إسطنبول عام ١٨٧٦م. ومما يلفت

(١) المؤلف السابق ص. ١١٩

(٢) المؤلف السابق ص. ١٣١

الانتباه في هذا السبيل أن هذه المقالة صادفت الأيام التي اعتلى فيها السلطان عبد الحميد سُدة العرش. ويمكن أن يُفسر هذا على أنه أحد جهود الماسون الحثيثة بأنها لن تفعل شيئًا سيئًا أو قبيحًا تجاه السلطان عبد الحميد.

كما ورد في المقالة ما يفيد بأن الماسونية مطابقة للإسلام ومناسبة له، ودليل ذلك ما جاء على لسان الأمير عبد الكريم الجزائري الذي انضم إلى الجمعية الماسونية الفرنسية الكبرى: «إنني على يقين أن كل إنسان لا ينتسب إلى الماسونية فهو إنسان ناقص عاجز.» ألا تعد هذه الكلمات التي تفوه بها مسلم بلغ أقصى درجات الإيمان دليلًا يسيرًا على عدم وجود تناقض أو تعارض بين القرآن والماسونية؟

ثم ما تلبث المقالة أن تسرد الحقائق الآتية في معرض حديثها عن أن الماسونية باتت حتمية واجبة من أجل الإمبراطورية العثمانية:

«لا سبيل إلى إعطاء نتيجة نافعة إلى هذا الحد في أي مكان آخر غير تركيا، التي تُعد مدرسة كاملة تامة للتسامح على وجه الإطلاق. هل يمكن أن نجد في مكان آخر غير تركيا مثل هذا التفاهم السلمي والمناسب الذي يشيع بين ثنايا طائفة كبيرة من العقائد والأعراف المتباينة؟ أو العثور على مثل هذه العقيدة التي تنادي باحترام حرية العقائد عند الآخرين؟» [1]

ويرى الأستاذ قول أوغلو أن الجمعيات الماسونية منذ عام ١٨٦٠م أصبحت مفتوحة بصورة علنية. إذ كانت توزع العلاج مجانًا على الفقراء، وتبني المدارس، وتنشئ البالوعات والمصارف المائية لأولئك المتضررين من الحرائق والفيضانات. وقد انضم الماسون إلى هؤلاء الفقراء والمساكين من الشعب وهم يتزينون بالزي الماسوني. [2]

انتشار الماسونية وامتداها في مدن الأناضول:

انتشرت الماسونية وامتد نشاطها إلى مدن الأناضول الواقعة خارج نطاق إسطنبول، واقترن هذا بدخول الماسونية تركيا. وفي ١٧ مايو ١٧٨٩م، أُفتتحت في مدينة إزمير جمعية «Grand Lodge Turquie» التابعة للسلطة الأكليريكية في مدينتي جنوة وفيكتوريا، والتابعتين

(١) المؤلف السابق ص . ١٢٧ -١٢٨

(٢) المؤلف السابق ص . ٧٦

بدورهما لسلطة إيطاليا وهيمنتها. وأُسست في نفسها مدينة إزمير جمعية «Melese» التابعة لفرنسا، وجمعية «Hamer Lodge» التابعة لإنجلترا. وفي عام ١٨٨٦م، بدأت جمعية «الإخوة الحقيقيون» تمارس نشاطها في مدينة قيصرى التركية، وكانت تابعة لفرنسا. وفي عام ١٨٩٦م، افتُتحت في أنقرة جمعية «Veritari Gonsciate»، وكانت تابعة لإيطاليا. كما افتُتحت جمعيات ماسونية أخرى في كل من مصر وسوريا ولبنان والعراق.[١]

وفي عام ١٨٦٤م، فُتحت في إزمير مرة أخرى جمعيتا ديوان وإيرانسيسيون، وكانتا تمارسان نشاطهما باللغة الأرمنية. كما فُتحت في عام ١٨٦٨م جمعية أورخانية التي تمارس نشاطها باللغة التركية.[٢]

(1) Apak , s , 75 – 80

(2) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar , S , 47

التكوين الماسوني لولى العهد مراد

كان ولي العهد مراد السلطان مراد الخامس فيما بعد هو أول وآخر عضو ماسوني في تاريخ الدولة العثمانية. وكان في معيته أيضًا الأميران كمال الدين أفندي ونور الدين أفندي اللذان اعتنقا الماسونية. وهذا يبين مدى التأثير والنفوذ القوي الذي تمتعت بهما الماسونية في تركيا إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد اقتبست الماسونية لنفسها النظام الدستوري الديمقراطي المتوج، وكان هذا يساير بصفة عامة المفهوم الفكري السائد تجاه الأفكار الجديدة التي جاءت بها الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. ومن ثم أصبحت الماسونية بمثابة القوة الدافعة الثانية للمتغيرات المتسقة المنتظمة تجاه الدستور في كثير من الدول الأوروبية. وكان الشعار الرئيسي للماسونية يتمثل في النظام الدستوري القائم على الحرية والأخوة والمساواة. ومن ثم، فإن طائفة من المثقفين والبيروقراطيين العثمانيين رأوا في الماسونية سبيل النجاة والخلاص للدولة العثمانية، ويستطيعون أن يؤسسوا تحالفًا من أجل تحقيق هذا الغرض طوعًا أو كرهًا. وحرصت هذه الزمرة على أن تحيا كل الأقليات العثمانية وشتى العناصر الأخرى حياة الأخوة في الدولة العثمانية، ما داموا ذوي ميول واتجاهات تجاه الفكر الماسوني، مع ضرورة تعضيد هذه الفكرة وشد أزرها من أجل لم شمل الدولة العثمانية والاستفادة القصوى من الماسونية في هذا السبيل. ولهذا السبب، أصبحت الماسونية بمثابة السنة المتبعة السائدة بين ثنايا البيروقراطيين الأتراك ومثقفيهم. وظهر في ذلك الإبان فكرة ثابتة أو ما يُعرف باسم «Syndrome» أي الأعراض المتزامنة هي مجموعة أعراض تظهر في وقت واحد، رفعت جميعها شعارًا يزعم بأن من لا يكون ماسونيًا لا يُعد مثقفًا البتة[1]، واستمرت هذه الفكرة شائعة حتى مجيء حقبة جماعة الاتحاد والترقي ١٩٠٨ - ١٩١٨م.

(١) هبت رياح هذا المناخ على صعيد متغير إبان الحقبة الزمنية الواقعة بين ١٩٦٠ - ١٩٧٠م، وكان هذا يعنى انه من ليس يساريا لا يكون مثقفا. وهذا القول ظهر ابان الحقبة الماركسية على وجه العموم، وهو قول يعترف بانه اذا تحطمت الشيوعية وسيق بها الى النظم الفاشية فان هذا يُعد خطا عظيما.

ولما ظهرت معادلة العثمانيين الجدد والماسونية إبان عصر السلطان عبد العزيز ١٨٦٠ -١٨٧٦م، شرعت الماسونية في إظهار نفسها [١] باعتبارها مؤسسة تأتي في المقام الأول وتتدخل في إدارة شؤون البلاد وتسيير دفة الأمور فيها.

وكان البيروقراطيون والمثقفون الذين تزعموا حركة العثمانيين الجدد ماسونيين. ومن الممكن أن نجد بين ثنايا هؤلاء كلًا من: مدحت باشا، وضياء باشا، وعلي...، وأكاه أفندي، ونامق كمال. [٢] أما السلطان عبد العزيز فكان خارجًا عن إطار هذه الحفنة من البيروقراطيين والمثقفين الماسون. ورغم أن كثيرًا من هؤلاء البيروقراطيين والمثقفين قد تبنوا الدستور بصورة نظرية، فإنهم كانوا ضد تطبيقه بحجة أن أحوال الدولة وأوضاعها لم تكن مواتية لهذا التطبيق. وكان هؤلاء يعتقدون بأن حقبة التنظيمات مقرونة باستمرار الإصلاحات القديمة سوف تنقذ الدولة العثمانية. أما مؤيدو الدستور فكانوا يزعمون أن النجاة سوف يكون عن طريق الدستور المعتمد على البرلمان مجلس المبعوثان والقانون الأساسي اللذين يُعدان أكثر تطورًا في هذا السبيل. وكان هؤلاء المؤيدون للدستور يناقشون هذه المسألة ويخوضون فيها عن طريق الصحافة التي يملكونها في حوزتهم، وكانوا يريدون من السلطان وعدًا شفهيًا بتطبيق الدستور. فإذا لم يُنفذ هذا الطلب، فإنهم حينئذ سينفذون خطط الحركة الفاعلة المؤثرة التي تصل إلى حد الثورة. [٣] ولما أصبحت الثورة موضوعة في جدول الأعمال وعلى وشك التنفيذ، كان هؤلاء يخططون بإقصاء السلطان عبد العزيز عن سُدة العرش والإتيان بولي العهد مراد أفندي ليحل محله. وكانوا قد استولوا على مراد مبكرًا وأحاطوا به من كل جانب، وأطلقوا عليه أنه رجل منفتح على التجديدات وذو فكر ليبرالي حر. ولم يكن من الصعب الاستحواذ عليه. وكان كل من نامق كمال وضياء باشا يتوليان مهمة تعليمية وتثقيفية إبان فترة ولايته للعهد، ويلقنانه مبكرًا الأفكار الماسونية ويثبتونها في نفسه. [٤] أما طبيبه الخاص «Kapolyon» فقد اضطلع بدور

(١) عندما ننظر الى الوضع الراهن فاننا نرى أن الماسون كانوا قد حركوا النضال الدستورى وعملوا على تنفيذه وتفعيله في كل من روسيا القيصرية ومملكة إيران .

(2) Mithat Gürata , Masonluk Nedir ? , Tisa Mat , Ankara 1976 , s , 85

(٣) لمزيد من المعلومات المفصلة حول هذه الاحداث أنظر كتاب: سليمان قوجه باش: السلطان عبد العزيز وتاريخ المشروطية الأولى -استانبول ٢٠٠١م: ص ١١ -٣٣٢

(4) Apak , S , 25

مهم في بث هذه الأفكار الماسونية في نفس مراد. [1]

كان تأييد إنجلترا لأنصار الدستور والعلاقة الخاصة التي توشحت بين مراد وولي العهد الإنجليزي الأمير إدوارد سببًا في فتح الطريق جيدًا لدفع مراد لاعتناق الفكر الماسوني. وكان هناك اتفاق بين ولي العهد الإنجليزي واللجنة الثورية من أجل الإتيان بالدستور، حتى يكون مراد هو سلطان الدستور. ودفعته الماسونية دفعًا وزجت به في خضم أحداث الثورة. ولما كان السلطان عبد العزيز يعلم بمدى خطورة العلاقات بين ولي العهد مراد والعثمانيين الجدد، فإنه أسرع من فوره بأخذ مراد إلى قصر جراغان ثم إلى قصر دولمة باغجة، وشرع في وضعه تحت المراقبة الصارمة. ووضع مراد في هذه الأثناء وحيدًا في حجرته بقصر دولمة باغجة في ٢٠ أكتوبر عام ١٨٧٢م وفق ما قاله ضياء شاكر. أما قول أوغلو فيقول، وفق ما نقله من إحدى رسائل الماسوني Skaliyeri، إن ولي العهد مراد الخامس أقام في إحدى حجرات منزل الماسوني لويس آميبال، حيث أُجريت له مراسم انضمامه إلى الماسونية. [2] وقد كتب ضياء شاكر عن الماسونية في تلك الآونة وما يتعلق بها من أحوال فيقول:

«بعد أن وُضع ولي العهد مراد تحت المراقبة، جاءه خطاب من ولي عهد إنجلترا الأمير إدوارد، ورد فيه ما يلي: ولقد تحدثت إليكم عن الجمعية السرية في أثناء لقائنا هنا في إنجلترا. وقدمت بعض الإيضاحات المتعلقة بشأن هذه الجمعية، حتى إنني قلت لكم إنه سيكون من المناسب جدًا انضمامكم إلى هذه الجمعية [3]، وأنا الآن أوصيكم بأشد قوة بهذا الاقتراح الذي عرضته عليكم، والذي لم يكن إلا وصية عابرة في تلك الآونة، ولسوف يجد هذا العرض منكم القبول الحسن إن ترفضوا». كانت إنجلترا قد شكلت الجمعية السرية التي تحدث عنها ولي العهد إدوارد، الذي كان هو نفسه الأستاذ الأعظم للجمعية الماسونية في إسكتلندا. ورأى أن دخول واحد من الأسرة الحاكمة العثمانية في هذه الجمعية سيكون ذا فائدة جمة، وعرض على ولي العهد مراد أفكارًا كثيرة متصلة بهذا الأمر في أثناء وجوده في إنجلترا.

(1) Ziya Şakir , Çırağan Sarayında 28 Sene , Sultan V . Murat.in Hayatı , Anadolu Türk evi , İstanbul, 1943,s,48

(2) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar ,s,113

(٣) اصطحب السلطان عبد العزيز الامراء في معيته في أثناء رحلته الى أوروبا عام ١٨٦٧م ، وقال لولى العهد مراد في هذه الاثناء الاقتراح الماسوني الذي عرضه ولى العهد الإنجليزى إدوارد وقال له فيه حذار أن ترفض . (آياق: ص ٢٨)

ولم يكن مراد أفندي غريبًا عن هذا الموضوع، حيث كانت لديه أفكار كثيرة بشأن الماسونية قبيل رحلته إلى أوروبا. وكان طبيبه الخاص قابوليون قد تحدث معه عن هذه المسألة قبل حين من الزمان. وهذا الطبيب مواطن إيطالي ذو أصل يوناني، وكان منتسبًا إلى جمعية كاربوناري وجمعية ماسونية أخرى موجودة في بلده، ولكنه فر هاربًا إلى تركيا بسبب اشتراكه في الأحداث العنيفة التي حدثت في دولته.

ثم ما لبث أن أصبح الطبيب الخاص لمراد أفندي، وأخذ يبث في نفسه بعض الأحكام والمفاهيم المتعلقة بالماسونية. ثم جاء من بعده كل من نامق كمال بك وضياء بك ورضا باشا زاده إبراهيم بك، الذين تحدثوا مع مراد أفندي بأشياء تدور حول هذه القضية.

تشكلت الماسونية تشكيلًا جديدًا في تركيا إبان تلك الحقبة من الزمان. ولم يكن قد أُسست بعدُ في إسطنبول جمعية ماسونية كبرى والتي يطلق عليها اسم المشرف الأعظم. وبدأت الجمعيات الماسونية في الافتتاح بدءًا من عام ١٨٦١م. وكانت هناك جمعية تسمى ريزورتا إيطالية داخلة ضمن إدارة الجمعية الماسونية الفرنسية الكبرى، ثم أصبحت تابعة لإيطاليا. ومن الممكن أن يكون هذا الوضع لم يلفت انتباه الأستاذ ضياء شاكر ديري أو الأستاذ Etuvardo Bosfar أن هذه الجمعيات ما هي إلا محفل ماسوني يخص الأرمن.

لم يلبث الماسون أن استحوذوا على الصفوة المختارة من المثقفين الموجودين في إسطنبول، وسرعان ما التحق بهذه المحافل الماسونية كل من الصدر الأعظم علي باشا ومدحت باشا وثلة أخرى من الوزراء زادت على خمسين شخصًا.

كانت الماسونية مستمسكة بممارسة نشاطها خفية ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، وكانت أماكن المحافل الماسونية تتغير وتتبدل كثيرًا. وكانت هذه المحافل... بين ثنايا أسقف البيوت وفي الأماكن المستترة من الحجرات. وكانت أسماء الملتحقين بهذه الجمعيات في الوقت نفسه تدون بأسماء متغيرة تخالف أسماءهم الحقيقية التي عُرفوا بها. وعلى سبيل المثال لا الحصر، أن سُجل نامق كمال باسم آخر هو محمد نامق كمال. ومن ثم اختفت وتوارت شخصية وهوية الأشخاص الآخرين. وعلى حين كانت الماسونية على هذه الحالة، جاءت رسالة من الأمير إدوارد الإنجليزي إلى ولي العهد مراد. وبعد فترة وجيزة، جاء كل من الدكتور قابوليون وكاتبه

الخاص سعيد بك، وقالا لمراد أفندي إن هناك شخصًا يدعى كلانتى صفال يرى سونى يأتي لزيارتك مستشيرًا إياك في بعض الأمور.

أما كلانتى هذا فكان مؤسسًا لمحفل برودكسى الماسوني الذي شُكل عام ١٨٦٨م، وكان يتولى منصب الأستاذ الأعظم لهذا المحفل. وهو رجل يوناني الأصل، وجاء إلى إسطنبول من أجل تأسيس هذا المحفل، وفتح حجرة للكتابة في نزله المسمى كافيار.

وعلى حين كان هذا الرجل يعمل على نشر الماسونية وإذاعتها في كل مكان، فإنه كان من ناحية أخرى قد بدأ في حجرة الكتابة يتقاضى عمولة عن الخمر والقمح والمؤن التي يجلبها.

وقد أظهر كلانتى إلى مراد أفندي الخطاب الذي تلقاه من الإدارة الماسونية الفرنسية العظمى، وأخبره إنها أدرجته بين ثنايا الإخوة الماسون بمراسم وطقوس خاصة، ومنحته الرتبة الثامنة عشرة.

وقد قبل مراد أفندي هذا العرض الماسوني بفرح عظيم. وبعد بضعة أيام، حضر الأستاذ المحترم كلانتى صقالرى في حجرة منعزلة بقصر دولمة باغجة، وفي معيته وفد مكون من الأساتذة الدكتور «Mino Volonaki» اليوناني، والدكتور «Yanis Esamelos»، وبورصة لي آبا مينوس، حيث أُقيمت مراسم التكوين الماسوني لولي العهد مراد، وقُلد قلادة الماسونية والدرجة المخصوصة به. وقد ضُرب حوله نطاق من الجند المسلحين. (١)

تحدثنا قبل قليل أن ولي العهد مراد أفندي قد دُوّن اسمه في جمعية سر الماسونية. أما ما كتبه ضياء شاكر فيؤكد أنه سجل اسمه في جمعية برودوس. ولما كانت المعلومات الخاصة بهذه الحقبة الزمنية شديدة التعارض والتناقض، فقد ظهرت دراسة جادة تحذر من الماسونية إبان هذه الحقبة من الزمان.

الأدوار الأولى التي اضطلع بها الماسون في الثورات والانقلابات العثمانية:

ثورة ٢٩ مايو ١٨٧٦م:

كانت هذه الثورة أول ثورة أظهرت التأثيرات السياسية الفعالة للماسونية في تركيا، والدور

(١) Ziya Şakir , Çırağan Sarayında 28 Sene , s , 57

الذي اضطلعت به في هذه الثورات المتعاقبة. وكان هدف هذه الثورة لدى مؤيدي روسيا يتمثل في إقصاء السلطان عبد العزيز عن العرش، والقضاء على النظام الاستبدادي، وإبعاد الصدر الأعظم محمود نديم باشا عن منصب الصدارة العظمى. أما مؤيدو إنجلترا فقد كانوا يرون في هذه الثورة مناخًا مواتيًا لتحقيق النظام الدستوري، ويكون ولي العهد مراد سلطانًا ومدحت باشا هو الصدر الأعظم.

أصبحت تركيا منذ عصر التنظيمات ميدانًا لاستمرار نفوذ الدول الاستعمارية التي تغلغل نفوذها في كل حدب وصوب من أرجاء البلاد. ومن ثم أصبحت إسطنبول ساحة للصراع الإنجليزي الروسي اعتبارًا من أواخر الربع الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل الربع الأخير من القرن التاسع عشر. أما الإنجليز فإنهم أيدوا الماسون وأنصار الدستور تأييدًا قويًا من أجل القضاء على النفوذ الروسي الموجود في الوقت الحاضر والقضاء عليه قضاءً مبرمًا. ومن ثم ظهرت ثورة ٢٩ مايو ١٨٧٦م نتيجة لهذا الصراع المحتدم بين إنجلترا وروسيا في ذلك الإبان. أما زعماء الجناح العسكري لهذه الثورة فقد أظهروا أنفسهم في ذلك المناخ المهيأ الذي أعدته زمرة المثقفين البيروقراطيين المدنيين، فهم والجند على حد سواء.

وكان قائد الجند حسين عوني باشا من الأشخاص الذين جرى الحديث عن اعتناقهم الماسونية في أحد المصادر التاريخية، ودار جدل طويل حول أكان هذا الرجل ماسونيًا أو غير ماسوني. (١)

وقد اشترك حسين عوني باشا في هذه الثورة رغبة منه في الانتقام من السلطان عبد العزيز، الذي كان يعتقد أنه رأى منه معاملات ظالمة قاسية. وهذا ما دفعه إلى التحريض على الثورة أكثر من رغبته في إحداث تغيير في نظام الحكم. (٢)

ومن ثم أسرع من فوره إلى كُلٍّ من: فرنسا وإنجلترا، حيث وجد الفرصة مواتية للتعاون مع هاتين الدولتين والبحث عن المناخ المناسب من أجل التخطيط لهذه الثورة. (٣).

اضطلع مدحت باشا بقيادة الجناح المدني للمجلس السياسي أو ما يعرف باسم «Gunta»

(١) كان الصدر الأعظم وقائد الجند حسين عونى قد اضطلع بدور مهم في إقصاء السلطان عبد العزيز عن العرش وقتله. وكان ماسونيًا من إسبرطة. (Cem: s:241)

(2) M.Kemal İnal , Sultan Abdülazize Dair Tirk Tarihi Encümani Mecmuası , Sayı , 8 (85) , 1341 , S , 190

(3) Charles Mismer , İslam Dünyasından Hatıralar , Bedir Y , evi , İstanbul , 1975 , S 155 – 157

وهي اللجنة السياسية أو المجلس السياسي، ولا سيما العصبة المسيطرة على الحكومة إثر انقلاب عسكري. وحرص في سبيل ذلك على إقامة تعاون وثيق مع إنجلترا [١]،وكان العقل المفكر لهذه اللجنة السياسية التي تزعمها مدحت باشا قد بلغ درجة من التفكير في عقد تعاون مع إنجلترا وكوادرها الماسونية. وإذا لم يحصل مدحت باشا وأصدقاؤه على تأييد إنجلترا ودعمها، فإنهم حينئذ لن يتسنى لهم تغيير النظام في سهولة ويسر. [٢]ويرى الأستاذ عثمان نوري أن الأسطول الإنجليزي جاء إلى ميناء بشيك بالقرب من منطقة جناق قلعة، ثم ما لبث أن رسا في هذا الميناء من أجل تشجيع هؤلاء الثوريين وتأييدهم. وإذا أخفق الثوريون في ثورتهم، فإنهم سوف يهربون عن طريق الأسطول في أقل تقدير. [٣]

كانت المرحلة الأولى لثورة ٢٩ مايو عام ١٨٧٦م قد تم الإعداد لها بتنظيم مظاهرة سلمية أعدها طلبة الجامعات في ١٠ مايو عام ١٨٧٦م، وحرص عليها وأدار شؤونها ثلة من الماسون وهم: إسماعيل كمال، وحسن فهمي، وكوسه رائف، ورفعت بك، وضياء بك. أما ضياء باشا فارتدى زي طلاب الدين، وانضم بين ثنايا طلاب المدارس الدينية في حي الفاتح، وعمل على تحريضهم وإثارتهم. [٤]

ووزع ضياء بك المال خفية على الطلاب بواسطة كل من مدحت باشا والصراف هرستكى، صراف ولي العهد مراد المرشح لمنصب السلطان. وقد طُلب إلى الطلاب في المظاهرات السلمية أن يرفعوا شعارات يقولون فيها: «إننا لا نريد محمود نديم باشا، ونريد إبعاده عن الحكومة.» وهذا من أهم أهداف هذه الثورة. وفي عقب ذلك، عزل السلطان عبد العزيز الصدر الأعظم محمود نديم باشا بناءً على البلاغات التي وزعها الطلاب، ولكنه لم يحقق الطلبات الأخرى لهؤلاء الطلاب. والشيء العجيب في هذا الأمر يتمثل في أن السلطان لم يضم إلى الحكومة الأشخاص

(١) وردت هذه التفصيلات في الكتاب الذي ألفه السفير الإنجليزي Henery Elliot والذي يضم مذكراته الشخصية، ويسمى هل هو انتحار أم قتل أو السلطان عبد العزيز، وقد ترجم هذا الكتاب إلى التركية العثمانية، ونشر في إسطنبول.

(2) Elliot ,S, 16 – 17

(3) Osman Nuri , Abdülhamit –i Sani ve Devr –i saltanatı ,C ,1, Marba –a –i Hayriye ,İstanbul , 1327,s,21

(4) Ebüzziya Tevfik , Yeni osmanlılar Tarihi ,Haz ,Z ,Ebüzziya , C III Kervan Yy , İstanbul , 1973,S 296

الذين كان يريدهم الطلاب. وهكذا وصلت اللجنة السياسية إلى هدفها المنشود، حيث وجهت ضربة إلى الحكومة، وانتهزت الفرصة المواتية... في ٢٩ مايو عام ١٨٧٦م، وجهت ضربة إلى القصر بإقصاء عبد العزيز عن العرش وإجلاس ولي العهد مراد عليه. ولما كان السلطان مراد الخامس ذا روح رقيقة مرهف الحس ضعيف الشخصية، فإن الخوف ألم به في يوم حدوث ثورة ٢٩ مايو ١٨٧٦م.[1] ولما اضطرب توازنه الروحي والنفسي إلى الدرجة التي لم يستطع معها تبوأ عرش السلطنة، كانت اللجنة السياسية تواصل ممارسة تأثيرها ونفوذها على الحكم. وفي هذه المرة، اقترب ولي العهد عبد الحميد من أخيه مراد أفندي قائلًا له: «لقد تحقق اعتلاؤك سُدة العرش في ٣٠ أغسطس عام ١٨٧٦م.» وكان هذا بمثابة صفقة مقابل إعلان الدستور. ووفى عبد الحميد الثاني بوعده، وأتى بمدحت باشا ليتولى منصب الصدر الأعظم. وما لبث أن اجتمع مجلس المبعوثان في ١٩ مارس عام ١٨٧٧م عقب إعلان القانون الأساسي في ٢٢ ديسمبر عام ١٨٧٦م. واشتعلت الحرب التركية الروسية ١٨٧٧ -١٨٧٨م عقب كل هذه الأحداث المتلاحقة، وجلبت هذه الحرب معها كثيرًا من المصاعب. وأُغلق مجلس المبعوثان في ١٣ فبراير عام ١٨٧٨م بحجة أنه من المتعذر تطبيق الدستور في الأوضاع التي تمر بها تركيا والعالم على حد سواء. واقتنع بهذا كثير من المثقفين والبيروقراطيين العثمانيين، وعلى رأسهم السلطان عبد الحميد الثاني.

- وقعة قصر جراغان ولجنة صاقايري - عزيز بك:

وقعت بعد الثورة الكبرى في ٢٩ مايو سنة ١٨٧٦م ثورتان أخريان صغيرتان: وقعت إحداهما في ٢٠ مايو عام ١٨٧٨م وتسمى «واقعة قصر جراغان» أو «واقعة علي سُعاوى»، والأخرى وقعت في ٨ يوليو عام ١٨٧٨م، وكانت محاولة القيام بثورة على يد لجنة صقاليري- عزيز. أما زعماء هاتين الثورتين فهم علي سُعاوى وكليانتى صقاليرى وعزيز بك، وهم جميعًا من الماسون. وكان لهم في الوقت نفسه علاقات وطيدة مع إنجلترا. ولما عطل السلطان عبد الحميد الثاني تطبيق الدستور، أصبح هؤلاء الزعماء أعداء لدودين له، وشرعوا من فورهم في

(١) أبلغت اللجنة السياسية ولي العهد مراد بأن الثورة سوف تحدث يوم الجمعة، ولكنها أُجِّلَت حتى يوم الثلاثاء دون أن يعلم ولي العهد، ووجد مراد أفندى الضباط أمامه بغتة، ووقعت الثورة أمامه، وفقد شعوره خشية على نفسه من القبض عليه وحبسه وقتله.

الإغـارة على قصر جراغان وأجلسـوا مراد الخامس مرة ثانية عـلى العرش، باذلين جهدهم من أجل تفعيل الدسـتور ووضعه موضـع التنفيذ. وقد أخفقت هذه الغارات التي شـنوها، وقُتل علي سُعاوى في مكان الحادثة، أما صقاليري وعزيز بك ففرا هاربين خارج البلاد.

أسرع السلطان عبد الحميد الثاني من فوره في تضييق الخناق على كل من الماسون والعثمانيين الجُدد، وتعقب آثارهما بشدة عقب وقوع هاتين الثورتين اللتين سلف ذكرهما. ثم وضع الخطط من أجل تصفية هاتين الجماعتين، وفرض رقابة صارمة على مراد الخامس.

إن هـؤلاء الماسـون الذيـن كانوا أعداء لدودين للسـلطان عبـد الحميد الثاني لم ينسـوا مراد الخامس البتة. بيد أنه أُقصي عن العرش بسـبب مرضه وحالته النفسـية السـيئة. ولكن الماسون قامـوا بعد بضع سـنين بدعايـات حتى يترك عبـد الحميد العـرش لأخيه إذا ما تحسـنت حالته الصحية. ولكن السـلطان عبد الحميد بذل قصارى جهده لإفسـاد دعايات الماسون ووأدها في مهدها، حيث نشر تقارير طبية تؤكد أن الحالة الصحية لمراد الخامس لم تتحسن ولم يبرأ من علته.

السلطان عبد الحميد الثاني والماسونية:

رأى عبد الحميد في الماسونية:

كان السلطان عبد الحميد الثاني هو الابن الثاني للسلطان عبد المجيد بعد ولي العهد مراد. ويقضي نظام توريث العرش في الدولة العثمانية أن يتولى السلطنة أكبر أولاد السلطان سنًا، ومن ثم سوف يكون عبد الحميد الثاني هو السلطان المرتقب بعد ولي العهد مراد.

وعندما كان مراد أفندي وليًا للعهد، كانت له علاقات وطيدة مع كل من العثمانيين الجدد والماسون على حد سواء، بينما كان عبد الحميد بمنأى عنهم. وبينما كان مراد الخامس يميل ميلًا شديدًا إلى الدستور تحت تأثير الماسون، فإن عبد الحميد لم يكن المصلح القديم للتنظيمات، ولم ينظر بعاطفة نحو الماسون. ولهذا السبب، فإنه لم يلتفت إلى القلق الذي أثاره هؤلاء الماسون.

كانت علاقات عبد الحميد بأخيه مراد حسنة وتسير على ما يرام، وأراد أن يسلك نحوه سلوكًا متوازنًا وينبهه إلى اتخاذ جانب الحيطة والحذر نحو الماسون والعثمانيين الجُدد على حد سواء. ولما كانت العلاقة حميمة مخلصة بين الأخوين، فإن ولي العهد مراد الخامس عرض على عبد الحميد أن يعتنق الماسونية. وها هو ذا Michel de Grece يتحدث عن هذه الذكريات على لسان عبد الحميد فيقول: «اصنع صنيعي وكن ماسونيًا، ولسوف ترى يا حامد الفائدة المرجوة من وراء هذا».

يقول عبد الحميد: كان أول رد فعل لي أن شعرت بالسخط والاشمئزاز، وأنبته على ذلك ولمته لوما شديدًا لأنه أصبح خاضعًا لتأثير جماعة الماسونية، وجعلوه ألعوبة في أيديهم، ولم يجدوا وسيلة أخرى سوى استخدام وراثة العرش لتحقيق أغراضهم. واعترض مراد على ما قاله عبد الحميد قائلًا له: إن أعضاء جمعية برودوكس الماسونية يدافعون عن مبدأ عظيم الشأن يتمثل في إعاشة شتى العناصر التي تشكل الإمبراطورية العثمانية في أخوة وحميمية تحت ظلها وفي كنفها وحمايتها. ولكن سذاجة مراد ونقاء سريرته أغضبتني، فقلت له:

«إليك الحكاية برمتها، وها هي ذي الحقيقة: لقد أصبحت رهينة في يد الماسونية. فألق السمع إلي يا أخي، إنك إنسان طاهر القلب نقى السريرة، حتى إنك تصدق من يبتسم في وجهك. وهذا شيء أنت مجبور عليه في خلقتك وطبيعتك، ولكنك لم تفكر فيما سيحدث البتة. ولم يُدر بخلدي أن أتفاهم أو أتكيف مع أي جمعية ماسونية وأنا في موقعي هذا. وما دمت أتحدث معك بكل إخلاصي وصدقي، فاسمح لي أن أقول لك إن الذين يجرونك جرًا إلى المُسكرات والمشروبات الروحية يتواطؤون مع أولئك الذين يريدون إقحامك والزج بك في الجمعيات الماسونية. وأنا على يقين أنك يجب عليك أن تجمع شتات أمرك، لا سيما أنك لا تنسى يا أخي مراد، أمير المؤمنين خليفة المسلمين، لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون ماسونيًا، ولا يجب عليه أن يكون كذلك أبدًا. أما أنا، فقد أخذت قراري، ولسوف لا أنضم إلى أي جمعية ماسونية أبدًا». (١).

كان السلطان عبد الحميد الثاني منذ ولاية العهد مطلعًا على أسرار الماسونية، واقفًا على كل ما خفي من أمورها ونشاطها. ولا سيما أن أول ضربة موجهة لهؤلاء الماسون كانت قد دُبرت بإحكام للإطاحة بعمه السلطان عبد العزيز. وكان عبد الحميد شاهد عيان على الضربات والثورات التي جاءت بعد ذلك تترى متعاقبة في إثر بعضها، مما نفره من الماسون وأشعره نحوهم بالفتور، واضطره إلى اتخاذ التدابير اللازمة ضدهم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. وسرعان ما شن السلطان الجديد حربًا مستمرة لا هوادة فيها ضد هؤلاء الماسون، مستخدمًا في سبيل ذلك كل ما يملكه من قدرات وإمكانيات. لأنه كان يرى، سواء أكان محقًا في رأيه أو غير محق، أن الحفلات التافهة والخفية لهؤلاء الماسون تتوارى خلفها في الحقيقة منافع ومصالح أجنبية معينة، لا سبيل إلى غض البصر عنها. (٢)

وعلى حين كانت العلاقة الوطيدة تتوثق عُراها بين الماسونية والدول الكبرى، فإن عبد الحميد تلقى درسًا من سلسلة الأحداث المتعاقبة التي عاشها، ورأى ببصيرته النافذة وصدق حدسه أن الماسونية ما هي أداة مسخرة من أجل تحقيق المصالح الإنجليزية ليس إلا. (٣)

(1) M , Kaya Bilgegil , Ziya Paşa Üerine Bir Araştırma , Atatirk Ü Yy , Erzurum , 1979 , S , 214

(2) Michel de Grece , Abdilhamid Yıldız Sürgünü , Çev , D , Bayaldı , Milliyet Yy , İstanbul , 1995 , s , 48 – 49

(3) Angelo Lacovella , Gönye ve Hilal İttihat ve Terakki ve Masonluk , Çev T , Altınavo , Tarih Vakfı Yurt Yy , İstanbul , 1998 , S , 24

كانت الدول الكبرى تريد استخدام الماسونية وسيلة للإطاحة بعبد الحميد وإقصائه عن سدة العرش. وكانت هذه الدول تعارض سياسة عبد الحميد الثاني، ورأت أنها حقبة كأداء تحول دون تحقيق آمال هذه الدول الاستعمارية وإحيائها في كل حدب وصوب بين أرجاء الإمبراطورية العثمانية. ومن هذا القبيل، على سبيل المثال، ما كتبه عبد الحميد في دفتر مذكراته حيث يقول: «إن إنجلترا قد شرعت من فورها في استخدام الجمعيات الماسونية من أجل الاستحواذ على الحكم والإدارة، وانتزعوها من أيدينا. وإذا كانت إنجلترا قد استغلت غفلة الاتحاديين وأحسنت استخدام الجمعيات الماسونية خير استخدام، فإن ألمانيا قد بدأت بدورها في استخدام الزمرة الأخرى من هؤلاء الاتحاديين عن طريق الجماعات الماسونية. وهكذا استحوذ الألمان على تنظيم الاتحاديين الموجود في سلانيك، واستولى الإنجليز على الآخر الموجود في مناستر». (١)

وإذا كان عبد الحميد الثاني قد تحدث عن استخدام الفرنسيين والإيطاليين للجمعيات الماسونية، فإنه تحدث كذلك عن الاتحاديين المعارضين له، والذين يعيشون وهم مرتبطون ارتباطًا وثيق العُرى بالجمعيات الماسونية الفرنسية والإيطالية، ويتلقون منهم مساعدات مالية سخية. (٢)

ويستمر عبد الحميد الثاني في تقويمه للماسونية، واصفًا إياها بأنها مصدر الفرقة والانقسام والهدم والتخريب العام. ويشرح هذا على مسامع علي وهبي بك، الذي استكتبه مذكراته، قائلًا له: «ما الماسون إلا حفنة من البشر تلقوا تعليمًا سطحيا غير متعمق في أوروبا، وكانت غايتهم المنشودة تتشمثل في ترويج ونشر كل ضروب أفكار الحرية وإشاعتها في شتى أرجاء تركيا. وإذا كان شعبنا لا يعرف شيئًا عن الحرية ولا يدرك كنهها، فإن الحرية حينئذ تكون بمثابة مبدأ مخرب هدام لإمبراطوريتنا. إنها أي الحرية مقسمة لشعبنا وتحرمه من الشعور المنصف بالاتساق والانتظام. وحينئذ فإن الماسون يمارسون نشاطهم في معية الأرمن والروم، ولا سيما فإنهم يسعون إلى تطبيق هذا بالتعاون مع إنجلترا من أجل تدمير الإمبراطورية واستئصال شأفتها». (٣)

(1) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar , s , 149

(2) Abdülhamid in Hatıra Defteri , Haz: İ , Bozdağ , kervan Yy , İstanbul , 1975 , S , 75 – 76

(٣) المؤلف السابق ص ٦٣

شروع عبد الحميد الثاني في تعقب الماسون واقتفاء أثرهم:

هكذا كان رأي عبد الحميد الثاني في الماسونية، فأخذ يتعقبهم بشدة ويقتفي أثرهم في غير هوادة. ولا ريب أن عبد الحميد الثاني، الذي لم يستطع تحمل مذهب الحرية المطلقة الذي آمنت به الماسونية، لم يأذن بإحياء تشكيل هذا الفكر وحال دون امتداد أنشطته. ورغم هذا، فإن الماسونية ظلت تمارس نشاطها خفية حتى إقصاء عبد الحميد عن العرش على يد الاتحاديين في عام ١٩٠٩م. (١)

كان عبد الحميد الثاني ينظر بعين الشر دائمًا إلى الجمعيات الماسونية، ويرى أنهم يقفون ضد أي نظام محكم متماسك القوة شديد البنيان، ناهيك عما يبذلونه من جهد في سبيل تقسيم الدولة وفصم عُراها. وكان نظام حكم عبد الحميد الثاني قد اشتدت وطأته تدريجيًا منذ أواخر عام ١٨٨٠م، حتى تمكن من القضاء على آخر نواة مخلصة وفية للماسونية، فاستأصلها واجتث جذورها (٢)،ولم تبقَ في إسطنبول إلا جمعية ماسونية واحدة كانت تابعة لنفوذ الدول الكبرى وهيمنتها. «وتمكنت بعض الجمعيات الماسونية من العيش في إسطنبول رغم الحكم المستبد الذي طُبق على هذه الشاكلة في البلاد، وكان حياء القصر والباب العالي من الأجانب الذين تدخلوا بشكل مفرط في شؤوننا سببًا في عيش هذه الجمعيات الماسونية داخل إسطنبول». (٣)

ولم تستمر هيمنة السلطان عبد الحميد الثاني طويلًا على تلك الجمعيات الماسونية الموجودة في الولايات البعيدة من الإمبراطورية، بيد أنهم لم يكونوا بمنأى عن المتابعة وتعقب آثارهم.

«ولا سيما أنه كلف زمرة من الموظفين للانتظار والترقب على أبواب الجمعيات الماسونية الموجودة في سلانيك، وإلزامهم بتغيير أزيائهم وتفتيش المترددين إلى هذه الجمعيات ووضعهم تحت مراقبة صارمة. ولكن نفوذ القصر وسطوته الموجودة في إسطنبول لم تكن قد استُؤصلت تمامًا. أما ولايات سلانيك وقوصوه ومناستير، فكانت كلها موضوعة تحت مراقبة (٤) الأجانب. (٥)

(1) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar ,s, 166

(2) Naudon – Bouçer ,s, 199

(3) Dummont ,S, 74

(٤) تقضي المادة ٢٣ من معاهدة برلين عام ١٨٧٨م بأن تقوم الدولة العثمانية بإصلاحات في مقدونيا، ولما اضطلعت العناصر الانفصالية بأعمال إرهابية في هذه المنطقة منذ عام ١٨٩٠م أسرعت الدول الكبرى بالتدخل، وازداد إجراء هذه الإصلاحات تحت مراقبتها وإشرافها، وتمت الموافقة على هذه الإجراءات، وبدأت الإصلاحات تحت مراقبة الدول الكبرى.

(5) Apak ,S, 64

كانت الجمعيات الماسونية موضوعة تحت المراقبة السرية للبوليس السري. وصدر أمر سلطاني من القصر من أجل متابعة كل الاجتماعات الماسونية التي تُعقد في منطقة بايوغلو في إسطنبول. وجاء في نص هذا الأمر السلطاني ما يأتي: «يُعقد في الثامنة بالتوقيت التركي اجتماع في الجمعية الماسونية الرومية الموجودة في بايوغلو، حيث يناقش أعضاؤها بعض الموضوعات. وإذا كان من المعلوم أن هذه الجمعيات الماسونية تعقد اجتماعاتها بصورة دائمة، فإنها يجب أن تكون موضوعة تحت عين المخابرات حتى لا تتجاوز حدودها [١] والمهام المكلفة بها، ويجب على الحكومة أن تنتبه وتأخذ حذرها، وألا تعطي الفرصة لحدوث ضرر يصيب البلاد». [٢]

لم يغلق عبد الحميد الثاني أي جمعية ماسونية في أي مكان خارج منطقتي سورية ولبنان، لأن هذه الجمعيات ما لبثت أن أُغلقت من تلقاء نفسها بسبب الضغط وتضييق الخناق اللذين فُرضا عليها. ولم يكن أمام هذه الجمعيات سوى خيارين اثنين لا ثالث لهما: إما أن يغطوا في سبات عميق، وإما أن يستمروا في ممارسة نشاطهم بصورة شديدة السرية والخفاء. أما السبب الذي دفع السلطان عبد الحميد إلى غلق الجمعيات الماسونية الموجودة في سورية ولبنان، فيتمثل في أنهم هموا بإظهار نشاطهم ضد الدولة بطريقة مباشرة، ولا سيما بعد صدور الأمر السلطاني بغلق الجمعيات الماسونية في عام ١٨٩٦م. وقد تغلغل البوليس السري وتسلل بين ثنايا هذه الجمعيات [٣]،وأثبت البوليس السري أن إنجلترا تضطلع بالترويج والدعاية في هذه المناطق لما عُرف آنذاك باسم الخلافة العربية وأهمية العنصر العربي على هذه الأرجاء. [٤]

أما البروفيسور Zeine N. Zeine فيكتب عن الشك الذي أحس به السلطان عبد الحميد بشأن هذه الجمعيات الماسونية الموجودة في بيروت، ويقول في هذا السياق: «إن كل مؤسسي الجمعيات

(١) يقول قول أوغلو أن السلطان عبد الحميد الثانى لم يمسس الماسون بضر أو اذى طالما أنهم لم يتدخلوا في السياسية (قول أوغلو: عبد الحميد و الماسونيون: ص: ١٨١)

(٢) آياق: ص ٦٣ -٦٤(مقالة لرئيس كتاب سورية بتاريخ ١٨ أكتوبر عام ١٣١٠م)

(٣) وقد تحدث عن هذه الاشياء واحد من الاتحاديين هو أحمد رضا وتب في مقالة له يقول فيها " لما كان عبد الحميد يحترم مشاعر أخيه السلطان مراد فإنه امر بالتجسس على أفكار ونشاط الجمعيات الماسونية بواسطة طائفة كبيرة من البوليس السرى الذين أمر بدسهم وتوطينهم في هذه الجمعيات " " هانى أوغلو: ص ٩٠، أحمد رضا: الماسونيون: مجلة شورى الأمة ٢٩٢ ابريل عام ١٩٠٣ ، من رقم ٢٧) .

(4) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar ,s,210 -211

الماسونية في بيروت كانوا جميعًا من النصارى، وكانت أهدافهم ترمي إلى أن يكونوا على قدم المساواة مع المسلمين. واستخدم هؤلاء النصارى وسيلة إقحام المسلمين المشهورين في بيروت لرفع راية القومية العربية. وعلم هؤلاء المسلمون بعد انضمامهم إلى هذه الجمعية أنها كيان لجمعية سرية ماسونية. وكان المسلمون والنصارى على حد سواء يسعون إلى غاية واحدة ترمي إلى النضال ضد الاستبداد والظلم التركي، مُصرين على مساواة العرب بالترك ومؤكدين على عنصرهم العربي». [1] وها هو ذا عبد الحميد الثاني نفسه يتحدث في مذكراته عن الجمعيات الماسونية الموجودة في سورية والتي مارست نشاطها ضد الدولة العثمانية: «إن بعض الجمعيات التي سُميت باسم الجمعيات الماسونية في سورية ما هي إلا مؤسسات تشكلت من تلقاء نفسها لتمارس نشاطها ضد الحكومة. وخلاصة القول إنها اضطلعت بأشياء من أجل تحريض أفكار الشعب وتأليبها ضد الحكومة ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا». [2] ولا جرم أن القلق والشكوك التي ساورت عبد الحميد تجاه ما تبذله الماسونية من جهد في سبيل تمزيق وحدة الدولة العثمانية لم تذهب سُدى. ومن المعلوم أن الماسون قد أسسوا جمعية برودكس الماسونية رغبة منهم في تأسيس الدولة البيزنطية من جديد. كما أن جمعية أنوار الشرق الماسونية التي أسسها هؤلاء الروم كانت تحمل نفس هذا الحلم الذي يراودهم، ألا وهو تأسيس الدولة البيزنطية. ومعلوم كذلك أن جمعية سر الماسونية التي أسسها الأرمن كانت تركض في أثر أمل إقامة دولة أرمنية مستقلة.

وإلى جانب هؤلاء وأولئك، فقد استخدم اليهود الماسون وسيلة يتوسلون بها من أجل إقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين. وكان Emanuel Karasso على رأس هؤلاء الماسون الذين جذبهم اليهود إلى صفوفهم. أما الماسون الأتراك فكانوا لا يعلمون شيئًا عن حقيقة كل الماسون الذين يخدمون أممهم. [3] ولا ريب أن عبد الحميد الثاني أحس في تلك الآونة أن الدولة الإسرائيلية في سبيلها إلى أن تصبح حقيقة مؤكدة [4]، ولم يُرد أن يكون هو نفسه الوسيلة التي

(١) المؤلف السابق ص -١٧١

(2) Sultan II Abdülhamid , Devlet ve Memlekt Görüşlerim , Haz A çetin –R yıldız ,çığır Yy, İstanbul, 1976,S,159

(3) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar ,s,206 ve 208

(4) M kadri Nasuh , Sarayih , Librarie Geuther , Paris , 1912,S 209 –210

تحقق قيام هذه الدولة المزعومة [١]، ومن ثم كان على يقين ثابت بأن اليهود الماسون يتحركون معًا وبعضهم أولياء بعض.

ولا جرم أن عبد الحميد الثاني كان دائمًا يشعر بكثير من الخوف والتوجس من هيمنة العناصر المحلية والأجنبية التي تسعى سعيًا حثيثًا من أجل تمزيق أواصر الإمبراطورية والقضاء عليها.

وكان عبد الحميد قد أصابه القلق من أولئك اليهود من ذوي المهارة الفائقة والمكر الشديد، والذين كانوا يعملون خفية داخل العناصر التي تشكل بنية الإمبراطورية العثمانية. ولم يكن السلطان يخشى بأسًا من الروم والأرمن والعرب والأرناؤوط. وكان يقول: «إننا ممكن أن نسحق هؤلاء بالقوة والسلاح. ولكن اليهود سوف يكونون دائمًا أكثر منا ذكاءً وثراءً، والصراع معهم ليس بالأمر اليسير». [٢]

الجمعيات الماسونية في ذكريات عبد الحميد الثاني:

نظمت صفوف اليهود في شتى أرجاء الدنيا، وأخذوا يجرون في إثر الحلم الذي يراودهم، وهو الوطن الموعود لهم في فلسطين والاستيطان فيها عن طريق الجمعيات الماسونية. ولقد جاؤوا بعد حين من الزمان وطلبوا مني أرضًا لتوطين اليهود فيها مقابل أموال طائلة يدفعونها لي. ورفضت بالطبع. [٣]

وسوف يظهر التاريخ ذات يوم ويبحث مليًا بكل تأكيد لماذا اضطر هؤلاء الاتحاديون إلى الاعتراف بأنفسهم أنهم كانوا ماسون. فلقد تحققت بنفسي وعلمت أنهم كلهم من الماسون، ولهم علاقة وثيقة بإحدى الجمعيات الماسونية الإنجليزية، وكانوا يتلقون العون والمساعدة من هذه

(١) أرادا تيودور هرتز رئيس المنظمة الصهيونية العالمية أخذ فلسطين من السلطان عبد الحميد مقابل اضطلاعه بدعاية لصالح السلطان عبد الحميد في أوروبا، تتضمن وقف الإرهاب الأرمني ودفع ديون الدولة العثمانية إلى الدول الأوروبية. ورد عليه السلطان قائلًا: لا أستطيع بيع قدر شبر واحد من الأرض، لأن هذا الوطن لا يخصني وحدي، بل هو ملك لأمتي . (The harzel , vol , Ed . Raphaelpata , The complete draries of the odar herzl press thoma yasel of new york . landan , 379 – 378 .s.1960) –ولا ريب أن سبب إقصاء السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش مرتبط ارتباطًا وثيقًا برفضه إعطاء وطن لليهود في فلسطين، وبعد أن أُقْصي عن عرشه بثورة ٣١ مارس ١٩٠٩م أرسل إلى المنفى في سلانيك، وقال للنقيب دبره لي ذي النون أحد حراسه ما يأتي: وهكذا كان اليهود أعداء ذوى قيمة عالية ويحسب لهم ألف حساب، والآن فإنهم جرونى جرًّا إلى سلانيك جزاء لى لعدم إعطاء اليهود وطنًا لهم في فلسطين. (نقلًا عن: حسام الدين أرتورك: خلف ستار عصرين: درا نشر: بنار ، أستامول ١٩٦٤م: ص: ٤٥).

(٢) المؤلف السابق ص . ٤٦ –٤٧

(3) Abdülhamid in Hatıra Defteri , Haz .S 70

الجمعيات. ولسوف يفصح التاريخ عن كنه هذه المساعدات، وما إذا كانت إنسانية أم سياسية.[١]

كانت هناك صحف تصدر في أوروبا ومصر تحت أسماء متباينة، ناهيك عن وجود رجال لجمعيات سرية كانت تطوف وتجول في تلك البلدان. بيد أنهم لم يصيبوا الدولة بضرر جسيم كما قلت آنفًا. ولكن الجمعيات الماسونية، رغم كل متابعتنا لهم واقتفاء أثرهم، فإنهم سرعان ما شرعوا في تحريض الضباط التابعين لجمعية الاتحاد والترقي. وما لبث هؤلاء الناس الضالون الهائمون على وجوههم أن أصبحوا يستظلون تحت راية واحدة ويجمعهم هدف واحد. هكذا كانت حكاية تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي.[٢]

يوجد عندنا ضروب من الأفعال شديدة الإزعاج والمضايقة لهؤلاء الماسون. وقد بذل هؤلاء الاتحاديون قصارى جهدهم من أجل نشر فكرة التجديد التي لم يفهمها الشعب قط.

ولكن الزمرة العريضة من الشعب عندنا كانت غريبة تمامًا عن أفكار الحرية. أما من قبلوا الاندماج والتعاون مع هؤلاء الماسون، فلم يكونوا إلا حفنة من الناس ممن تلقوا تعليمًا سطحيا في أوروبا، ونُزعوا من جذورهم وأصولهم من أجل أن يمكثوا خارج البلاد زمنًا طويلًا. ولم يعرفوا ماذا ينتظرهم عند عودتهم إلى بلادهم. لقد سعوا سعيًا حثيثًا من أجل صبغ تركيا بالصبغة المدنية المتحضرة الخالصة، ونشر الأفكار الغربية في ربوعها. وهذا ولا ريب طمس في البصيرة.

ولا جرم أنه توجد حقيقة لا ريب فيها، وهي أنهم هم الذين زرعوا بذور التمرد والعصيان والفرقة في الدولة والجيش على حد سواء.

إنهم سعوا إلى إضعاف قوتنا، وأرادوا نشر أفكار الحرية، حتى إنهم لم يدركوا أنهم يعملون ما لا يعملون لحساب إنجلترا. إن هذه الزمرة من الترك المفسدين قد سببوا لي ألمًا شديدًا، ساعين إلى التعاون مع كل اليونانيين والبلغار حتى يتمكنوا من الإطاحة بالمستبد، وهو أنا. يا ربي، إن هؤلاء السفهاء الحمقى المساكين لم يستطيعوا معرفتي حق المعرفة، ولا يعلمون شيئًا عما عساه أن يكون في مصلحة الإمبراطورية العثمانية.[٣]

---

(١) المؤلف السابق ص . ٤٨

(٢) المؤلف السابق ص . ٦٤

(3) Sultan II Abdülhamid , Siyasi Hatıratım , Hareket , Yy , İstanbu , 1974 , S , 81 – 82

الماسونية والاستعمار والتقسيم

تحدثنا آنفًا عن استخدام الماسونية وسيلة يتوسل بها من أجل أغراض الاستعمار والتقسيم وإيقاع الفرقة والخلاف. «وإذا أُريد بنيان الأساس الحركي للماسونية في هذا السبيل وبصورة مؤتلفة متراكبة، فإننا حينئذ يتسنى لنا أن نتحدث عن النقاط الآتية:

١ – السعي الدؤوب للماسونية ابتغاء صبغ مضمار الفكر والحياة بالصبغة العلمانية الخالصة.

٢ – استحواذ الماسونية على مقاليد الأمور، والتخطيط المتقن لكل شيء متمثلًا في مشاركتها في كل الثورات والانقلابات التي أتاحت لها التدخل في التغييرات المنتظمة المنسقة من أجل فرض الأفكار والمفاهيم العلمانية.

٣ – استخدام الماسونية من أجل تحقيق آمال الدول الاستعمارية الأوروبية في نشر نفوذها اعتبارًا من القرن الثامن عشر الذي ظهر فيه الفكر الماسوني.

٤ – استخدام الماسونية من أجل تحقيق آمال التقسيم والفرقة الموجودة في حوزة العناصر الانفصالية، بناءً على ما ظهر بجلاء في نموذج الدولة العثمانية. أما تعبير «الماسونية الاستعمارية» فهو اصطلاح وضعه الكابتن الفرنسي Dummont. ورغم هذا، فإنه أراد أن يميط اللثام عن الوجه الحقيقي لتدخل الماسونية وتغلغلها في الدولة العثمانية. وقد تحدث عن هذا قائلًا: «لقد ظهرت الماسونية في الدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ولكنها سرعان ما شرعت في التطور بعد عام ١٨٥٠م، وذلك بفضل الانفتاح السياسي والاقتصادي والثقافي الذي حققته إمبراطورية التنظيمات تجاه الغرب. وكانت الماسونية إبان هذه الحقبة تحمل بين ثناياها المعالم الاستعمارية بصورة بذيئة مستهجنة. ولا جرم أنه لا توجد أي مجموعة من الجمعيات الماسونية المستقلة في أراضي السلطان عبد الحميد الثاني. وكانت كلها تتنافس فيما بينها وترتبط ارتباطًا وثيق العُرى بهيمنة الدول الأجنبية التي تمثل مصالحها خير تمثيل». [1]

(1) L –acovella , S , 9

ويتحدث الكاتب Dummont عن النموذج الفرنسي للماسونية الاستعمارية فيقول: «ثمة نقطة لطيفة يجب علينا أن نمعن النظر فيها، وهي أن الجمعيات الماسونية المرتبطة بالشرق قد اضطلعت بدور مهم في إدخال الاستعمار الفرنسي وزجه داخل الإمبراطورية العثمانية. ويجب توضيح هذا عن طريق الكتابات ذات الصلة الوثيقة بهذه الجمعيات، مما جعل موضوع هذه القضية يمر بصمت وسكوت. ورأينا ما يثير اهتمامنا في هذه الحقبة من الزمن متمثلًا في خطابات طائفة كبيرة من الأساتذة الأجلاء لهذه الجمعيات، والتي تدون بكل فخر ما بذلته من جهد حثيث من أجل فرنسا والمصالح الفرنسية على حد سواء. ولم يكن بعض المسئولين في الجمعية الشرفية الماسونية مجرد وسائل وسبل لنشر أفكار الجمعيات الماسونية التي أُسست في تركيا، بل اهتموا اهتمامًا بالغًا بأن يكونوا وسائل للتدخلات الاقتصادية والقومية السياسية». [1] استخدمت فرنسا الماسونية لتمارس نفوذها وتفرض هيمنتها على البيروقراطيين والمثقفين العثمانيين منذ عهد نابليون الأول ١٧٦٩ -١٨٢١م وحتى عهد نابليون الثالث ١٨٠٨-١٨٧٣م، وصبغت الولايات التابعة للدولة العثمانية بالصبغة الاستعمارية الخالصة. ومن ثم أُسست في مصر لأول مرة أول جمعية ماسونية عام ١٧٤٧م، ولكن أعضاءها جميعًا كانوا أوروبيين خالصين. وإذا كانت قد أُسست جمعيات ماسونية جديدة أثناء الاحتلال الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨م، وأُدخلت طائفة من الموظفين المحليين بالقوة في هذه الجمعيات، فإن هذه الجمعيات ما لبثت أن أُغلقت عند انسحاب الجيش الفرنسي من مصر. [2] هذا وقد أُحييت الماسونية من جديد في العالم العربي إبان عهد نابليون الثالث. وثمة نماذج على هذا ورد ذكرها في الكتابات المتعلقة بالعلاقة بين الجزائر والجمعية الشرقية الفرنسية الكبرى، حيث استُخدمت الماسونية من أجل صبغ هذه الجمعية بالصبغة الاستعمارية الخالصة. [3]

كانت ولايتا سورية ولبنان العثمانيتان بمثابة الولاية الثالثة التي يطمح إليها الاستعمار الفرنسي بعد ولايتي مصر والجزائر. ومن ثم فتحت فرنسا في هاتين الولايتين جمعيات ماسونية تابعة لها، وبذلت قصارى جهدها للاستقرار والتغلغل في سورية ولبنان عن طريق

(1) Dummont ,S ,55

(2) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar ,s,77

(٣) المؤلف السابق ص ٧٧

هـذه الجمعيات الماسـونية، ورأت أن هاتين الولايتين هما ميراث منفصـل عن الدولة العثمانية. ثـم تـأتي إيطاليا بعـد الدول الكبرى، باذلة جهدًا حثيثًا من أجل اسـتخدام الماسـونية في سـبيل تحقيق سياسـة الاسـتعمار والتوسع والانتشار التي تسـعى إلى تحقيقها. ويقول الكاتب الإيطالي A. Lacovella: «ثمـة إيـمان يقيني ثابت أن إيطاليا أرادت توسـيع ميدان تأثيرها ونفوذها في الشرق، مستفيدة من الماسونية ما استطاعت إلى ذلك سبيل». (١)

ومـن ثـم ظهر أبرز مثـال على اسـتخدام الإيطاليين للماسـونية خير اسـتخدام، وذلك أثناء الخطط التي أعدتها من أجل الاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب العثمانية. وقد أقام الاتحاديون تعاونًا وثيق العُرى مع الجمعيات الماسونية الموجودة في مقدونيا من أجل تمهيد السبيل لثورتهم التي أشـعلوا جذوتها في ٢٤ يوليو عام ١٩٠٨م. وأُلقيت خطب عصماء في هذه المناطق، حض الاتحاديـون فيهـا على العيش في سـلام، مظهرين التحية والتوقير للأخوة والإنسـانية والوحدة المتماسـكة المتآلفـة لأراضي الـدول والممالك جمعاء. كما أن هؤلاء الاتحاديـين كانوا يأملون في أن هؤلاء الماسون سوف يحولون دون احتلال طرابلس الغرب التي تطمح إليها إيطاليا وتمد عينها إليها بعد التطورات التي حدثت بعد ذلك، والتي أظهرت خلاف ما كان متوقعًا.

جيّـش الإيطاليون جيشـهم نحـو طرابلس الغرب – ولمـا بدأت الحرب التركيـة الإيطالية، أسرعت الهيئة الماسـونية الإيطالية في ٢٩ سـبتمبر عام ١٩١١م بنشر بيان أعلنت فيه معارضتها لاحتـلال طرابلـس الغرب، وجاء فيه: «لقد توجهت رغبة وطننا بألوانها، مولية وجهها شـطر طرابلـس الغـرب. ومهما كانت الأفكار الشـخصية الجديـرة بالاحـترام في كل وقت وآن لكل الإخوة، لا سيما ما يتصل منها بشأن الإجراءات التي اتخذها مدبرو هذه الحرب والقائمون على تنفيذهـا، فإن مهمة الماسـونية تتمثل في الترويج لأفكار الحريـة والقوة والكبرياء والعظمة التي تتمتع بها دولة إيطاليا، آملين في هذا السـبيل بأن تتعانق الألوان الثلاثة لرايتنا مع شـمس النصر المبين. وننتظر مترقبين تطور الأحداث بروح ثابتة لا يتزعزع ويقين سليم لا يتطرق إليه الشك». (٢)

أسرع الاتحاديون من جام غضبهم على أولئك الماسـون الذين لم يتلقوا منهم أي ضرب من الدعم والتأييد، ولا سيما الماسون الإيطاليين الذين كانوا شديدي الثقة في الحيلولة دون نشوب

(1) Lacovella , S , 9

(2) Orhan Koloğlu , İttihatcılar ve Masonlar , Gür Yy , İstanbul , 1991, S 286 , Lacovella , S , 53

الحرب الإيطالية التركية. وها هو ذا العالم الإسلامي وأحد شهود العيان وعضو مجلس المبعوثان عن مدينة أفيون يتحدث عن الضيق [1] الذي أصاب طلعت باشا، الذي أخذ يعنف الماسوني عمانوئيل قره صو. حدث هذا إبان احتلال الإيطاليين لطرابلس الغرب. وكان طلعت باشا شديد الانفعال، واشتد غضبه حتى إنه أخذ بخناق اليهودي الماسوني المشهور قره صو وكاد يخنقه.

وأخذ طلعت باشا يسلقه بلسان حداد ويسبه سبًا شديدًا، فما كان من هذا اليهودي الماسوني حتى وقف وهو يتلوى كالحية القرطاء. حينئذ لطمه طلعت باشا لطمة شديدة وسأله قائلًا: أين كان إخواننا الماسون؟ لم نسمع صوتًا واحدًا منهم. إنهم أوغاد لا يخجلون ومدعاة للسخرية والاستهزاء، ولا هدف لكم إلا ماسونيتكم.» ثم بصق في وجه قره صو. [2]

وها هو ذا الجنرال يحكي أفكاره وآراءه على هذا النحو فيقول: «إن طرابلس هي جزء لا يتجزأ من الوطن، موجود في أفريقيا، وكانت دولة أبناء الوطن المتميزين بالوفاء والإخلاص والصدق والبطولة وطهارة القلب وصفاء السريرة. ومن ثم فإن الإيطاليين قد وضعوا أعينهم عليها منذ أمد بعيد، ونجحوا في بلوغ أهدافهم المنشودة عن طريق مساعدة الصهاينة والماسون على حد سواء. وكان لهم ما أرادوا: فقد ذهب إلى إيطاليا اليهودي المسمى متر سالم، وهو ماسوني يتبوأ المنزلة الثالثة والثلاثين في درجات الماسونية. وكان رئيس بلدية روما آنذاك رجل يهودي وماسوني شديد التعصب يدعى ناثان، ويتبوأ نفس الدرجة التي يتبوأها اليهودي متر سالم. والتقى هذان الماسونيان وأعدا الخطط سويًا. ودفعت الخزانة الإيطالية إلى متر سالم عشرات الألوف من العملة الذهبية.

ولما عاد إلى إسطنبول، أقنع الحكومة التركية بأنه جلب هذه العملات الذهبية من أجل إصلاح الأسلحة الموجودة في طرابلس الغرب. بيد أن الجند الموجودين في طرابلس الغرب قد أُرسلوا إلى اليمن بواسطة الخيانة المشتركة للإخوة الماسون. ومن ثم استحوذ الإيطاليون على

(١) لماذا كان قراصو يهوديًا ماسونيًا صهونيًا؟ وكان هذا الرجل موجودًا بين المضطلعين بالدعاية للسلام عن طريق التأمينات المزيفة التي أخذها من إيطاليا، وتدور حول نشوب الحرب التركية الإيطالية (أتيلاخان: ما هي الماسونية: ص: ٦٥، مجلة سبيل الرشاد من عدد ١٤).

(2) Atilhan , Masonluk Nedir ? S , 65 (Sebilürreşad Dergisi , Sayı 14 , den

أجمل جزء من أرض الوطن دون سلاح أو استعداد.[1]

وإذا كان أعضاء مجلس الأمة في طرابلس الغرب قد صعدوا إلى منصة المجلس ورفعوا عقيرتهم بالصياح والصراخ مستغيثين، فإن أصواتهم قد خُنقت أمام الستر الحديدي لهؤلاء الماسون الإيطاليين، مما جعل صراخاتهم واستغاثاتهم تذهب أدراج الرياح. وإذا كان طلعت باشا قد أدرك هذا في النهاية وبعد أن قُضي الأمر، فهيهات هيهات أن يفعل شيئًا.

«لم تكن طرابلس الغرب وحدها هي التي أزعجت الماسون وأقضت مضجعهم، بل إن كلًا من الروملي وفلسطين والعراق والحجاز قد ذهبت جميعها ضحية وفداء لخدمة اليهود».[2] وكانت عظمة بريطانيا أثرًا من آثار الماسونية، وهذا ما تحدثنا عنه من قبل، وهذا ما حدث حقًا. فقد كانت إنجلترا هي الدولة التي استخدمت الماسونية فترة طويلة من أجل تحقيق سياسة الاستعمار والانتشار في كل مكان. وقد اعترف الإنجليز أنفسهم بأنهم استخدموا الماسونية والتبشير كليهما من أجل تحقيق آمالهم في الاستعمار.[3] كان الجنرال كاظم قره بكر شاهد عيان على الأحداث، مثله في ذلك مثل الجنرال آتيلاخان، وهو يفصح عن هذا فيما كتبه بشأن استخدام الإنجليز للماسونية فيقول: «وجد الإنجليز فائدة جمة في استخدام الماسونية قناعًا يخفي وراءه المظاهر العلمية والإنسانية، رغبة منهم في احتلال أماكن أخرى وإخضاعها تحت سيطرتهم بأقل قوة ممكنة. وعلى سبيل المثال، فلم يكد الإنجليز يطئون الهند بأقدامهم حتى أسرعوا من فورهم بتكوين تنظيم ماسوني مشكل من الحكام الهنود والأمراء والأعيان والوجهاء. وقد تبوأ هؤلاء جميعًا مكانة متميزة مهمة بين ثنايا رجال السياسة والفكر الإنجليزي، ناهيك عما كانوا

(١) كان إبراهيم باشا والي طرابلس وقائدها شديد اليقظة والحذر، وقال: كلما مكثنا في طرابلس الغرب كان من المتعذر على الإيطاليين احتلالها، ومن ثم أقدم الماسونيون على عزلة أولًا، ثم انسحب الجند من طربلس الغرب، وأرسل السلاح والمهمات إلى كُلٍّ من: اليمن وإسطنبول، ولكن إبراهيم باشا أدرك بفطنته الأضرار الناجمة عن هذا الوضع، وأخبرا وزارة الحربية أن نقل الجند إلى اليمن وإسطنبول سوف يؤدي إلى تسليم طرابلس الغرب إلى يد الإيطاليين. (شيخ الإسلام: جمال الدين أفندي: مذكراتي السياسية: إعداد محمد أرطغرل دوزدانج سلسلة ١٠٠١ أثر الصادرة عن صحيفة ترجمان، إسطنبول ١٩٧٧م . ص: ٦٧).

(2) Atilhan , Masonluk Nedir ? S 68 – 69

(٣) وردت هذه الاعترافات على لسان أحد المبشرين الإنجليز يدعى إبراهيم خير الله زكي مونتيير، الذي أدلى بأقواله هذه أثناء زيارة أحد الضباط العثمانيين لإنجلترا، حيث قال: ثمة طريقان من أجل أن تغير إنجلترا السياسة التي تريدها: الطريق الأول هو التبشير، والثاني هو الماسونية. (أحمد حمدي: عالم الإسلام والمبشرين الإنجليز: مطبعة الدفاع: باي أوغلو: إسطنبول: ١٣٣٤ه: ص ٤٢).

يتمتعون به من شـأن عظيـم ومنافع جمة في هذه الجمعيات الماسـونية التي فُتحت في كل حدب وصوب من أرجاء الهند. وسرعان ما حققت كثيرًا من المنافع المادية المقدمة إلى هؤلاء الأعضاء الماسـون، وأصبحت مناسـبة للدعايات التي يضطلعون بها في هذا السبيل. وتلقى الإنجليز في سـهولة ويسر كل المعلومات من هؤلاء الأعضاء الماسـون بسـبب الأخوة الإنسـانية والعلمية التي تجمع بينهم، مما وفر المساعدات اللازمة في كل عمل يقومون به».

هكذا أصبحت الماسـونية بهذه الصورة بمثابة قوة مؤثرة في حياة الأمم والشـعوب على حد سـواء. لأن الفرنسـيين والإيطاليين، فضلًا عن الإنجليز وحتى الدول الصغيرة المتحضرة، قد جعلوا من هذا التنظيم الماسـوني مؤسسة مناسبة تمامًا لآمالهم السياسية العريضة التي ينشدونها ويسعون سعيًا حثيثًا إلى تحقيقها.

ومن ثم كانت إنجلترا وفرنسا وإيطاليا يتنافسون فيما بينهم من أجل فتح المدارس الماسونية وكذلك الجمعيات الماسـونية في كل حدب وصوب من مدن الدولة العثمانية. وكانت كل دولة من هذه الدول الثلاث تبذل قصارى جهدها من أجل ضم الجنسيات غير التركية بين صفوفها، وتبث في نفوسـهم أفكار الثورة والتمرد والعصيان، رغبة منهم في توسيع نفوذهم وتأثيرهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

ويتحـدث الجنـرال كاظم قره بكر عـن الجهد الكبير الذي بذلته الماسـونية، حيث أصبحت مركـز جاذبيـة لصبغ المثقفين والبيروقراطيين بالصبغة الماسـونية الخالصة، ولا سـيما إبان حقبة الاتحاد والترقي. ويُفصل القول في النقاط الآتية:

١ -كان رؤسـاء الـوزراء والـوزراء والأمـراء والحكام في كل من بلوجسـتان وأفغانسـتان وإيران والدولة العثمانية يهلكون أنفسهم ويحرصون حرصًا شديدًا على الانضمام لهذه الجمعيات الماسـونية، لأن ثمة شـائعات قد بدأت تشيع وتروج في الأوساط الأوروبية تفيد بأن كل من لا ينضم إلى هذه الجمعيات لا يسـتطيع بحال من الأحوال أن يخاطب الرجل الأوروبي، ومن ثم يعد رجل دولة محرومًا من العقلية العلمية والإنسانية. وضربوا أمثلة كثيرة من هؤلاء.

٢ -اعتقـدت جمعيـة الاتحـاد والترقي بفضـل الدعاية الخارجية أنها سـوف تحظـى باحترام وشأن عظيم داخل الدولة وخارجها باعتناقها للماسونية.

٣- تبوأت الماسونية منزلة سياسية واجتماعية أصبحت بمثابة مدرجة أو سلم يصعد بهم إلى طائفة من المنافع كالثروة، مما سهل الوقوع في الفخ الذي ينصبونه لغيرهم بمهارة فائقة وحذق عظيم. (١)

ثم يعود قره بكر ويتحدث مرة أخرى عن الجهود الحثيثة التي بذلتها الدول الكبرى من أجل تحقيق آمالها وأحلامها التي تراودها عن طريق الاستخدام الأمثل للجمعيات الماسونية واليهود الموجودين في الدولة العثمانية وشتى أرجاء العالم، ثم يبين هذا قائلًا: «أصبحت كل من إنجلترا وفرنسا مهيمنتين على كل حدب وصوب من العالم، باسطتين نفوذهما بقوة بفضل القدرات السياسية والاقتصادية العظيمة اللتين تتمتع بهما الماسونية، ولا سيما البدايات المبكرة لصناعة الحرير التي راجت في كل مكان، مما ساعد على توسيع مستعمرات هاتين الدولتين. والسبب المهم في هذا السبيل يتمثل في الاستفادة القصوى من التنظيمات اليهودية الموجودة في حوزة هاتين الدولتين. أما اليهود الذين يبدون وكأنهم عنصر محايد، فلم يكونوا أصلًا في حوزة الدولة العثمانية البتة. ومن ثم فإن اليهود الأتراك الذين انضموا إلى دائرة التنظيم الماسوني على هذا النحو، فإن صنيعهم هذا كان بمثابة انفصام عن الأتراك، مما أقضى بهم إلى أن يسيروا في معية هؤلاء الماسون وهم مغمضو الأعين، وباتوا بمثابة وسيلة في يد الدول الكبرى التي تريد القضاء على الأتراك واجتثاث جذورهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا». (٢)

«لم يأخذ الألمان نصيبهم من الماسونية من أجل تنفيذ السياسات الاستعمارية وامتداد نفوذها. ولم يكن الألمان راضين عن رؤية الدولة العثمانية وهي تسقط في يد دول التحالف عن طريق الجمعيات الماسونية. وكانت توجد عناصر ماسونية في حوزة الألمان، ويُستشعر بدعاياتها السلبية التي كانت تروجها، كما كانوا يحرضوننا (٣) دون توقف على دخول الحرب العالمية الأولى. (٤)

(1) Kazım Karabekir , I , Dünya Harbine Neden Girdik ? Nasıl Girdik ? Nasıl

(2) İdare ettik ? C: 1.Tecell' Mat . İstanbul , 1937 , S 94 – 97

(٣) لم تنضم ألمانيا إلى محور دول التحالف في أوروبا إبان الحرب العالمية الأولى، ومن ثم وجدت نفسها مضطرة إلى دخول هذه الحرب إلى جانب الدولة العثمانية، واستعانت بكل وسيلة ممكنة لدخول هذه الحرب.

(٤) المؤلف السابق ص . ٩٥

وهذا طرف مما كتبه سليمان كولجه، أحد أعضاء تركيا الفتاة، يقول: «لقد تغير تنظيم الماسونية وهدفها تغييرًا جذريًا منذ القرن السابع عشر الميلادي. ويُعزى سبب هذا التغيير إلى أن الدول الأوروبية المتقدمة قد ألقت بنفسها في لجة السياسة الاستعمارية، ومن ثم فإنها وجدت نفسها راغبة في الاستفادة الجمة من استخدام شعار المظاهر العلمية والإنسانية الذي ترفعه الماسونية، وجعلته قناعًا تستتر من ورائه حتى يتسنى لهذه الدول الكبرى أن تحتل الأماكن الأخرى في سهولة ويسر، وتضمها إلى مستعمراتها، وتستطيع الاستحواذ عليها بأقل قوة ممكنة.

لقد تمت تربية وتنشئة الأطفال النصارى في المدارس الدينية والمدنية التي فُتحت بأسماء مختلفة داخل حدود الدولة العثمانية من أجل جعل العالم الإسلامي مستعمرة خاضعة للدول الكبرى، واستخدام الماسونية وسيلة من أجل تمزيق هذا العالم الإسلامي وتحقيق الآمال والرغبات السياسية لهذه الدول، حتى يتمكن النصارى الخاضعون لحكم الدول غير المسيحية من الحصول على استقلالهم. ناهيك عما اضطلعت به المدارس من بث الأفكار الثورية في نفوس هؤلاء الأطفال، ثم أخذهم بعد ذلك وضمهم إلى الجمعيات الماسونية حتى يشبوا أناسًا ناضجين بالغين مرتبة الكمال، ومن ثم يتسنى لهم تحقيق الآمال العريضة التي تراود أحلام الدول الكبرى. [1]

كانت الماسونية نموذجًا لتنفيذ سياسة الاستعمار والتوسع والانتشار التي تهفو إليها نفوس الدول الكبرى، ناهيك عن أنها أصبحت وسيلة مستخدمة لتقسيم الدولة العثمانية وتقع في يد العناصر الانفصالية. وخير مثال على ذلك أن المنظمة الماسونية المسماة «Etniki Eterya» كانت سببًا في انفصال اليونان عن الدولة العثمانية عن طريق ضروب التمرد والعصيان التي نظمتها هذه المنظمة الماسونية وأشرفت عليها. وتم هذا الانفصال بالفعل في عامي ١٨٢٩ – ١٨٣٠م. وفي عام ١٨١٤م، أُسست في مدينة أوديسا الروسية منظمة ماسونية على النموذج الغربي، واضطلع بتأسيسها ثلاثة من التجار اليونانيين [2]، كانت الغاية الكبرى المنشودة لكل

(1) Karabekir , C: 1.s – 101 – 103

(٢) لم يكن إحياء اليونان القديمة هو الغاية المنشودة لدى جمعية Etnik Eterya الماسونية فحسب، بل كانت تسعى أيضًا إلى إقامة الإمبراطورية البيزنطية من جديد، لتكون إسطنبول عاصمة لها.

(Ahmet Cevdet Paşa , Osmanli Tarihi: G . 1, Matbaai –I Osmaniya , Istanbul , 1901 –s. 325

الجمعيات الماسونية الرومية الموجودة في الدولة العثمانية تتمثل في إقامة الإمبراطورية البيزنطية من جديد [١]،كما كانت هذه الجمعيات تابعة لمنظمة «Etniki Eterya» الماسونية ومرتبطة بها ارتباطًا وثيق العُرى.

وورد هذا في أحد التقارير الإنجليزية على النحو الآتي: «لم تكن الجمعيات الماسونية اليونانية ذات العدد القليل في تركيا إلا شُعبًا مساعدة [٢] ومؤيدة لجمعية Etniki Eterya التي كانت تدعو للثورة والتمرد». [٣] ولقد تحدثنا آنفًا عن رغبة Kleanti Skaliyeri، الأستاذ الأعظم لجمعية برودكس الماسونية، في إقامة الدولة البيزنطية واستخدام الماسونية وسيلة يتوسل بها في هذا السبيل. وقد سار ولده والماسون اليونانيون الآخرون في نفس هذا الطريق الذي اتبعه، حيث مارسوا نشاطهم في الجمعيات الماسونية التي أسسوها. وفي بداية عام ١٨٩٤م، اضطلعت بضع جمعيات ماسونية رومية في إسطنبول بتأسيس جمعية ماسونية غير نظامية ترمي إلى إحياء الدولة البيزنطية وتتدخل في الأنشطة السياسية، وقد سُميت هذه الجمعية باسم: جمعية أنوار الشرق. [٤].

كانت الجمعيات الماسونية المؤسسة في ولايات البلقان في الدولة العثمانية، كرومانيا والرومية والجبل الأسود وبلغاريا والصرب، تشبه تمام الشبه الجمعيات اليونانية والرومية، إذ ما لبثت أن أصبحت بمثابة مؤسسات تنظيم وترتيب كل أنواع الثورات والتمرد والعصيان الموجهة ضد الدولة العثمانية.

ويتحدث الأستاذ قول أوغلو عن الصرب ذات النزعة السياسية، والتي تسعى سعيًا حثيثًا إلى الاستقلال عن الجمعيات الماسونية الأخرى، ناهيك عن أنها كانت تتلقى المساعدات المالية والسلاح من الماسون الأوروبيين. ويُفهم من هذا أن المنظمات القومية الماسونية الموجودة في منطقة البلقان كانت تتعاون مع بعضها ضد الدولة العثمانية. [٥]

أما العناصر الانفصالية الأخرى الموجودة في الدولة العثمانية، مثل الأرمن واليهود

(1) Süleyman Küleçe , Türkiyede Masonluk , Nesafet , Mat , İstanbul , 1984 , S22 –25

(2) Demirti Kitsikikis , Türk –yunan İmparatorluğu , Çev: V , Aytar , İlitişim , 1996 , S, 171

(3) Ahmet Cevdet Paşa , Osmanlı Tarihi C , 1 , Matbaa –i Osmaniye , İstanbul , 1901 , s, 325

(٤) وذلك مثل الجمعيات الماسونية الإيطالية التي طبقت سياسات التنويم نحو جماعة تركيا.

(5) Koloğlu , Abdülhamid ve Masonlar , s, 56

والعرب[1] والأرناؤوط، فإنهم استخدموا الماسونية من أجل تحقيق آمالهم في تقسيم الدولة العثمانية وإضعاف قوتها. [2]

الماسونية وجمعية تركيا الفتاة:

ظهرت ثورة ٢٩ مايو عام ١٨٧٦م من أجل الإتيان بالدستور، وكانت هذه الثورة بمثابة بواكير الأدوار العظمى التي اضطلع بها الماسون من أجل تغيير النظام في تركيا. ثم ما لبث أن ظهرت في عقبها الثورة الثانية في ٢٤ يوليو من أجل تحقيق الغاية نفسها التي اتبعتها الثورة الأولى، ألا وهي المطالبة بالدستور. وتمخضت هذه الثورة الأخيرة عن نتيجة اضطر معها السلطان عبد الحميد الثاني منذ العام الذي عطل فيه الدستور في سنة ١٨٧٨م. وشرعوا من فورهم في البحث عن السُبل التي من شأنها أن تعيد الدستور مرة أخرى وتضعه موضع التنفيذ، مما جعلهم يشتركون في كثير من الثورات من أجل تحقيق الغاية التي يصبون إليها. واتخذ عبد الحميد تدابير صارمة، ولكنها لم تبصره بحقيقة هؤلاء الماسون، وفي بدايات القرن العشرين الميلادي، كانت الماسونية قد ازدادت قوة ومنعة، ولا سيما في مقدونيا وفي كل من ولايات سلانيك وماناستير وأسكوب وقوصوه. وأبدت الماسونية بكل قوة ثورة الاتحاديين ونضالهم ضد عبد الحميد من أجل الدستور. وما لبثت أن اضطلعت بدور مهم سواء في إعلان الدستور أو في إقصاء عبد الحميد عن سدة العرش والإطاحة به في يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ أبريل عام ١٩٠٩م.

جبهة التحالف ضد السلطان عبد الحميد

عندما أصبح السلطان عبد الحميد سلطانًا على البلاد، كان إحياء الدولة والأسرة الحاكمة هو الأمل المنشود الذي يراوده ويداعب خياله. وكانت فترة حكمه قد زاد فيها طغيان الأنشطة المؤثرة الفعالة التي ترمي إلى تقسيم الوطن، ناهيك عن الاستعمار الذي تغلغل نفوذه في تركيا والعالم بأسره على حد سواء. وكان هذا سببًا اضطر السلطان عبد الحميد إلى اتخاذ تدابير صارمة في الخارج متمثلة في التصدي للاستعمار وامتداد نفوذه، وفي الداخل متمثلة في الوقوف ضد حركات التقسيم التي تزعمتها العناصر الانفصالية.

(١) المصدر السابق ص . ٢٠٦

(٢) المصدر السابق ص . ٥٢

وقد كان صراع عبد الحميد مع الاتحاديين من أجل الدستور بمثابة مضمار آخر للنضال بإزاء نضاله ضد سياسة الاستعمار والتقسيم التي اضطلعت بها الدول الكبرى في تركيا والعالم على السواء.

كان الاتحاديون يعتقدون اعتقادًا جازمًا أن تطبيق الدستور سوف ينقذ الدولة ويخلصها من الأزمات التي تعيش في لجتها ولا تستطيع الفكاك من أسرها. أما السلطان عبد الحميد الثاني فيرى أن الدستور، رغم أنه نظرية ذات فائدة جمة، فإن تطبيقه في الوقت الراهن غير مناسب بسبب الأوضاع والأحوال التي تعيشها تركيا والعالم على حد سواء. وكان همه الأكبر الذي يؤرقه ويقض مضجعه متمثلًا في التفرق والتشتت الذي سوف يصيب الدولة العثمانية ويعصف بها في غضون فترة قصيرة من الزمان عند تطبيق الدستور ووضعه موضع التنفيذ.

ولما جاءت بدايات القرن العشرين الميلادي، كانت الدول الكبرى وهي إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا التي تتبع سياسة استعمارية توسعية غير راضية أو مسرورة عن الحدود المرسومة في حالة استقلال الدول الصغرى والأقليات عن الدولة العثمانية. كما كانت الدول الصغرى مثل اليونان وبلغاريا وصربيا والجبل الأسود يراودها أمل توسيع أراضيها عن طريق احتلال الأراضي التركية. ناهيك عن أن العناصر الانفصالية مثل الأرمن والصهاينة والعرب والأرناؤوط كانوا جميعًا يريدون إقامة دويلات مستقلة لهم في أراضي الدولة العثمانية. كما انضم الاتحاديون إلى هؤلاء وأولئك. ولما أدرك هؤلاء المتآمرون جميعًا أنهم لن يتسنى لهم تحقيق آمالهم المنشودة إبان حكم عبد الحميد، فإنهم بحثوا عن كل السبل والوسائل التي تُضعفه وتوهن قوته في أول فرصة سانحة. ولما ظهرت الحاجة إلى توحيد كل هذه القوى ولم شملها من أجل تحقيق الفرص التي يسعون إليها، كان من الطبيعي أن يظهر هذا التحالف الرباعي المكون من كل من: الدول الكبرى، والدول الصغرى، والعناصر الانفصالية، والاتحاديون الذين وقفوا جميعًا متآزرين متعاضدين ضد السلطان عبد الحميد. [1]

(١) لمزيد من المعلومات المفصلة المتعلقة بهذه الفترة التاريخية وألحداث المتصلة بها انظر

Süleyman Kocabaş Sultan 11 Abdülhamid şahsiyati ve poşitikasi vatan yy Istanbul 1995 s –364 –399

الجمعيات الماسونية في مقدونيا:

كان أبـرز مجـال عملي لهذا التحالف الرباعي متمثلًا في تأييد حركة تركيا الفتاة، ثم تأسـيس جمعيـة الاتحاد والترقي، ناهيك عن الجهود الحثيثة التي بذلتها الجمعيات الماسـونية الموجودة في مقدونيـا من أجل إعداد الجيش الثالث وتهيئته للثـورة ورفع راية التمرد والعصيان. ولما كانت مقدونيا قريبة من أوروبا ومكونة من عناصر شديدة التباين والاختلاف، فإن الضباط العاملين بصفـة دائمـة في الجيش قد تبوأوا المناصب الأولى في بنيـة الجيش الثالث الميداني. ناهيك عن أن الجمعيات الماسـونية قد أظهرت نشـاطها براحة وطمأنينة بسبب أن منطقة مقدونيا كانت مجالًا للاتصالات تحت المراقبة الدولية، مما جعل الأوضاع مواتية أمام هذه الجمعيات من أجل إعداد الجيش الثالث وتهيئته للثورة.

وقد كانت سـلانيك مدينة عالمية لمثل هذه التطـورات في منطقة مقدونيا. وكان هواء الحرية قـد بـدأ يهب في سـلانيك ولم يُر مثلـه في مواضع أخرى منذ السـنوات الأخيرة للقرن التاسـع عـشر الميـلادي. كما كانت هـذه المدينة تمتلئ بكثير من المؤسسـات القانونيـة الخارجية المتباينة. كما كانت الصحافة تسـخر مسـتهزئة بالرقابة على المطبوعات بكل صراحة وجلاء، ناهيك عن أولئك المحرضين وأعضاء الجمعيات السرية الماسـونية ممن كانوا يطوفون داخل ربوع المدن في حرية مطلقة. وكانت السلطة الحاكمة وولاية سلانيك تحاول إظهار نفسها بين الفينة والأخرى وتفرض نظمًا للعقوبات، ولكن سرعان ما تتدخل قنصلية أجنبية بهدف محو كل التأثيرات التي تحمـي النظـام العـام في البـلاد، أو يظهر رجل دين أو شـخص آخر من ذوي النفوذ والسـطوة الغالبة فيتواطأ مع هذه القنصلية في إشاعة الفوضى في الولاية وتعطيل سيادة القانون.

وثمـة حقيقـة لا مـراء فيها تثبت أن أكثر من نصف سـكان سـلانيك كانوا يهـودًا في أوائل القـرن العشريـن الميـلادي. كان اليهود يتمتعون بازدهار أوضاعهم المادية وسـمو مسـتوياتهم العلمية والتعليمية وأفكارهم الوضعية Positivist التي جلبوها من الغرب وبلغوا فيها مبلغًا عظيمًا. ناهيك عن كونهم يمثلون الأغلبية العظيمة في ولاية سـلانيك. ولا شـك أن هذا المناخ كان مناسـبًا جدًا لاسـتقرار الجمعيات الماسـونية وتوطيد نفوذها في كل مكان. وجدير بالذكر أن البورجوازيـة في سـلانيك كانت ذات علاقة قويـة وثيقة العُرى مع إيطاليـا. وكانت الكثرة

الكاثـرة مـن سُراة القوم ووجهائهم فيها إما من ذوي الجنسـية الإيطالية أو ممن يتمتعون بحماية القناصل الإيطاليين. (١)

كانت الشـخصية اليهودية في سـلانيك تتبوأ دائمًا الدرجات العُلى والمناصب الرفيعة، حتى إن هذه المدينة أُطلِقَ عليها اسـم «القدس الثانية». كانت سـلانيك هي المدينة الثالثة الكبرى في الدولـة العثمانية بعد إسـطنبول وإزمير، ويزيد سـكانها على المائة والسـبعين ألفًـا. وكان اليهود يمثلـون القسـم الأكبر من سـكانها. أما الترك المسـتقرون داخل هذه المدينـة فيأتون في الدرجة الثانيـة. وكان الـروم فيهـا عددًا كبيرًا، كـما كانت تضم خمسـة وأربعين بيتًا مـن الأرمن، وكان البلغار فيها أكثر عددًا من الأرمن.

ويتبين من كل هذا أن سـلانيك كانت مدينة عالمية تضم أعراقًا وجنسـيات متباينة، وكانت اللغـة اليهوديـة المسـمَّاة «Udeo–Espanyol» مـن أكثر اللغات المسـتعملة في هـذه المدينة. ولكن لما كان اليهود قد تعلَّموا الفرنسية في مدارس «Aylans»، فإنهم كانوا يتحدثون فرنسية المثقفين. (٢) وكانت سلانيك في الوقت نفسه مدينة مركزية مقدسة ليهود الدولة العثمانية خاصة، وليهـود الدنيـا بأسرها على وجه العموم. وكان معظم هؤلاء اليهـود ممن فروا هاربين إلى تركيا مـن بطش محاكم التفتيش الإسـبانية، وبلـغ عددهم ثمانين ألفًا، يوجد بينهـم ما بين عشرين إلى خمسـة وعشرين ألفًا من يهود الدونمة، الذين اضطلعوا بفتح معظم الجمعيات الماسونية والبنية الأساسـية لجمعية الاتحاد والترقي، الممتلئة بعدد كبير من يهود الدونمة. ولكن هذه الجمعيات وغيرها من المؤسسات اليهودية قد أخفقت في التأثير في سياسة السلطان عبد الحميد الثاني. (٣).

ولما ظهر التحالف الرباعي الذي أشرنا إليه آنفًا ضد عبد الحميد الثاني، أصبح المناخ السائد في سلانيك أفضل مناخ موجود آنذاك، حتى يتسنى لهذا التحالف بلوغ أهدافه التي يسعى سعيًا حثيثًا إلى تحقيقها. ولوحظت آنذاك زيادة مطردة في تأسيس الجمعيات الماسونية في الفترة ما بين أعوام ١٩٠٠–١٩٠٨، والتي زاد فيها النضال ضد السـلطان عبد الحميد. وسرعان ما ظهرت الجمعيات الماسـونية في كل مـدن مقدونيا، وكأنها الفُطر الذي ينبت مـن الأرض. ولنقرأ طرفًا

(1) Dummont S.74 –75

(2) Kazim Nami duru , İttihat ve Terakki Hatıralarım , Sucuoğlu Mat , İstanbul , 1957 , S , 11

(3) Philip P Graves , Britan and Türk , Hunchinson and Co , London and Melboure , 1911 , S139

مما كتبه الأستاذ «Dumont» في هذا الصدد: «كان يوجد في سلانيك جمعية ماسونية وحيدة تسمى جمعية مقدونيا الحية، وترتبط ارتباطًا وثيق العُرى بجمعية الشرف العظيم الماسونية الإيطالية، وتشكل أحد المصادر الأساسية لحركة تركيا الفتاة. أما قبل ثورة ١٩٠٨م، فإن هذا الوضع قد تغير تغيرًا تامًا، حيث أُسِّست خمس جمعيات على الأقل في خلال بضع سنين.

وفي عام ١٩٠٤م، أُسِّست جمعية الحقيقة، وكانت تابعة للجمعية الماسونية الشرقية الكبرى في فرنسا. كما أُسِّست بعد سنتين أخريين جمعية العمل والنور، التي أسستها الجمعية الشرفية الإيطالية. وكان الأخوان «Philippos–Persevencia» كلاهما قد اضطلعا في عام ١٩٠٧م بتأسيس جمعية «Stea O Salanıc ulu»، وكان الأخ الأول تابعًا للجمعية الشرقية اليونانية، أما الثاني فكان تابعًا للجمعية الشرقية الإسبانية. أما أحداث صيف عام ١٩٠٨، فإنها سرعان ما عجَّلت أكثر بنشوب هذه الثورة. [١].

وفي عام ١٩٠٦م، أُسِّست جمعية «L'Avenir de L'Orient»، التي كانت خاضعة لهيمنة فرنسا. وكان كل الأعضاء المؤسسين لها من اليهود ويهود الدونمة [٢]، وكان كل الأعضاء المؤسسين لجمعية «الحقيقة» إبان السنوات الأولى لنشأتها. «كان هناك واحد من كتاب السياسة البارزين في سلانيك عضوًا في هذه الجمعية، وهو من الأعضاء المسلمين الذين يشدون الانتباه في هذا السبيل. وكان فاضل نجيب من يهود الدونمة، وكان واحدًا من مؤسسي صحيفة العصر الجديد، التي كانت من أفضل الصحف التركية التي تصدر في مدينة سلانيك. وكان كاتبًا متميزًا صاحب قلم جبَّار، واشترك اشتراكًا نشطًا مؤثرًا في الأنشطة الخفية لجماعة تركيا الفتاة، واضطلع بأنشطة الدعاية لجمعية الاتحاد والترقي إبان ثورة ١٩٠٨م [٣]، ومن يهود الدونمة الذين كانوا أعضاء في جمعية الحقيقة الماسونية كل من: عثمان عادل، وفائق نزهت الذي كان مترجمًا لحسين حلمي باشا الوالي العام على مقدونيا، وطلعت إسماعيل، ومحمد ثروت.

وكان جاويد بك من يهود الدونمة، وكان من الشخصيات البارزة التي تأتي في طليعة الاتحاديين، وكان زعيمًا لجمعية الدستور التابعة لجمعية المشارق الماسونية الإسبانية. كما كان

(1) Dummont .S.72

(٢) المؤلف السابق ص ٩٤

(٣) المؤلف السابق ص ٧٨ –٧٩

كل من طلعت باشـا، ومدحت باشـا، ومدحت شـكري، ورحمي جان بولاد إسماعيل، وجمال بـك، وغيرهـم من الوزراء أعضـاء في هذه الجمعيـة، ناهيك عن عمانويل قراصـوا، الذي كان زعيمًا لجمعية مقدونيا الحية الماسونية. (١)

أسـباب التاثـيرات القويـة لليهـود ويهـود الدونمة داخـل حركة تركيـا الفتـاة والجمعيات الماسونية:

يمكن أن نقول بصورة جازمة قاطعة إن الثورة التركية قد وصفت بأنها ما هي إلا فعل ناجم عن الأخطاء الفادحة للماسـون واليهود على حد سـواء. وهذه مقولـة حقيقية لها نصيب عظيم من الصواب، ولا يتطرق إليها الشك. وإذا تناولنا هذه المسألة من زاوية اليهود ويهود الدونمة، فيمكن حينئذ أن نصف أسباب التأثيرات القوية لهما على النحو الآتي:

١ - التأثيرات الصهيونية التي كانت تيارًا من تيارات التقسـيم أي تقسـيم الدولة العثمانية: فقد اجتمع في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م المؤتمر الصهيوني العالمي الأول، وأصدر قرارًا بإنشـاء وطن قومي لليهود في فلسـطين. (٢). وكانت فلسطين في هذه الأيام مقاطعة تابعة لولاية سـورية. وكان هذا أمرًا هينًا إنشـاء الدولة اليهودية إذا ما تسنى للصهاينة التفاهم مع السلطان عبـد الحميـد الثاني. ولأجل هذا، تردد تيودور هرتزل، رئيس المؤتمر الصهيوني، على إسـطنبول خمـس مـرات في الفترة من يونيو ١٨٩٦ حتى يوليو عام ١٩٠٢م، وأخذ يتسـاوم مع السـلطان ورجالات الدولة العثمانية، ولكنه ارتد على عقبيه، ورفضت طلباته التي عرضها. (٣)

ولما اسـتيأس هرتزل من السـلطان عبد الحميد، بات على يقين من أن الآمال العريضة التي تـراود الصهيونيـة لن تتحقق ما دام عبد الحميد على سُـدة العرش، مما دفع هرتزل إلى أن يصدر أمرًا إلى الصهاينة بضرورة التعاون مع الاتحاديين ضد عبد الحميد حتى يُوهَن من عزيمته ويُفَتَّ في عضده. حتى إن هرتزل تحدث عن تمزيق أوصال تركيا وتفريق شملها. (٤).

(1) Haydar Rifat , Farmasonluk , Tefeyyüz K , evi İstanbul , 1934 , S 296 -297

(2) Nahum Solokow , A History Zıonism 1600 -1918 , Ktav P , House Inc , New York , 1969 , S , 269

(3) Herzl , Vol: 1 , s , 378 -379

(٤) المؤلف السابق الجزء الاول ص. ٣٧٤

وكان الحلم الذي يراود هرتزل يتمثل في أنه إذا مُزِّقت تركيا وتفرَّق شملها، فإن فلسطين حينئذ ستكون من نصيب اليهود. ومن ثم، فإن إقحام تركيا عمدًا إلى أتون الحرب العالمية الأولى سوف يتمخض عنه تمزيق أوصالها، وسيتحقق أمل اليهود في إقامة دولتهم في فلسطين، وتكون خاضعة تحت الانتداب البريطاني أول الأمر. وهذا النوع من الحكم سيكون بمثابة فترة انتقالية لدولة إسرائيل، ولسوف تؤسس دولة إسرائيل عام ١٩٤٧م عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، التي خدمت الآمال الصهيونية مثلها في ذلك مثل الحرب العالمية الأولى.

أما الصهاينة الذين تلقوا الأمر من تيودور هرتزل، فإنهم سرعان ما عقدوا تعاونًا وثيقًا مع الاتحاديين، باذلين قصارى جهدهم لإضعاف قوة السلطان عبد الحميد الثاني وتقويض بنيانه.

بدأ الصهاينة يساعدون الاتحاديين الذين يناضلون ضد السلطان عبد الحميد منذ أن فروا هاربين إلى أوروبا، ولم يكتفوا بهذا، بل حققوا نصرًا مظفرًا للصهيونية عن طريق اليهود من مواطني الدولة العثمانية. ومن ثم، باتوا يفكرون مليًا في الاستفادة القصوى منهم رغبة في تحقيق أغراضهم. لأجل هذا، جاء هؤلاء الصهاينة إلى تركيا، لا سيما أنهم اهتموا اهتمامًا بالغًا باليهود ويهود الدونمة ممن يعيشون بكثافة متراكمة في مدينة سلانيك.

وها هي ذي طائفة من اليهود الذين فاز بهم الصهاينة الذين جاءوا من أوروبا، وكانوا بمثابة نصر مبين للصهيونية في سلانيك: الحاخام يعقوب مائير، وجوزيف نايور صاحب صحيفة «L'Echo» اليهودية، ونسيم مازلياه، ونسيم روسو. «بيد أن أعظم فائدة وربح موفور هو ذلك اليهودي ذائع الصيت عمانويل قراصو [١] الذي كان عضو البرلمان عن مدينة سلانيك في البرلمان العثماني، وأحد الشخصيات البارزة الضالعة داخل حركة تركيا الفتاة. [٢]

(١) ثمة شكوك تدور حول أن هذا الرجل لم يكن صهيونيًا (Ramsaur: s . 128) ونحن على يقين تام بأن هذا ليس صحيحًا، وأن هرتزل لم يذهب منفردًا وحيدًا إلى.... من أجل طلب فلسطين من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، بل ثمة وفود أخرى من اليهود ذهبت بدورها من أجل الغرض نفسه. وكان قراصوا واحدًا من هؤلاء الذين ذهبوا إلى القصر (انظر: Hasan Amca: Dogmayan Hurriyet . M. siralar Mat: Istanbul , 1958:s74

(2) Islah Friedman , Germany, Türkey and Zıonism 1897 –1918,At the Clearenon Press , Oxford, 1917, s, 461

أما كون قراصو مكسبًا عظيمًا، فيأتي من صفاته التي تميز بها، والتي عبر عنها الكاتب اليهودي آورام جالانتي بقوله: «إنه شخص أدى خدمة جليلة لجمعية الاتحاد والترقي، وهو شخص حقق نجاحًا عظيمًا في هذا السبيل». (١)

ولسوف نرى فيما بعد أن ثمة زمرة من اليهود العثمانيين ويهود الدونمة كانوا بمثابة نصر عظيم للصهيونية، وحرصوا على استخدام الجمعيات الماسونية حتى يمكن الاتحاديون من تضعضع قوة عبد الحميد وزعزعة سلطانه.

٢ - استخدام الدول الكبرى لليهود:

كان اليهود منذ حقبة مبكرة من الزمان يعيشون في الدولة العثمانية، ويتمتعون بالألمعية والعبقرية وقوة الذكاء والعقلية الاقتصادية، ناهيك عن أنهم كانوا من الزمرة المثقفة ذات الثراء العريض. وكانوا مثل غيرهم من العناصر غير المسلمة الأخرى يعملون سماسرة ووسطاء تجاريين للبضائع والمنتجات الصناعية الأوروبية في تركيا خاصة، وفي أسواقهم على وجه العموم. وكانت لهم علاقات حميمة ووطيدة مع الدول الكبرى. ولا جرم أن هذا التقارب مكَّن طائفة منهم أن يكونوا وسيلة وعملاء سريين وجواسيس للدول الكبرى من أجل تحقيق أغراضها في تركيا. وثمة شكوك تدور حول الجهود التي بذلتها طائفة من يهود سلانيك لحساب كل من إيطاليا وألمانيا على وجه الخصوص. وها هو ذا اليهودي مويز كوهين تكن ألب كان يعمل جاسوسًا لحساب ألمانيا، ناهيك عن عمانويل قراصو الذي كان بدوره جاسوسًا لحساب إيطاليا.

٣ - وإذا كانت هناك طائفة من اليهود ويهود الدونمة كانت لهم تصرفات وسلوكيات سلبية تجاه تركيا، فإن ثمة طائفة أخرى منهم كانوا مواطنين مخلصين للدولة العثمانية، متمسكين بولائهم لها، راغبين في حُبِّ هذه الدولة من حبة فؤادهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا. ومن هؤلاء على سبيل المثال:

أ. طائفة من اليهود ممن قبلتهم الدولة العثمانية منذ العصر الوسيط بسبب المظالم التي تعرضوا لها في محاكم التفتيش، وأصبح هؤلاء بمثابة رعية أعاشتهم الدولة العثمانية في بحبوحة من العيش والرفاهية والأمن في إطار احترام الفوارق والجنسيات. وخطبت الدولة العثمانية

(1) Prof , Avram Galanti , Türkler ve Yahudiler , Tan Mat , İstanbul , 1947,s,93

باعـتراف اليهـود بهذا الجميل الـذي لم يجحدوه. وثمة طائفـة من اليهود القنادين ممن سـلكوا سـلوكًا يرمـي إلى إحيـاء الدولة اليهودية التي سـلف ذكرها إذا ما تفرق شـمل الدولة العثمانية وتمزقت أوصالها. وفي سـبيل هذا، أسرعوا مـن فورهم بتأييد ثورة الاتحاديين بكل ما أوتوا من قوة، وهم على يقين أن ثورة هؤلاء الاتحاديين سـوف تنقذ الدولة والأمة على حد سـواء. وهذا التأييد كان يشبه تأييد المواطنين الأتراك المخلصين.

ب. رغم بدء تطبيق نظام مقاسمة الحكم والانضمام إليه في إطار المساواة المتبعة بين الرعايا الخاضعين لحكم الدولة العثمانية، الذي أصبح ساريًا مع صدور فرمان التنظيمات عام ١٨٣٩م، فإن ثمة طائفة من اليهود رأت أن هذا التطبيق لم يكن في المستوى الذي كانت تهفو إليه نفوسهم. ومـن ثم، أخذت تفكر في التطبيق الفعلي للدسـتور ليكـون عوضًا عن كل هذا، مما دفعهم دفعًا شـديدًا إلى مسـاعدة جماعة تركيا الفتاة في نضالها الذي تخوضه من أجل الدسـتور، حتى يتسنى لها أن تكون ذات قوة نافذة مؤثرة في تغيير نظام الحكم وتسـوية الأوضاع المضطربة السـائدة في كل أرجاء الدولة. (١)

التأثيرات القوية الفعالة لليهود ويهود الدونمة في الجمعيات الماسونية:

تبوأت هذه المسـألة مكانـة متميزة في كثير من المصادر التاريخيـة: «كانت هناك خلايا ثورية منظمة في سـلانيك تعمل باسـم جمعية الاتحاد والترقي، وكان يوجد في هذه المدينة فوج عظيم من اليهود تنتسب الكثرة منهم إلى الرعايا الإيطاليين وإلى الجمعيات الماسونية الإيطالية. ناهيك عما يتمتعون به من حماية في كنف الرعايا الإيطاليين. ورغم وجود اتفاقية الامتيازات الأجنبية، فإن هؤلاء اليهود لم يُحبسوا بأمر من السلطان، ولم تتعرض بيوتهم للتفتيش على يد البوليس، ولا تتم محاكمتهم إلا بواسـطة القنصليات التابعة لهم. ومن ثم، أسـس هؤلاء اليهود جمعية الاتحاد والترقي تابعة لأصول وقواعد الجمعيات الماسـونية، ومسـتفيدة فائدة جمة من هذه الحماية التي يتمتعـون بها. وقـد عقد الاتحاديون اجتماعاتهم بـكل طمأنينة وأمان في بيـوت اليهود، وأعدوا

(١) هـا هي ذي أسـماء طائفة مـن الكتب التي تبين هـذه الآراء والأفكار التي دوناها في نقطتـي أ –ب. (فروز أحمد: الاتحـاد والترقـي ١٩٠٨ –١٩١٠٤م: ترجمـة: ولكـن: دار نشـر Sander : إسـطنبول ١٩٧١، ص ٤٠ –٤١) (بـاول دومونـد: الحركات الصهيونية في الامبراطورية العثمانية: ترجمة: طلعت آقتونقال: دار نشـر Gozlem ، إسطنبول ١٩٧٧، ص ٤٥).

خططهم فيها، وقدموا لهم أعطيات وهبات كثيرة». [1] وقد ظهرت ثورة في مقدونيا ثورة ١٩٠٨م، وانتقلت جمعية الاتحاد والترقي من باريس وسويسرا إلى سلانيك في عام ١٩٠٦م. ونهضت الأوساط الماسونية في سلانيك على اختلاف جنسياتها بمساعدة هؤلاء الاتحاديين بكل قوة وحماس، وأصبحت مساعدة هؤلاء اليهود ظاهرة بجلاء. [2]

استطاعت الحركة الثورية أن تشتعل في كل المدن التركية وتحيط بها من كل جانب، ولكنها كانت أشد حدة وصرامة في مدينة سلانيك، مما مكَّن أنشطة جمعية الاتحاد والترقي من الديمومة والتأثير بفضل الحماية التي تمتعت بها في كنف الجمعيات الماسونية الموجودة في سلانيك. وكبرت جمعية الاتحاد والترقي السرية وعظم شأنها، وانتشرت في كل حدب وصوب، وبذلت قصارى جهدها للقضاء على نظام حكم عبد الحميد. كان اليهود أو يهود الدونمة بمثابة العقل المدبر الحقيقي لحركة الاتحاد والترقي. وكان الأغنياء اليهود في كل من مدينتي سلانيك ودنومكس يقدمون مساعدات مالية إلى هؤلاء الاتحاديين، ناهيك عن التمويل المادي الذي توفر لهؤلاء الاتحاديين على يد أصحاب رءوس الأموال الدوليين أو شبه الدوليين في كل من بودابست وفيينا وبرلين وباريس وإنجلترا. [3].

كانت جمعية الاتحاد والترقي، التي يوجد مقرها في سلانيك، هي التي تدبر وتنظم ثورة تركيا الفتاة. وظهرت العناصر الأساسية لهذه الجمعية من الشباب المسلم واليهود ممن نشأوا وتربوا في المدارس الأجنبية الموجودة داخل الوطن وخارجه، والذين كانت لهم علاقة وثيقة العُرى بالأفكار الأوروبية. [4]

كان في مدينة سلانيك كثير من اليهود. وكان معظمهم من الرعايا الإيطاليين أو الماسون الفرنسيين. وكان هؤلاء اليهود يقدمون المساعدات المالية إلى هذه الجمعية السرية بتحريض من

(1) Armstrong , Bozkurt , Sel Yy , İstanbul , 1955 , s , 25

(2) Issued by the Historical Section of the Foreign Office , peace Handbooks Part II , Volume IV , Macedonia , H , M Stationery Office , London , 1920 , S , 36

(3) Seton –Watson R , W , The Rise of Natıonality in the Bakans , Howard Ferting , New York , S 1966 , S185

(4) Wesley M Gewehr , The Rise of Natıonality in the Bakans 1800 –1830 , Henry Holt Co , New york , 1931 , s , 82

الماسـونية وتشـجيعها. ولما كان هؤلاء اليهود من الرعايا الأجانب، فإنهم اسـتطاعوا الاختفاء والتـوارِي في بيـوت الاتحاديـين، وكانوا ينقذونهـم من الحبـس والاعتقـال. وكان الاتحاديون يجتمعـون في بيـوت اليهود، ويحظون بالمسـاعدات الماليـة الكبيرة من اليهود الذيـن لا يعرفون المصادر التي تبعث لهم بهذه الأموال. (١)

سرعـان مـا أخذت حركة تركيا الفتاة تكبر وتنمو ويعظُم شـأنها عـلى حين غفلة خلال عام ١٩٠٨م. وكان يهود سـلانيك ويهود الدونمة يمثلون الأغلبيـة المطلقة التي تمتعت بقوة مؤثرة بين أعضائها. (٢)

" كان ثمـة مركـزان أساسـيان داخل الوطن لجمعيـة الاتحاد والترقى إبـان حقبتها السرية: وكانت جمعية سلانيك تشكل الغالبية المطلقة للأرناءوط والبكتاشية الملامية.

كان ثمـة مركـزان أساسـيان داخـل الوطن لجمعيـة الاتحاد والترقـي إبان حقبتهـا السرية: وكانت جمعية سـلانيك تشـكل الغالبية المطلقة للأرناؤوط والبكتاشية الملامية. كانت سلانيك بمثابة القوة الفكرية للاتحاد والترقي، كما كانت مناستير بمثابة القوة الضاربة لها. وكانت التكية البكتاشية في مناستير شديدة القوة والبأس، لا سيما أن الأمير الاي صادق بك، ابن شيخ التكية الملامية في إسطنبول، كان موجودًا في مناستير. كما كان كل ضباط الملامية الموجودين في الجيش يتبوؤون مكانة مرموقة ويحيطون بهذا الرجل صادق بك من كل جانب. وفي مقابل هذا، كانت الأفكار الماسونية والاشتراكية الغربية الموجودة في سلانيك كثيرة وذات تأثير عظيم. (٣)

أما البروفيسـور اليهودي أوسـام جالانتي، فله تحليلات يهوديـة صادقة مخلصة تدور حول موضـوع المواطنة العثمانية، يقول فيها: "كانت الجمعية المصرية الإسرائيلية إحدى المؤسسـات التي تسـاعد جماعة تركيـا الفتاة، التي تدين لليهود بالفضل في الحصـول على الحرية التي تتمتع بها. إن هذه الجمعية كانت أحد جهودي الشـخصية، وأسـهم في تأسيسـها أيضًا أولئك اليهود الأتراك الموجودين في مصر، ولاذوا إليها طلبًا للحماية. وأن المهنة الرئيسـية لهذه الجمعية تتمثل

(1) Benoist Mechin ,Kaplan ve Pars Mustafa Kemal ,Çev: H.Uçar ,C,I , Nurgök Mat , İstanbul, 1955, s, 82

(2) Lord Eversly, The Türkish Empire its Growth and Decay, T, Fisher, Unwin Ltd, London, 1918, s, 342

(3) Abidin Nesimi , Yılların İçinden , Gözlem Yy , İstanbul , 1977, s, 31-32

في إرسال الأوراق الضارة عن طريق الحكومة بشتى الطرق المختلفة، وتقديم معلومات تتعلق بالوضع الحقيقي للشعب التركي. ولما ذهب أحمد رضا، أحد كبار جماعة تركيا الفتاة، إلى مصر في عام ١٩٠٧م، أسرع من فوره بالاتصال بالجمعية المصرية الإسرائيلية. وانضمت الجمعية الإسرائيلية إلى مؤتمر تركيا الفتاة الذي عقد اجتماعه في باريس إبان الأيام الأخيرة من عام ١٩٠٧م، واضطلعت بدورها بما قدمته من معلومات إلى أحمد رضا بك. (١)

استخدامات الدول الاستعمارية للماسونية:

تفيد المعلومات التي كتبها «Ramsur» والمعلومات المنقولة من المصادر المختلفة أن الجمعيتين الماسونيتين الكبيرتين في كل من إيطاليا وفرنسا قررتا الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني. ومن ثم، أسرعت هاتان الجمعيتان من فورهما بإقامة تعاون وثيق مع جماعة تركيا الفتاة ويهود الدونمة الموجودين في سلانيك من أجل تنفيذ المهمة التي عقدوا العزم على الاضطلاع بها.

ويتحدث الأستاذ «Dumont» عن العلاقة الوثقى بين الجمعية الفرنسية الماسونية وثورة جماعة تركيا الفتاة التي قامت في عام ١٩٠٨م، واستخدام تركيا الفتاة لتحقيق الآمال الفرنسية عن طريق الماسونية، واستمرار هذا النشاط عقب ثورة ١٩٠٨م. وأصبحت إسطنبول ساحة للتنافس بين الاستعمارين الفرنسي والألماني، وكيفية الاستفادة القصوى من الماسونية في هذا السبيل. يقول «Dumont»: «لم يتقاعس هؤلاء الماسون في إظهار أنفسهم وارتباطهم الوثيق بالسلطة الفرنسية الحاكمة. ولم يكد يمضِ أسبوع واحد على تدخلهم من أجل تفعيل الدستور في ٢٤ يوليو عام ١٩٠٨ ووضعه موضع التنفيذ، حتى أسرع العضو الماسوني السابق لجمعية برودكس الماسونية ويدعى «Marakyan» بإرسال رسالة إلى الجمعية الشرفية الماسونية العظمى يطلب فيها تأسيس فرع لها في إسطنبول على جناح السرعة. وبين في رسالته الخطر المتوقع من تدخل الإنجليز والألمان في ثورة عام ١٩٠٨م، وقال في هذا الصدد: "يجب على الجمعيات الألمانية والإنجليزية الماسونية أن تجتمع تحت الراية الفرنسية قبل أن تضع يدها على الشباب التركي. ولسوف تشترك هذه الجمعيات من سويداء قلبها وروحها من أجل إظهار

(١) وقد انضم إلى هذا المؤتمر العناصر الانفصالية التي أدركت أنه لا سبيل إلى تحقيق آمالها المرجوة ما دام السلطان عبد الحميد جالسًا على عرش السلطنة (Ramsur: S: 144 – 145)

التأثيرات السيئة والمشينة للسياسة الألمانية. ولزام علينا أن نقوم بكل هذا ونضع نصب أعيننا الوضع الجديد المتطور، والدور الكبير الذي يضطلع به هذا الشاب داخل شعوب الشرق. ومن ثم، يجب على فرنسا أن تتبوأ مكانة لها في تركيا دون أن تضيع دقيقة واحدة، وأن تفتح مجالًا كبيرًا للاستعمار مستخدمة شعار الحرية والحقوق القانونية للشعوب.

أما العثمانيون الذين سيتحررون من نيران السياسة الألمانية الخائنة النفعية، فإنهم سيشعرون بعاطفة جديدة تجاه فرنسا. وإذا تسنى للفرنسيين الاستفادة من هذه الفرصة السانحة، فإن جمعياتنا الماسونية سوف تنجز أشياء كثيرة، ويجب عليها أن تمدنا بتأييد ومؤازرة معنوية في هذا السبيل.

كانت وصية الماسوني «Marakyan» لماسونية فرنسا ذات تأثير عظيم. ويقول الأستاذ «Dumont» إن الفرنسيين سرعان ما أسسوا في تركيا جمعية النهضة الماسونية في ٢٢ أغسطس عام ١٩٠٨م، أي بعد عام واحد من ثورة تركيا الفتاة. وتزعم هذه الجمعية رجل صهيوني رومي الأصل. [1]

(1) Galanti , s , 41

جمعية الاتحاد والترقي والجمعيات الماسونية

من الأشياء اللافتة للانتباه قصة ظهور جمعية الاتحاد والترقي، التي تأتي على رأس المؤسسات التي كانت ضالعة في تحقيق ثورة ٢٤ يوليو عام ١٩٠٨م وتنفيذها. كما يأتي في طليعة هذه القصة اليهودي الصهيوني الماسوني عمانويل قراصو، ورجل آخر بكتاشي ثم الماسوني طلعت بك الذي أصبح فيما بعد. ورأينا هؤلاء جميعًا قد اضطلعوا بأدوار مهمة في هذا السبيل. وعندما كان طلعت بك الزعيم الرئيسي في مقام البكتاشية في مدينة أدرنة، ورد بشأنه تقرير سري أُرسل إلى السلطان عبد الحميد الثاني، فأُبعد على أثره من عمله وظل عاطلًا، وخطا بحماية المحامي عمانويل قراصو الذي كفله بعين العطف والرعاية وخصص له وظيفة في مكتبة. «ولكن الماسون الموجودين في سلانيك اكتشفوا المكانة التي تبوأها طلعت بك عند استقبال عمانويل قراصو، ومن ثم فإنهم ضموه إلى صفوفهم وكانوا شديدي الفرح والسرور من أفعاله.

وما لبث طلعت بك أن أصبح ذا مكانة متميزة خلال مدة وجيزة من الزمان بين ثنايا الإخوة الماسون، ثم رقي وصعد نجمه في مناصب في السلم الوظيفي للماسونية. وبناء عليه، أبدت الجمعية الماسونية حماية كبيرة تجاه طلعت بك، وخصصت له على الفور راتبًا شهريًا قدره عشرة جنيهات إسترلينية. وتطورت هذه المساعدة تدريجيًا على يد عمانويل قراصو أفندي، وشارك شخصًا يدعى ذهني لي سعيد بك، حيث فتح مكتبًا للمحاماة في أحد الأحياء الأفرنجية وأشركه معه في إدارته ونشاطه. ورغم أن طلعت بك كان ماسونيًا، فإنه كان من أشد المحبين للطريقة البكتاشية وأكثرهم بها عقيدة وإيمانًا. [1].

وقد أثارت هذه العبارات انطباعًا في النفس يوحي بأن طلعت باشا سقط في الفخ الذي نصبه له الصهاينة والماسون من أجل استخدامه ألعوبة في أيديهم لتحقيق مآربهم. ويقول الأستاذ قره بكر إن طلعت بك لم يكن ذا خبرة أو مهارة متميزة متفردة، وهو ذو تحصيل علمي

(1) Ramsaur , s, 125

محـدود ورؤية غير ثاقبة نافذة. [1] اضطلعت جمعيـة «Macedonia Risorta» التي تزعمها عمانويـل قراصـو بدور عظيـم في ميلاد جمعية الاتحـاد والترقي، وكانت هذه الجمعية ماسـونية وتابعة لسلطة إيطاليا ونفوذها.

وكانـت هـذه الجمعية مفتوحة قبل ذلك في إسـطنبول، ثم أُغلقت بعد أن أظهرت نشـاطها علانيـة بعـد حقبـة مـن الزمان. وقد جـاء مسـاعد زعيمهـا ويدعـى «Etlare Ferrari» إلى سـلانيك في عـام ١٩٠٠م ليفتحهـا مرة أخرى. وثمـة حقيقة تثوى متوارية وراء تأسـيس هذه الجمعيـة مـن جديد، وهذه الحقيقـة تتمثل في أن إيطاليـا كانت تتطلع إلى الاسـتيلاء على ولاية طرابلـس الغرب العثمانيـة، وكانت تبحث عن الوسـيلة التي تمكنها من احتـلال هذه الولاية، ووجدت ضالتها المنشـودة في تكوين هذه الجمعية الماسـونية سـالفة الذكر، واضعة في حسبانها أنها يمكن أن تشرع في تنفيذ خطتها ومسـاعيها مبكرًا. كان زعيم هذه الجمعية عمانويل قراصو يحمل جواز سفر إيطالي، وينظر إليه بريبة على أنه يعمل لحساب الإيطاليين. كان يُستشعر أيضًا بوجـود حسـابات دقيقة توحي بـأن حركة تركيا الفتاة كانت تسـتخدم هذه الجمعية الماسـونية مستثمرة إياها لحساب الإيطاليين والصهيونية على حد سواء.

ويسـجل الأسـتاذ «Dumont» أسـماء ثلـة مـن أعضـاء جماعـة تركيـا الفتاة مـن أعضاء جمعيـة مقدونيـا الماسـونية، الذيـن أقيمت لهم مراسـم احتفـالات تقليدية عنـد انضمامهم لهذه الجمعيـة في المرحلـة الأولى، وقد انضموا إليها بواسـطة عمانويل قراصو وإرشـاد منه. ويصف «Dumont» هذه الجمعية بأنها من أخطر الجمعيات الماسـونية في مقدونيا. وها هي ذا أسـماء طائفـة مـن أعضائها: طلعت رحمي، ورفيق مدحت شـكري، وإسـماعيل جان بـولاد. ويقول الماسـوني «Ferrar» إن هؤلاء الأعضاء قد طلبوا المسـاعدة بأنفسهم ضد الضغط والاضطهاد الـذي يمارسـه عبد الحميد، ولبـت الجمعية ما طلبوه. «وقد نشـأت هذه الزمـرة باعتبارها أول مجموعة مهيجة ومثيرة لحماس جمعية تركيا الفتاة، وقد عهدت ماسـونية سـلانيك إلى خمسـة من غير العثمانيين في هذه الجمعية للعمل متطوعين بها. ولما كان هؤلاء الأشـخاص أجانب، فإنهم أقاموا في كل من فرنسا وبلغاريا وسويسرا، وكانوا أصحاب كتابات تدعو إلى استمرار الحرية، وعملـوا في معية جماعة تركيا الفتاة الذيـن لجئوا إلى هذه البلاد ولم تطأ أقدامهم أوطانهم، حذرًا

(1) Dummond , S ,45,65,66

من أن يلقوا بأنفسهم ومعايشهم إلى الخطر المحدق الذي عسى أن يوردهم موارد التهلكة. كان دولاب العمل لجمعية الاتحاد والترقي الثورية يستمر بصورة ناجحة، ناهيك عما تتمتع به من حماية على يد الجهد الحثيث للماسون الأجانب. ولما كان أعضاء هذه الجمعية يجتمعون في مناخ من الأمن وكانوا ذوي مكانة تمكنهم من تقويم الموقف الذي يحيط بهم من كل جانب، فإن حجرة الانتظار الملحقة بجمعية مقدونيا كانت مقرًا لاجتماعاتهم السرية. ويمكننا القول إن ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨م قد أُعدت إعدادًا محكمًا في هذه الغرفة، وتحت إدارتها وتوجيهها لحظة بلحظة من داخلها». (١)

وكان عمانويل قراصو يتمتع بنفوذ عظيم في جمعية مقدونيا ريسورتا. ويقول الأستاذ «Acavella» واصفًا هذا التأثير بقوله: «إن ظهور جمعية مقدونيا من جديد ومولدها بعد موتها مدين بالفضل للمحامي الشاب عمانويل قراصو، المحامي اليهودي المهاجر من إسبانيا، بقدر ما كانت مدينة بالفضل كذلك لليهودي «Ettare Ferrari». وقد بدا قراصو كأنه العقل المفكر والمدبر لاجتماعات أعضاء تركيا الفتاة داخل الجمعيات الماسونية، كما كان بمثابة حلقة الوصل الحقيقية التي تربط بين أعضاء تركيا الفتاة وجمعية المشرق الأعظم الإيطالية الماسونية. وقد استقبل الماسون جمعية تركيا الفتاة باقتراح من عمانويل قراصو، زعيم جمعية مقدونيا ريسورتا الماسونية، أو بمعنى آخر، أصبح هؤلاء الماسون قد سلموا مذعنين بأن حجرة الانتظار التي أعدوها لهؤلاء الاتحاديين في جمعيتهم كانت بمثابة سجل محفوظات ومركز يديرون فيه نشاطهم». (٢)

وثمة مصادر أخرى ذات علاقة وثيقة بالنشاط المؤثر الذي بذله عمانويل قراصو في هذا السبيل: «كان قراصو شديد الفخر والخيلاء لأنه يحمل جواز سفر إيطاليا، ناهيك عن أنه سلانيكي الأصل، وكان يضطلع بإرشاد الماسون في جمعية مقدونيا ريسورتا. وكان هذا الرجل أريبًا عاقلًا ومستشارًا خاصًا لجمعية الاتحاد والترقي، يمدها ويمد أعضاءها بالمال والمنافع الأخرى التي تحقق لهم فوائد جمة. ولما كان هذا الرجل يتمتع بنفوذ قوي، فإن الاتحاديين لم

(١) المؤلف السابق ص ٤٥

(2) Ziya Şakir , Talat , Enver ve Cemal Paşalar , Ahmet İhsan Mat , İstanbul , 1994 , s , 66

يتسن لهم التخلص من تأثيره وسطوته حتى عهود متأخرة». [١]

انضم كل من طلعت باشا ورحمي وأصدقائهما إلى الجمعية الماسونية الإيطالية الموجودة في سلانيك. وكان عمانويل قراصو هو مرشد هذه الجمعية وموجهها. واضطلع بنشر الماسونية بين ثنايا أمراء جمعية الاتحاد والترقي. [٢].

وتفيد المقالات التي دونها الأستاذ «Ramsaur» في هذا الصدد: «أن قراصو هو الذي اقترح على أعضاء جمعية تركيا الفتاة أن يجتمعوا في الجمعيات الماسونية». [٣]

ويقول برنارد لويس أيضًا: «إن الجمعيات الماسونية الموجودة في سلانيك كانت بمثابة الأماكن المناسبة لاختفاء الماسون ومداراتهم، كما اضطلع اليهود أيضًا بدور مهم في هذا السبيل. وكان عمانويل قراصو من الشخصيات البارزة المهمة في هذا النشاط، كما كان هناك شخص يدعى جاويد، وهو من يهود الدونمة، ممن اضطلعوا بدور رئيسي بارز في هذا السبيل». [٤]

ولما قامت ثورة تركيا الفتاة في عام ١٩٠٨م، وجه «Ettare Ferrari»، الزعماء الكبار للجمعيات الماسونية الإيطالية، الشكر إلى عمانويل قراصو بسبب النجاحات التي اضطلع بها الماسون في هذه الثورة، وهنأه على ذلك. ويكتب الأستاذ «Lacovalla» طرفًا مما يتصل بهذه الواقعة فيقول إن «Ettare Ferrari»، الزعيم العظيم للجمعيات الماسونية الإيطالية، يأتي في طليعة المهنئين لحكومة إسطنبول الجديدة، كما كان يعمل لحساب الماسونية الإيطالية. وبعد مرور بضعة أيام من إقصاء عبد الحميد الثاني عن سُدة العرش، أرسل «Ferrari» سلامات مفعمة بحرارة الحب والود إلى الأخ عمانويل قراصو، معبرًا في هذه السلامات والتحيات عن المشاعر الصادقة للجمعية الماسونية الإيطالية الكبرى. وها هو ذا نص هذه السلامات والتحيات كما وردت في أعمدة المجلة الماسونية التي تسمى «Rivista Massonica»: «إن

(1) Karabekir ,C,I,s,29

(2) Lacovella ,s,38)Ferrarinin La Masonneria e la Rivo Uzione Turca İsimli eserinden S,122

(3) Lacovella ,s,40-41

(٤) يرى La cavella أن وزير مالية الاتحاديين المسمى جاويد كان الأستاذ الأعظم للجمعية السرية الإسبانية التي تسمى(Perseverancia Lacavella .S.39) وعلى كل فقد تحدثنا آنفًا عن الأستاذ الأعظم للجمعية السرية المرتبطة بأسبانياز.

الأحـداث التـي نقلتها الصحف في هـذه المنطقة كانت متباينـة ومتطورة. إنهـا أحداث خارقة للعادة وصلت إلى مشـاعر الشـعوب بشكل ثابت مسـتقر، حيث قرر الشعب التركي في خاتمة المطـاف أن يعصف... الظلم الذي ختم على صدره طـوال بضعة قرون من الزمان، واتجه نحو الحريـة التـي يريدها. ولقـد تتبعنا هذه الأحـداث والوقائـع بإعجاب وقلق ناجـم عن التطور الإنسـاني التاريخـي للحضارة، ولهذا الشـباب العاقل الـذي بذل جهدًا حثيثًـا ونجح في هزيمة التطور السياسي الذي اعتمد على هذه القرون المتطاولة من الزمان».

«إن الأسـتاذ «Ettore Ferrari» لم يبالـغ قط وهـو يبارك الأهداف الخارقـة للعادة التي وصلت إليها ثورة ٢٤ يوليو عام ١٩٠٨م. إذ إن مساعدة الإيطاليين في هذه الثورة كانت ظاهرة بجـلاء من جميع الوجوه. كـما أن نار تمرد وعصيان جمعية الاتحاد والترقي قد اشـتعلت جذوتها في جمعيـة مقدونيا ريسـورتا الموجودة في سـلانيك، ثم ما لبثت أن انتـشرت منها إلى كل مكان. وخلاصة القول إن جمعية مقدونيا ريسورتا كانت تابعة لجمعية المشرق الأعظم الإيطالية، وكان عمانويل قراصو هو زعيمها. وهذا يعني أن «Palazzo Giustiniani» كان محقًا في قوله إن عمانويـل هذا كان يمكن له أن يشـعرنا بالفخر والكبرياء مـن التغيرات المعاصرة التي تعيش في قلب الإمبراطورية العثمانية وأحاطت بها من كل جانب». [1]

تأسيس جمعية الاتحاد والترقي:

أُسِّسـت هذه الجمعية على يد جماعة تركيا الفتاة المسـجلة أسـماؤها في جمعية مقدونيا ريسورتا. ولنقـرأ في هـذا الصـدد طرفًا مما كتبه مدحت شـكري، وهو شـاهد عيـان على هـذه الواقعة: «كنا نتحدث في كل اجتماع عن تطور الدولة وتآزرها وتعاضدها. وذات مساء، كان طلعت باشا يشرب الخمر في منطقة طونيو، وما لبث أن أخذ نفسًـا عميقًا بعد أن تجرع كأسـه، ثم قال: أيها الأصدقاء، إن هذا الأمر ليس على ما يرام، فنحن شرذمة متفرقة، بعضنا هنا وبعضنا هنالك. كيف يتأتَّى هذا ونحن نرعى نفس الهدف والغاية؟ وإن أفضل شيء في هذا السـبيل يتمثل في عقد اجتماع نقرر فيه فيما بيننا تأسـيس جمعية لنا». [2] وقد تحدث عن هذه الواقعة كذلك في مذكراته خليل منتشـه، أحد أعضاء تركيا الفتاة، حيث يقول: «في شـهر أغسـطس عام ١٩٠٦م، أي قبيل سنتين ونصف السنة

(1) Ramsaur , s, 128

(2) Bernard Lewis , The Jews of İslam , Princeton Üniversity Press, Princeton , 1984, s, 179

من إعلان الدستور، وبينما كان طلعت بك جالسًا مع أصدقائنا في حديقة الأمة، إذ به يقول:

أيها الأصدقاء، إن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد بقراءة وتوزيع صحيفة أو مجلة فحسب، بل لزام علينا أن نؤسس جمعية. فإذا ما كثر أفرادنا، فلنذهب من فورنا حينئذٍ إلى إسطنبول ولنقتلن السلطان عبد الحميد، ولنسعين سعيًا حثيثًا لاسترداد الدستور». (١)

«وبناءً على اقتراح طلعت بك، أُسِّست جمعية الحرية العثمانية»، التي كان من بواكير أعضائها كل من: طلعت بك، وبورصة لي طاهر، ورحمي، وكاظم نامي، وإسماعيل حقي، وأديب ثروت، وإسماعيل جان بولاد، ومدحت شكري، وعمر ناجي. (٢).

وبعد ذلك، أي عندما اتحدت حركة تركيا الفتاة الموجودة في سلانيك مع الحركة المركزية الموجودة في باريس، وكان أحمد رضا زعيم الحركة المركزية في باريس هو الذي اقترح فكرة هذا الاتحاد، كما كان واقعًا تحت تأثير تيار الفلسفة الوضعية «Pozitivizm» للمفكر الفرنسي أوغست كونت «Auguste Comte». وقد سُميت هذه الجمعية باسم الاتحاد والترقي، مقتبسة شعار «Pozitivizm» الذي يدعو إلى التطور والاتحاد. (٣) أما بنية هذا التنظيم ونمط نشاطه، فإنه يشبه تمام الشبه بنية الماسونية ونمط نشاطها أعضاء الجمعيات السرية الإيطالية. (٤)ويقول عضو الجمعية كاظم نامي دورو في مذكراته إن جمعية الاتحاد والترقي اقتبست من الماسونية شعارًا يقضي بأن يكلف العضو الذي ينضم إليها بحلف اليمين، مثلما يحدث في... «التركيس» «Terkis» الموجودة في الماسونية. (٥) وبعد مرور عام واحد من تأسيس جمعية الاتحاد والترقي، قدم إلى إسطنبول كل من طلعت بك وعمانويل قراصو رغبة منهما في محاولة فتح شعبة للجمعية فيها. كانت المعلومات المتعلقة بعزل السلطان وإقصائه عن سُدة العرش تترى يومًا بعد يوم، وبناءً على هذه المعلومات، كان طلعت بك وعمانويل قراصو كلاهما يلتقيان مع بعض الأشخاص المنتسبين إلى الجمعية وغيرهم من الأشخاص المهمة من رجالات العلم

(1) Lacovella , s, 6, 7

(2) Mithat Şükür Bleda , İmparatorluğun Çöküşü , Remzi K, evi İstanbul , 1979, s, 21

(3) Halil Menteşenin Anıları Haz İ , Arar , Hürriyet Vakfı Yy , İstanbul , 1986, s, 113

(4) Bleda , s , 22

(٥) كان أحمد رضا واحدا من المؤمنين بالفلسفة الوضعية ..... تحت تأثير اوجست كونت

والثقافة.[1] وأثيرت الشبهات التي تمخض عنها استجواب عمانويل قراصو على يد قاباصقال محمد باشا، فقال له: «لماذا أتيت أنت وطلعت بك إلى إسطنبول؟ ومن هؤلاء الذين قابلهم طلعت بك وسوف يقابلهم؟» أما قراصو، فقال إنه من رعايا إسبانيا ومن إحدى الجمعيات الماسونية، ورد على الاستجواب بأنهما جاءا إلى إسطنبول لزيارة الجمعيات الماسونية ليس إلا، ولم يلقِ بالا لمثل هذه التهديدات.[2].

وقال الماسون إن ماسونيًا، في أثناء مثوله بين يدي هيئة الاستجواب، سأله قاباصقال محمد باشا: «أيوجد عندنا ماسون؟» فرد عليه قراصو: «حاشا لله يا سيدي، لا يوجد عندنا ماسون». ثم ترك كلاهما إسطنبول بعد أن مكثا فيها ثلاثة أيام.[3]

لا جرم أن جمعية الاتحاد والترقي تذكرنا بالشكل الماسوني من حيث بنيتها وتنظيمها، ناهيك عن أنها تشبه الماسونية من حيث البنية الفكرية والعملية، ناهيك عن أنها كانت تحمل بين ثناياها السمة العلمانية الماسونية. ولا سيما أن جمعية الاتحاد والترقي قد دخلت في حقبة من التشرذم والانقسام عقب ثورة ١٩٠٨م، ثم ما لبثت أن زاد نفوذها قوة وتأثيرًا على السلطة الحاكمة في ذلك الوقت. ولما أصبحت هذه الجمعية هي المهيمنة بمفردها على مقاليد الأمور عقب محاولة الاغتيال التي تعرض لها محمود باشا في ١٣ يونيو عام ١٩١٣م، استمسكت بشدة بالصبغة العلمانية. ويقول أحمد عزت باشا، آخر رئيس أركان في الدولة العثمانية وشاهد عيان على هذه الأحداث: «لقد كان الاتحاديون شديدي الشغف في الانتشار والإعلان صراحة عن كفرهم وإلحادهم.

ورغم هذا، فإن الكفر والإلحاد في عصر جمعية الاتحاد والترقي لم يشمل بعض ذوي النفوذ من ذوي الحل والعقد عندنا، ومدبري شئوننا، الذين كانوا يتمتعون بعقيدة قوية وإيمان راسخ لا يتزعزع. ورغم أن بذرة الإلحاد التي أريد لها أن تسري في عروق الشعب خفية، وكان لها تأثير قوي في نفوس المتدينين، فإنها ما لبثت في غضون حقبة وجيزة من الزمان أن أضعفت قوة الدين التي كانت بمثابة السلاح المعنوي والخلفي الوحيد لجيشنا، ولربما كانت أقوى دعامة له. لأن قدسية الجهاد في الحرب بدأت غير واضحة في ذلك الحين، كما أن القساوسة كانوا يثيرون

(1) Mehmet Murat , tatlı Emeller Acı Hakikatler , Matbaai Amedi , İstanbul , 1320 , s , 83

(2) Duru , S , 16

(3) Tahsin Paşa , Abdülhamid ve yıldız Hatıraları , Ahmet Halit Kitaphanesi , İstanbul , 1933 , s , 249

حماس جنود الأعداء الموجودين حولنا ويحرضونهم على الحرب والعراك والنزال [1]، ويتبين من هذا أن صراعًا قد بدأ يظهر ويبرهن على نفسه محتدمًا بين الثقافة العلمانية التي ظهرت بتأثير الماسونية وتحمل بين ثناياها «Bati Pozitivizm» الفلسفة الوضعية الغربية، وتمثل أقلية حاكمة من البيروقراطيين المثقفين القابضين على زمام الأمور، وبين ثقافة أخرى مهيمنة وتمثل الثقافة الشعبية البادية بجلاء في التاريخ التركي في عصرنا الحاضر. ومن ثم، فإن تركيا قد ولجت حقبة زمنية تسمى تغريب الشعب البيروقراطي المثقف. وإن إرث حزب الاتحاد والترقي في عملية التغريب قد استمر طوال عصر الجمهورية، وتجلت بعد ذلك فيما يعرف بحزب الشعب الجمهوري، الذي كان استمرارًا وديمومة لجماعة الاتحاد والترقي.

وقد تحدث الماسون أنفسهم عن التأثير القوي الذي خلفته الماسونية في جمعية الاتحاد والترقي، والدور الذي اضطلعوا به في ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨م: «لقد اضطلعت جمعيتا مقدونيا ريسورتا وفيريتاس الماسونيتان بدور مهم في تطور جمعية الاتحاد والترقي وفي التأكيد على إعلان الدستور. ولا جرم أن جمعية الاتحاد والترقي قد استمدت قوة كبرى وعزيمة ذات بأس شديد من هاتين الجمعيتين. وكانت هاتان الجمعيتان في ذلك الإبان تقبل انضمام ثلة من الأشخاص ممن يتمتعون بالصفات والسجايا اللازمة، ثم ما يلبث هؤلاء الأشخاص أن ينتقلوا إلى جمعية الاتحاد والترقي بعد أن يخوضوا اختبارًا صارمًا في المحافل الماسونية.

لقد نُظمت بعض مراسلات جمعية الاتحاد والترقي في تلك الآونة عن طريق هذه الجمعيات الماسونية، كما صدرت كثير من القرارات في هذه الجمعيات، وهي قرارات تتعلق بكثير من الموضوعات. كما كانت هذه الجمعيات مكانًا لالتقاء المثقفين من الشباب التركي الذي كان يسعى من أجل الحرية والدستور، ويحرص على مناقشتها في هذه الجمعيات. وعلى هذا، كانت الماسونية مؤيدة بقوة لجمعية الاتحاد والترقي، وأدت خدمة جليلة للنضال ضد الحكم الاستبدادي. وقد قضى على هذا بكبرياء وفخر كثيرٌ من الأخوة المنتسبين إلى هذه الجمعيات. [2]

ولكن الاهتمام بالماسونية ما لبث أن زاد زيادة مطردة داخل الإمبراطورية العثمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. ولا يُعزى سبب الاهتمام بالماسونية إلى الذين تعلموها فحسب،

(1) kazım karabekir , ittihat ve terakki 1896 – 1909 , Tüdav Ofset Tesisleri , İstanbul , 1923 , s , 249

(2) Ziya şakir , Talat , Enver ve Cemal Paşalar , S16 – 18

بل إن المناضلين من أجل الحرية في عصر الاستبداد المظلم لآخر السلاطين العثمانيين قد وجدوا في الماسونية الملاذ الآمن الذي يلوذون به. [١]

كانت الجمعية الماسونية في أوائل الأمر وسيلة لإخفاء اجتماعاتنا ومداراتها. ولكن هذه الجمعية كانت كثيرًا ما توجه نقدًا لاذعًا للنظام الحاكم، ولو كان هناك من يستمعون إلينا لأشركتهم هذه الجمعية معنا في هذا النقد [٢]، ومن ثم تحقق لنا تعاطف ومشاركة وجدانية بين ثنايا الماسون من غير الترك، وقد حاولنا جاهدين أن نفهم ما يجب علينا أن نستفيده أولًا أو لا نستفيده من هؤلاء الماسون من غير الترك. [٣].

لم يستطع جهاز البوليس السري للسلطان عبد الحميد اختراق الجمعيات الماسونية والتغلغل بين ثناياها، مما جعلها ملاذًا آمنًا لاجتماعات الثوريين الذين تسنى لهم مراسلة أصدقائهم من الشباب التركي الموجودين في أوروبا. [٤]

أما مؤسسو جمعية الاتحاد والترقي، فقد اجتمعوا مرات كثيرة في الجمعيات الماسونية، وكانت هذه الاجتماعات وسيلة توسلوا بها إلى مراسلة فروع الجمعية الموجودة في أوروبا وتوثيق صلاتهم بها. [٥]

أما مدينة سلانيك، فكانت بمثابة جمعية الأمل المنشود للأحرار. أما الأشخاص المنضمون إلى هذه الجمعية، فإنهم كانوا يخضعون للتحري الدقيق عن أحوالهم السابقة، وإذا فقد العضو الأمن المطلوب، فإنه حينئذٍ لا ينضم إلى الجمعية. وكان يوجد في سلانيك جمعية للماسونيين، وكانت هذه الجمعية ضالعة في تأسيس جمعية الاتحاد والترقي. أما الإنسانية التي أيدتها هذه الجمعية في هذا السبيل، فكان أمرًا عظيمًا. وقد قدم هؤلاء الماسون كل مساعدة ممكنة لجمعية الاتحاد والترقي من أجل الحصول على الحرية. [٦].

(1) Ahmet İzzet Paşa , Feryadım , C , 1 , Nehir Yy , İstanbul , 1993 , S 300 – 301

(2) Apak , s , 38 – 39

(3) Egeran s , 30

(4) Duru , s , 14

(5) Celal Bayar , Ben de yazdım , c:II Baha mat . istanbul . 1968.s.428

(6) Tahsin Uzar , Makedonya , Eşkiyalik Tarihi ve Son Osmanlı yönetimi , Türk Tarihi Kurumu Yy , Ankara , 1979 , s , 88

كانـت هناك فرحة عيد في الأوسـاط الماسـونية، وأن كثيرًا من مدبري ثـورة ١٩٠٨م كانوا أشـخاصًا عانقـوا نور الحريـة وضياءها. وقد ظهر الأمـل في أن تكون الماسـونية الغربية بمثابة إحدى السبل التي يستفاد منها في القضاء على الحكم المستبد الطاغي للسلطان عبد الحميد.

لم تكن الجمعيات الماسـونية في سلانيك غريبة عن ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨م، بل كانت بمثابة أماكن لإخفاء ومداراة النشاط الحر للمثقفين العثمانيين طوال أعوام متطاولة من الزمان، ناهيـك عما كانت تحظى بـه من الحماية المحكمـة القوية للقناصل والسـفراء. وإن الذين نشروا هذه الجمعيات كانوا يحيون في نور هذه الأفكار الماسونية، ووجد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي السُـبل الهادية لهم واختاروها طائعين. ورغم أن هذه الجمعيات كانت تتمتع بالحركة والنشـاط في ثـورة تركيا الفتاة وبعدها، فإن الضعف قد أصابها من حيث الشـكل، واسـتمر أعضاء هذه الجمعيات الماسونية في الاضطلاع بدور مهم لا يُكترث به ولا يلفت الانتباه. (١).

وهذا نص حديث صحفي صدر في صحيفة «Le Temps» الفرنسية بعد ثورة عام ١٩٠٨ على لسان الماسوني رفيق بيك، عضو جمعية الاتحاد والترقي، يقول فيه: «ثمة حقيقة لا مراء فيها تقول إن الماسـون، ولا سـيما الإيطاليين منهم، هم الذين أيدونا تأييدًا معنويًا قويًا. ولمسـنا هذا التأييد والمسـاعدة الكبرى على يد جمعيتين ماسـونيتين هما جمعيـة «Macedonia Risorta» و«Labor et Lux»، اللتـين وفرتـا لنـا مكانًـا للاجتـماع. وقـد اجتمعنـا في هـذه الجمعيات باعتبارنا ماسـونيين، ولا سـيما أن بيننا كثيرًا من الماسون. بيد أننا كنا نجتمع في حقيقة الأمر من أجل تنظيم صفوفنا ولم شـملنا. واخترنا من هذه الجمعيات الماسونية كثيرًا من أصدقائنا الذين عملنا معهم، ولكنهم كانوا يتصرفون تصرفًا شـديد الرعونـة والعناد في بحث القضايا المتعلقة بالعضويـة في هذه الجمعيات، وحملوا على عواتقهم مهمة البحث والتحري والاسـتقصاء. ولم تكن إسـطنبول تعلم شـيئًا عن الأنشـطة السرية التي تُنفذ في سـلانيك. أما الجهود الحثيثة التي بذلها البوليس السري لعبد الحميد من أجل دخول هذه الجمعيات والتغلغل فيها، فإنها أخفقت ولم تؤتِ ثمارها المرجوة منها، ناهيك عن أن هذه الجمعيات أخذت تتحدث عن ضرورة اللجوء إلى جمعية المشرق الأعظم الإيطالية الماسونية وتدخل السفارة الإيطالية عند اللزوم». (٢)

(1) Selanikli Şemsettin Makedonya Tarihce –i Devr –i İnkılap , Artin Asadoryan Mat , İstanbul , 1328 , s , 124

(2) Dummond .s.44ve 70 – 71

الثورة والتغلغل الماسوني في الجيش الثالث:

اضطلعت جمعية الاتحاد والترقي بعد تأسيسها بدعاية مغرضة ضد السلطان عبد الحميد الثاني في كل من الروملي والأناضول، أعقبها تحريض الشعب ضده على التمرد والعصيان أملًا في الإتيان بالدستور. وإذا لم يتحقق هذا الأمل المنشود، فإنه يجب حينئذٍ الاتجاه إلى الجيش والارتباط به، لأن الشعب يحب السلطان ولا مناص من التغلغل بين ثنايا الجيش.

كانت مقدونيا هي منطقة الجيش الثالث، وكانت الدول الصغرى المجاورة لمقدونيا تريد الاستحواذ على أراضي كل من بلغاريا والصرب والجبل الأسود.

ولهذا السبب، فإن هذه الدول الصغرى كانت تخوض القتال وتؤسس عصابات في مقدونيا لنشر الفتن والقلاقل، إما مع الدولة العثمانية وإما مع بعضها بعضًا. وقد وجد الجيش الثالث نفسه في بؤرة من الإرهاب القوي اعتبارًا من عام ١٨٩٠م، حيث بدأ في تعقب قطاع الطرق واقتفاء أثرهم، وكانت هذه المهمة ملقاة على عاتق الضباط الشباب من الكلية الحربية، ولا سيما أنهم سرعان ما أصبحوا مؤيدين للدستور عن طريق الدعاية السرية الموجودة في مدارسهم. ناهيك عن أن وجود حركة دائبة بين الدول الكبرى لمراقبة الإصلاحات في مقدونيا وتعقب قطاع الطرق فيها، وما نجم عن هذا من تدخل سافر لهذه الدول في الشئون الداخلية للدول الأخرى، كل هذا وذاك قد جعل الضباط الشبان يضيقون ذرعًا وباتوا متبرمين من كل هذه الأحداث التي جاءت تترى متعاقبة في إثر بعضها بعضًا. «ولما ظهرت فكرة سادت بين الناس تقول إنه ليست هناك وسيلة أخرى سوى الدستور من أجل إنقاذ الدولة والأمة على السواء، وجد الجيش الثالث نفسه مشاركًا في الثورة ووقع في فخ الدعاية المغرضة التي روجتها جمعية الاتحاد والترقي». [١] وكان التعاون الوثيق بين الماسون وجمعية الاتحاد والترقي قد عجل بظهور الثورة واتخاذ القرار باستخدام الجيش الثالث في هذا السبيل. وقد تحدث ثلاثة من أعضاء تركيا الفتاة عن استخدام الجيش الثالث في تنفيذ الثورة فقالوا: «إننا على يقين تام بأن الثورة ستحدث بمساعدة الجيش وفي مقر قيادته». [٢]

(1) Ramsaur .S .127 ve Kolo[lu . "tt'hatçılar ve Masonlar ,s,64

(2) Mehmet Memduh Paşa ,Feveran –ı Ezman ,Vilayet Mat , İstanbul , 1328,s,18

«كان الضباط الشباب المتعلمون الموجودون في الجيش بمثابة القوة المدركة الواعية الوحيدة التي يتسنى لها أن تسهم بنصيب موفور في إقامة الحرية والدستور في الدولة العثمانية، بيد أن هؤلاء الضباط قد تمكنوا من وضع نهاية لصراع الحرية بالنصر المبين». (١)

«كانت ولاية مناستير هي مركز الأحداث التي استطاعت السلطنة الاضطلاع بها. كما كانت مركزًا لقيادة الجيش الثالث، ومن ثم لم تكن سلانيك هي التي أذلت عبد الحميد، بل كانت مناستير». (٢)

وثمة طائفة من الآراء الأخرى تقول: «إن جمعية الاتحاد والترقي التي أيدها الجيش كانت ذات نشاط سري في بداية الأمر، ثم ما لبثت أن أماطت اللثام عن نشاطها وجاهرت به. إن إنجلترا للمهمة الملقاة على عاتقها، أما يهود سلانيك وماسونيها، فإنهم أيدوا جمعية الاتحاد والترقي بكل ما أوتوا من قوة كي تفي بمهمتها». (٣)

وكان هناك ضباط يعملون في قيادة الفيلقين الثاني والثالث اللذين تمركزت قيادتهما في منطقة مِلي «Meli». وثمة دليل آخر يؤكد على أن الماسونية تغلغلت بين ثنايا صفوف الجيش العثماني عن طريق جمعية الاتحاد والترقي، وقد كان هذا مجرد ظن لم يشعرنا حتى اليوم بأن استخدام الماسونية بات واجبًا في هذا الخصوص (٤)، وفي شهر يوليو من عام ١٩٠٨م، صعد ضباط الجيش الثالث الشباب إلى الجبل، وخاف السلطان عندما رفعوا راية التمرد والعصيان. وأخفقت كل التدابير التي أُعدت من أجل قمع هذا التمرد وسحقه، لأن الاتحاديين والماسون قد تغلغلو داخل الوحدات العسكرية التي أراد السلطان عبد الحميد استخدامها في قمع هذا التمرد. ويقول كاظم قره بكير: «لقد اضطر عبد الحميد الثاني إلى إعلان الدستور خشية من الدور الذي يمكن أن يضطلع به الجيش الثالث في قمع هذا التمرد بقيادة عالمدار الثاني». (٥)

(1) Ahmet Bedevi Kuran , İnkılap Tarihimiz ve Jön Türkler , Tan Mat , İstanbul , 1946 , s , 224

(2) Duru , s , 28

(3) Hasan Amca , s 104 – 105

(4) M Philip Price , Türkiye Tarihi , Ararat Y evi İstanbul , 1979 , S 110

(٥) عالمدار مصطفى باشا احد الصدور العظام في الدولة العثمانية . وقد أقصى السلطان سليم الثالث عن العرش عن طريق التمرد الذي تزعمه شخص يدعى قابا قجى ، وكان عالمدار يحب اللسطان سليم الثالث بسبب الاصلاحات التي قام بها ، ومن ثم جاء عالمدار من الروملى الى استانبول في معية وحدته العسكرية وأعاد السلطان سليم الثالث الى العرش مرة أخرى ، بيد أن سليم الثالث أخفق في تحقيق آماله بسبب قتله على يد الطغاه الشرسين وجلس السلطان محمود الثانى على عرش السلطنة

ويتحدث الأستاذ آياق عن هذه الواقعة فيقول: «إن إعلان الدستور قد تحقق نتيجة لبرقيات التهديد التي أرسلها إلى السلطان الضباط التابعون لكثير من الجمعيات الماسونية وغيرهم من الأشخاص من أرباب الوظائف والمهن المختلفة. وكان سرز متصرفي رشيد باشا واحدًا من هؤلاء، حيث ورد في برقيته التي أرسلها للسلطان أنه إذا لم يُعلن الدستور في خلال ساعتين اثنتين، فإن الأهالي سيغيرون البيعة للسلطان ويجلسون ولي العهد محمد رشاد على كرسي العرش. وقد اضطر السلطان حينئذٍ إلى إعلان الدستور خوفًا من مثل هذه البرقيات». (١)

«العصر الذهبي للماسون في تركيا وتأسيس الماسونية التركية»

اضطلعت الماسونية بوثبة مطردة في حقبتين رئيستين إبان عصر الدولة العثمانية:

إحداهما كانت إبان حرب القرم ١٨٥٥ -١٨٥٦م، والأخرى عقب ثورة تركيا الفتاة ١٩٠٨ -١٩٠٩م. وقد رأينا رأي العين أسباب الحقبة الأولى ونتائجها أي حقبة حرب القرم. أما الحقبة الثانية، فتشبه الأولى إذ كانت محصلة متمخضة عن أحوال جديدة. فقد كانت الغاية المنشودة في الحقبة الثانية أي ما بعد ثورة تركيا الفتاة ترمي إلى إقصاء السلطان عبد الحميد عن العرش والقضاء على نظام حكمه قضاءً مبرمًا بواسطة ثورة ١٩٠٨م، ثم تنسم هواء الحرية ومناخها في الدولة العثمانية بواسطة ثورة ١٩٠٨م، واجتثاث جذور الضغط الشديد والاضطهاد الذي يمارسه عبد الحميد على الماسونية والماسون على السواء. وكانت هذه هي الوثبة الثانية، حيث استفادت الماسونية من هذا المناخ السائد فائدة عظيمة لا سبيل إلى إنكارها أو غض الطرف عنها. ولا سيما أن إقصاء السلطان عبد الحميد عن سُدة العرش قد خلف الساحة من ورائه خالية تمامًا، مما مهد السبيل عقب ذلك إلى ظهور ما يعرف باسم الماسونية التركية «Turk Masonlugu» أو منظمة الماسون القومي «Turk milli Mason teskilati».

ظهور الماسونية التركية:

وقد تحدث الأستاذ «Dumont» عن أسباب ظهورها ووقف عليها وأمعن النظر فيها: «رغم أن المسكين بمقاليد الأمور في الدولة كانوا أنفسهم من الماسون، فإنهم لم يشعروا بالعاطفة أو المشاركة الوجدانية تجاه الجماعات والطوائف الماسونية المستقرة في الإمبراطورية

(1) karabekir , İttihat ve terakki 1986 – 1909 , s 328

العثمانيـة والتابعـة للهيمنـة الأجنبية ومرتبطة بهـا ارتباطًا وثيق العُرى، ناهيـك عن أنهم قرروا مـن فورهم إضعـاف هذه الجماعـات والقضاء على نفوذهـا وتأثيرها. وأصبـح من الضروري أن نتذكـر في هـذا المقام الجهد الذي بذله الاتحاديون من أجل تأسـيس جمعية المشـارق العظمى عـام ١٩٠٩م، بهـدف الحيلولة دون تطور الماسـون الأجانب الموجوديـن في تركيا ووضع حد لأنشطتهم المطردة في هذا السبيل». (١)

وها هو ذا كاظم قره بكر يكتب ما يأتي عند وقوفه على الأسباب المؤدية إلى ذلك، ممعنًا النظر فيها فيقول:

١ -كانت الدول التحالف، وهي إنجلترا -فرنسـا -روسـيا على وجه الخصوص، تسـلك سلوكًا يتسم بالفتور تجاه المنتسبين إلى وزارة الخارجية والعاملين بها ووزراء الحكومة ممن ليسوا من الماسون، ولا تكترث بهم ولا تعيرهم اهتمامًا.

٢ -إن اصطبـاغ الجمعيـات الماسـونية الموجودة (٢) داخل الدولـة (٣) والموجودة (٤) في حوزة العناصر غير التركية قد تمخضت عنها منافع ومصالح جمة لدولتنا، ناهيك عما كانت تأمله هذه الجمعيات من أن تحظى بالاعتبار والشـأن العظيم في الداخل والخارج عن طريق اسـتحواذها على جمعية الاتحاد والترقي. (٥)

وإذا رُتِّبت هذه السلسلة المترابطة من الأسباب المترتبة المتناسقة، فإنه يمكن حينئذ الحديث عما يأتي:

١ -إرسـال الطلاب إلى أوروبا عقب التنظيمات، وكثرة عدد البيروقراطيين والمثقفين ذوي الشخصية العلمانية، مقرونة بالزيادة المطردة في التعليم المصطبغ بالصبغة العلمانية الخالصة.

---

(١) ويفيـد ما كتبه الأسـتاذ سـليمان كولجـه في هذا الصدد أنه إذا كانت الماسـونية قد اضطلعت بـدور مهم في ثورة ١٩٠٨م فإنها اضطلعت بدور مشـابه في التمرد الذي حدث عام ١٩٠٩م، واسـتخدمها الاتحاد والترقي من أجل تحقيق أغراضه (كولج: ص: ٢٨).

(2) Apak ,s, 12

(3) Dummond ,s, 101

(4) karabekir ,I, Dünya Harbine Niçin Girdik? , , , , C II ,s, 98

(5) Arıç ,s, 94

٢ -وجود العادة المتبعة المعروفة باسم جمعية المشارق العظمى الماسونية الخاصة بكل دولة، وتأثير ذلك في الماسون الترك أنفسهم.

٣ -مناخ الحرية المطلقة الذي جاءت به المشروطية الثانية.

٤ -الحيلولة دون حدوث أضرار في المستقبل تصيب تركيا من هذا الطريق، وإنقاذ الماسونية من التأثيرات الأجنبية.

٥ -السمات الشخصية للاتحاديين من ذوي النزعة القومية التركية الخالصة.

٦ -فقدان الأمل المرجو تجاه الأراضي المفقودة من الدولة العثمانية نتيجة سياسة التقسيم التي كانت متوقعة من الماسونية، ولا سيما بعد ضياع كل من البوسنة والهرسك وجزيرة كريت وبلغاريا، وما أعقبه من فقد طرابلس الغرب بعد ثورة عام ١٩٠٨م. ناهيك عن أن الخطب العصماء التي كانت تتغنى بالأخوة ويلقيها أصحابها بين ثنايا الطوائف القومية في الدولة قد ذهبت جميعها أدراج الرياح. أما ما يسمى بالماسونية القومية، فقد أسسها مجلس الشورى العثماني الأعلى في ٣ مارس عام ١٩٠٩م لأول مرة، وكانت بمثابة بداية للماسونية التركية. ويتحدث الأستاذ آياق عما حققه تأسيس هذه الماسونية خلال مراحلها المختلفة فيقول:

«عُقد أول اجتماع تحضيري من أجل تأسيس التنظيم القومي للماسونية التركية في تركيا في شهر أغسطس عام ١٩٠٨م، أي بعد شهر واحد من إعلان المشروطية أي في ٢٤ يوليو عام ١٩٠٨. وتم هذا الاجتماع بمساعدة الماسوني "ميغير دج طوقان ليان"، وذلك في صالون فندق طوفان ليان الكائن فوق قهوة «Splendid» في حي باي أوغلو في إسطنبول. وحضر هذا الاجتماع بعض أعضاء الجمعيات الماسونية الموجودين في منطقة الروملي ومقدونيا، وكثير من المنتسبين إلى الجمعيات الماسونية الأجنبية الموجودة في إسطنبول. وفي تلك الآونة، قال مفتش المالية حينئذ فريد آسيو «Ferit Aseo» إن هناك أنشطة كثيرة للماسون الترك الشباب المستمسكين بالمثالية في سلانيك، ناهيك عما كان يجرى من مناقشات تميط اللثام عن ضرورة إنشاء تنظيم ماسوني قومي جديد في تركيا يكون واضح المعالم بارز القسمات».

وذكر الماسوني «فورتي» «Forti»، المنتسب إلى مجلس الشورى الأعلى الإيطالي، والذي كان

يعمل مفتشًا على المدارس الإيطالية الموجودة في إسطنبول، إنه شرع من فوره في بذل المساعي لأخذ الصلاحية من مجلس الشورى الإيطالي من أجل تأسيس تنظيم ماسوني تركي في تركيا. ومن ناحية أخرى، فإن الماسوني «Danit J. Kahen»، ممثل تركيا لدى شركة التأمين في برلين، قد نجح في حماية وتأييد مجلس الشورى الأعلى في فرنسا. وفي تلك الآونة، كان المصريون يبذلون قصارى جهدهم من أجل إنشاء مجلس الشورى الأعلى في تركيا بإرشاد وتوجيه من مجلس الشورى الأعلى المصري، بسبب العلاقات الدينية والسياسية والثقافية الموجودة بيننا أي بين مصر وتركيا. وتمخضت هذه المحاولات والمساعدات عن قيام البروفيسور «Comte Eugene Goblet»، رئيس مجلس الشورى البلجيكي في عام ١٩٠٨م، بمساعدة كل من بلجيكا وفرنسا وإيطاليا والمجر وسويسرا وإنجلترا بتأسيس مجلس الشورى الأعلى في تركيا. ولأجل هذا، فإن الأمير عزيز حسن باشا، أحد أعضاء مجلس الشورى المصري، كان موجودًا في مؤتمر مجلس الشورى الذي اجتمع في بروكسل في شهر يونيو عام ١٩٠٧م، وقد عُهد إليه بتأسيس مجلس الشورى التركي، وحصل على صلاحيات واسعة في هذا السبيل.

وكان الأمير عزيز حسن باشا مصري الأصل، وكان يخدم في تركيا قائد الفرقة السليمية الثانية للفيلق الأول بالجيش التركي في حقبة من الزمان، وكان يواظب على علاقته الوطيدة بمجلس الشورى المصري والماسونية في مصر بسبب ذهابه ومجيئه إلى مصر كل عام.

وفي ذلك الإبان، كان يُرسل الماسوني جوزيف سكاكيني، أحد أعضاء جمعية فرسان الشمس الكبرى في بروكسل ببلجيكا، إلى إسطنبول من أجل مساعدة الأمير حسن باشا ويكون مستشارًا له في كل ما يعن له من أمور. وفي الوقت نفسه، كان يُطلب من الماسوني يعقوب من السلطات الحاكمة في مصر من أجل الإشراف على وظيفة التشريفات والبروتوكولات وغيرها من الخدمات الأخرى داخل المحفل الماسوني.

وفي النهاية، عُقد مؤتمر في ٣ مارس عام ١٩٠٩م، حيث فُتحت فيه الدرجة الثالثة والثلاثون في السلم الوظيفي للماسونية لطائفة من أعضاء البرلمان وكبار رجال الدولة، ومنهم على سبيل المثال: محمد طلعت باشا، الذي كان وزيرًا للخارجية ورئيسًا للوزراء، ومدحت شكري بلده الذي نرى أنه من المحتمل أن يكون من يهود الدونمة، ومحمد جاويد، الذي كان وزيرًا للمالية

الـذي نـرى أنه من المحتمـل أن يكون من يهـود الدونمـة، والدكتور رضا توفيـق بلوك باشي، ومحمد عارف، ونسـيم مازلياح وهو يهودي، ومحمد غالب وهو من الأعيان. ومن التجار: كل من ميشـيل نـوردك ريان وهو أرمني الأصـل، ووكيل التأمين داود كوهـين يهودي، والمحامي عثمان عادل من الدونمة، وحكيم فؤاد خلوصي دمير آلاي.

وأُسـس مجلس الشورى الأعلى في تركيا وسُمي باسـم «شورى عالي عثماني»، وكان ذا نفوذ قـوي ومؤثـر في تركيا والدول التابعة لهـا. واختير في مجلس إدارته كل من الأمير عزيز حسـن، ومحمد جاويد، وطلعت باشا، ومدحت شكري، وداود كوهين. (١)

وفي أعقاب تأسيس مجلس الشورى الأعلى، أُسست ما يعرف بالجمعية الماسونية العظمى في ١٣ يوليو عام ١٩٠٩م. ويقول الأستاذ آياق في هذا الصدد: «عُقد أول اجتماع لهذه الجمعية في مكتب داود كوهين الكائن بمنطقة غلطة. وكان هذا في الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء الموافـق ١٣ يوليـو عـام ١٩٠٩م. وانضم إلى هذا الاجتماع أربعة عشر ماسـونيًا ممن يعملون في الجمعيات الماسونية الخاضعة لهيمنة ونفوذ كل من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا.

وهـا هـي ذي طائفـة من مؤسـسي الجمعية الماسـونية الكـبرى في تركيا، والذين يتسـنى لنا أن نحصي أسـماءهم: الأمير عزيز حسـن باشـا رئيس مجلس الشـورى الأعلى في تركيا، وعثمان طلعت من إحدى الجمعيات الماسونية التابعة لإسبانيا، وبوهور كامهي وهو من جمعية مقدونيا ريسـورته، وراب هاللو رجي من جمعية مقدونيا ريسورته، وطائفة أخرى من الماسون التابعين لجمعيـة بيزا نسـيور التابعة للسـلطة الإيطاليـة، ومنهم على سـبيل المثال: فيكتـور آل جرانتي، وإدوارد ده ناري، وفيضي مناصم، وجاك سـوهمي، وأندريان إيباس، وفيكتور ماردو. وجماعة أخرى من الماسـون التابعين لجمعية النهضة التابعة للسـلطة الفرنسية، ومنهم على سبيل المثال: ميشيل نورادو قيان، وداود كوهين، وجورجي جاهستيس، وجين سياتيس. (٢)

هكذا كان ظهور الماسونية التركية أو الماسونية القومية على هذه الشاكلة التي شرحناها آنفًا، وكان ظهورها بإذن من السـلطات الأجنبية، وشـارك في تأسيسـها طائفة مـن غير الترك وغير

(١) المؤلف السابق ص. ١٠٠ -١٠١

(2) Atilhan , Masonluk nedir ? , S , 69

المسلمين، مما مهد السبيل لإثارة سؤال يقول: كيف تكون هذه ماسونية تركية أو ماسونية قومية؟

ويصف الأستاذ آتيلهان هذا الذي حدث بقوله: «هذا شيء ليس قوميًا، إن هو إلا ضرب من تقليد الأجانب. إلهي! لماذا تحدونا هذه الرغبة العارمة وهذا النشاط ونكابد هذه المشقة سائرين في طريقنا مسترشدين بإرشاد اليهود وقيادتهم؟ ولسوف يأتي اليوم الذي سيرينا التاريخ فيه عاقبة ما سوف يؤول إليه مصيرنا». [1]

أما الأستاذ آياق، فيتحدث عن تأسيس خمس وستين جمعية ماسونية بتمامها تابعة لجمعية المشرق الكبير الماسوني في تركيا، وذلك إبان الفترة من عام ١٩٠٥ حتى عام ١٩٣٥ من تاريخ الماسونية التركية. ومما يلفت الانتباه في هذا السبيل أن تسعًا وعشرين جمعية منها قد أُسست خلال ثلاث سنوات فقط ١٩٠٩ -١٩١١م. أما السنوات الأخرى، فقد أُسس في كل عام ما بين جمعية إلى جمعيتين.

ويوجد في إسطنبول وحدها سبع وعشرون جمعية، وفي أنقرة خمس جمعيات، وفي أزمير واحدة. أما الجمعيات الماسونية الأخرى، فقد وزعت بصفة عامة بمعدل جمعية واحدة في كل من الأناضول والروملي والمدن الكبرى الموجودة في الولايات العربية. وإذا ما أمعنا النظر مليًا في الزعماء الذين تبوأوا رئاسة هذه الجمعيات وإدارة دفة الأمور فيها، ألقينا أن أغلبهم كانوا إما يهودًا وإما من يهود الدونمة على حد سواء، وهذا شيء مثير للانتباه محير للعقول والألباب.[2] ولما أُغلقت الجمعيات الماسونية في تركيا سنة ١٩٣٥م، كانت هناك إحدى وثلاثون جمعية ما تزال تمارس نشاطها ونفوذها بكل ما أوتيت من قوة داخل حدود الوطن، ولا سيما في إسطنبول وسبع مدن أخرى. ويقول الأستاذ آياق: «إنه بعد تأسيس الماسونية التركية، تم ضم بعض الجمعيات الماسونية الأجنبية في هذه الفترة إلى إدارتنا وظلت خاضعة لهيمنتنا وسيطرتنا. أما غيرهم، فإنه كان بين خيارين لا ثالث لهما: فإما أن يُغلق، وإما أن يحاول جاهدًا أن يحافظ على وجوده ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. ورغم هذا، فقد استمر تأسيس الجمعيات الماسونية في كل من إسطنبول وإزمير، وظلت مرتبطة ارتباطًا وثيق العُرى بهيمنة ونفوذ كل من إيطاليا والنمسا وفرنسا واليونان». [3]

(1) Apak ,s, 186 -187

(٢) وهذا يعني أن وجود المؤسسات اليهودية كان سببًا في وجود الماسونية عندنا.

(3) Apak ,s, 190 -193

النتائج المتمخضة عن الماسونية إبان عصر الدولة العثمانية وأسباب العداوة للماسونية في تركيا:

أصبحت الدولة العثمانية على شفا جرف الانهيار والتدمير إبان الحرب العالمية الأولى. وإذا ما بحثنا عن أسباب انهيار وتدمير كل دولة، فإنه سرعان ما يظهر أمام ناظرينا الدور الذي اضطلعت به الماسونية والماسون باعتبارهما أحد الأسباب المهمة في نموذج الدولة العثمانية التي آلت إلى هذه الحالة من التردي والانهيار على يد هذين المعولين اللذين سلف ذكرهما.

وهذه ولا جرم حقيقة لا يتطرق إليها شك ولا سبيل إلى الطعن فيها. بدأت الماسونية في تركيا تتجلى في صُلب بؤرة السياسة مقترنة بفرمان التنظيمات الصادر عام ١٨٣٩م، وبذلت قصارى جهدها لتكون مهيمنة على النظام الحاكم، وظلت باسطة نفوذها على الحركات والتيارات الفكرية في المجتمع الذي لم يستطع الفكاك من أسرها أو محاولة الخلاص من مساوئها. وثمة واحد من الخصائص الأساسية في هذا السبيل يتجلى في التكوين الاحتكاري المنحصر في دائرة ضيقة لهذه الماسونية، والذي كان مقصورًا على ثلة من الرجال الماسون ممن تبوأوا مناصب مهمة ذات شأن عظيم في الدولة العثمانية. ولهذا السبب، ظهر في الوجود تعبير ما يعرف باسم «الدولة الماسونية». ولما ظهر انهيار دولة مثل الدولة العثمانية متصفة بهذه الصفة، سرعان ما تجلت الصبغة الماسونية فيها مقرونة بالدور الذي اضطلع به الماسون في هذا السبيل طوعًا أو كرهًا. وبديهي ألا يكون الإنسان الأناضولي مسئولًا عن كل أسباب انهيار الدولة وترديها لأنه لم يضطلع بدوره المنوط به في هذا السبيل. وظهرت آراء وأفكار متعلقة بهذا الخصوص، وسرعان ما ظهرت العداوة والبغضاء تجاه الماسونية والماسون وتعمقت جذورها في نفوس الرأي العام التركي نتيجة لكل هذه الأحداث التي سلف ذكرها. لا سيما أن الإمبراطورية العثمانية كانت تعيش في عصر الرفاهية والارتقاء الذي أحياه بقوة السلطان عبد الحميد الثاني إبان فترة حكمه التي استمرت ثلاثة وثلاثين عامًا ١٨٧٦ -١٩١٨م، ثم جاءت جماعة تركيا الفتاة فجرجرت الدولة إلى أسباب التدهور والانهيار في غضون فترة وجيزة من الزمان امتدت عشر سنين ١٩٠٨ -١٩١٨.

وإذا ما بحثنا عن هذه الأسباب في شخصية جماعة تركيا الفتاة، وجدنا أن هناك آراء تقول إن أسباب الانهيار ترجع إلى أن الاتحاد والتآلف الذي جمع بين تركيا الفتاة والماسونية قد تمخض عنه في الوقت عينه فشل الماسونية وإخفاقها مقابل الفشل والإخفاق الذي أصاب تركيا الفتاة.

لا سيما وأن أعضاء تركيا الفتاة كانوا يريدون إحداث أفعال وأفكار مستلهمة من الأفكار الماسونية ومستقاة من مصادرها، ونادوا بما يعرف بسياسات اتحاد العناصر في إطار أخوة الأمم والشعوب. ولكن هذه السياسات سرعان ما تمخضت عن شعارات الحرية والأخوة والمساواة التي أصابها الفشل والإخفاق خلال حقبة وجيزة من الزمان. وفي الوقت نفسه، وُصفت هذه الشعارات بأنها مؤشر للفشل والإخفاق المعتمد على الأفعال والأفكار الماسونية. أما كل مراحل هذه الواقعة، فقد شُرحت وفُصل القول فيها من كتاب أعددناه بنفسنا في هذا السبيل. ويمكن أن نسرد طائفة من الأسباب المجتمعة المؤتلفة المبنية لأسباب العداوة والبغضاء التي سادت بين ثنايا الشعب برمته تجاه الماسونية وطائفة أخرى من المثقفين والبيروقراطيين في تركيا إبان عصر الدولة العثمانية والجمهورية على حد سواء.

١ – كانت الماسونية بمثابة بؤرة للأفعال والأفكار المصطبغة بالصبغة الماسونية الخالصة، ثم ما لبثت الماسونية أن اشتهرت بالكفر والإلحاد نتيجة الصدام الثقافي التقليدي الذي بسط نفوذه على منطقة الأناضول.

٢ – الشعور بالحساسية المفرطة تجاه هؤلاء الماسون ذوي الجذور والأصول التي نمت وترعرعت خارج البلاد، ولا سيما أن هذا الشعور بات شديد التأثير والنفوذ في تركيا. ثم النظر بعين القبح والسوء لكل شيء آتٍ من الغرب، وهو شعور ساد بين الشعب المسلم بسبب الصراع بين الهلال والصليب الذي حدث بين الشرق والغرب طوال أحقاب وعصور متطاولة من الزمان، وكان مصدره غربيًا خالصًا. ناهيك عن تعضيد ومؤازرة الأفكار التي رفعت ستار التفوق والاستعلاء في مواجهة الغرب، وهي ولا جرم مستوحاة من معتقدات المسلمين.

٣ – الشعور المستشعر به عند الشعب والدولة كليهما تجاه التكوين السري الخفي لهذه الماسونية.

٤ – ما اضطلع به الأجانب لأول مرة من أجل فتح الجمعيات الماسونية إبان عصر الدولة العثمانية، وكان أعضاؤها كلهم من الأجانب. ولا سيما تلك العداوة السارية في نفوس الشعب والناجمة عن الحساسية المفرطة نحو الأجانب ذوي الأصول الغربية.

٥ – إن ظهور الماسونية وتطورها كان يحمل بين ثناياه آثارًا من الثقافة اليهودية إبان فترة انتشار الماسونية وشيوعها في كل حدب وصوب. هذا فضلًا عن الحساسية المستشعر بها بسبب

عداوة الإسلام تجاه اليهود وانتشار هذه العداوة في نفوس المسلمين، وكذلك العداوة المقرونة بإثارة فكرة "الماسونية" و"اليهودية"، والدور الذي اضطلعت به في ضياع فلسطين من بين أيدينا، واستخدام الصهيونية وسيلة من أجل تحقيق هذا الغرض.

٦ – استخدام الدول الاستعمارية الكبرى للجماعات الماسونية من أجل تحقيق الآمال المنشودة التي تحلم بها هذه الدول.

٧ – الاستفادة من الجمعيات الماسونية من أجل تحقيق الأنشطة الفعالة المؤثرة التي تقوم بها العناصر الانفصالية من أجل تقسيم الوطن، وتعاون هذه الجمعيات الماسونية مع الدول الصغرى المجاورة التي تريد أن تكبر ويعظم شأنها على حساب الدولة العثمانية.

٨ – انضمام الماسون إلى الثورات والانقلابات المؤيدة لإحداث تغيير منظم في نظام الحكم في تركيا. ناهيك عن الدور الذي اضطلع به هؤلاء الماسون بتأييد ثورتين اثنتين من أجل إضعاف السلطان عبد الحميد الذي يحبه الشعب على وجه الخصوص.

٩ – التآلف والتلاحم بين الماسونية وجماعة تركيا الفتاة، التي كان كل أعضائها من الماسون، مما تمخض عنه إغراق الإمبراطورية العثمانية على أيديهم وما لبث نجمها أن أفل. وكانت المسئولية ولا شك واقعة على كاهل الماسونية وجماعة تركيا الفتاة على حد سواء.

١٠ – إنشاء الماسون ما عُرف بالنظام الاحتكاري الذي أرادوا من ورائه أن يكونوا هم الجانب الوحيد الذي يسعى لاقتسام ثروات الدولة دون أن يكونوا في الوقت نفسه بمنأى عن المشاركة في نظام الحكم وإدارة دفة الأمور في البلاد. ونجم عن هذه السياسة عدم الاهتمام الدائم بالإنسان الذي يعيش في الأناضول، وإنشاء ما عُرف بالدولة الماسونية. ناهيك عن وجود ما عُرف بالكوادر الفاشية المحتكرة، ونجم عن كل هذا عداوة محسوسة بين الشعب بسبب ظهور تعبيرات شائعة على ألسنة الناس مثل تعبير "الجمهورية الماسونية".

١١ – عداوة سياسة الاحتكار التي جاء بها أشخاص في نظام الحكم المطلق، سواء أكانوا ماسونيين أو غير ماسونيين.

١٢ – الحساسية المفرطة الناجمة عن فقدان الحيثية والاعتبار عند الشعب والدولة نتيجة لمشاركة بعض الماسون في الأحداث الشاذة في البلاد وسوء استعمالهم لها.

الماسونية إبان فترة الهدنة:

يقال إن الماسونية عاشت أشد أيامها ضررًا وخسارة إبان فترة الهدنة ١٩١٨ -١٩٢٠م.

كانت سنوات الهدنة التي أشرنا إليها بمثابة سنوات السلطة المطلقة لحزب الاتحاد والترقي دون معارضة، أي فترة الحزب الوحيد في إدارة شئون الدولة. وكانت جماعة تركيا الفتاة هي ذراع الاتحاديين التي مكنتها من بسط نفوذها على مقاليد الحكم في البلاد طوال حقبة مديدة من الزمان. ويمكن القول إن أحزاب المعارضة قد اختفت تمامًا إبان تلك الفترة، وفر كثير من المعارضين خارج الوطن، وأصبح يحكم البلاد ويهيمن عليها نظام حكم استبدادي. [1].

وبهذه السياسات الخاطئة للاتحاديين، دخلت الدولة العثمانية أتون الحرب العالمية الأولى، أعقبها هزيمتنا الساحقة في جبهات القتال، تمخض عنها خراب عظيم أصاب البلاد. وما لبث الاتحاديون أن فروا هاربين خارج الوطن. ولم يعد ثمة أثر يذكر لأنصار كل من أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا، الذين هم أقطاب الاتحاديين وزعماؤهم. وبقيت الساحة بعد ذلك خالية لمؤيدي وأنصار حزب الحرية والائتلاف المؤيدين للاتحاديين، الذين هم بمثابة الذراع الأخرى لجماعة تركيا الفتاة. وبينما كان يدور الجدل والنقاش في تلك الآونة بين الاتحاديين والائتلافيين حول من ذا الذي أغرق الدولة في لجة هذا الخضم العظيم؟ فإن الماسونية قد زجت بنفسها في دائرة هذا الجدل والنقاش. ناهيك عن أن الماسون الائتلافيين اتهموا إقرانهم من الماسون الاتحاديين بأنهم هم الذين أغرقوا البلاد في لجة هذا الخضم العظيم. وأراد الماسون الائتلافيون نشر كل دقائق وأسرار الماسونية وقوائم بأسمائهم وأن تتم محاكمتهم على أعين الناس لعلهم يشهدون. وكأنما أُريد من وراء هذا إثبات ما يؤكد أن هؤلاء الماسون الاتحاديين هم الذين أغرقوا البلاد من خلال اعترافاتهم التي اعترفوا بها في هذا السبيل. ولم يبقَ شيء بعد هذا. «ومن ثم، أسرع الماسون المنتسبون إلى حزب الائتلاف، ومعهم الأعيان البارزون

(١) ان الذين حطموا السلطان عبد الحميد الثانى متعللين بأنه يطبق نظام حكم استبداديًا، إنهم يريدون الإتيان بنظام دستوري ديمقراطي كي يحل محله، ما لبث أن أصبح الاستبداد بعينه هو الحكم الذي أسسوا وارتضوا به، وهذا ما ورد على لسان الصدر الأعظم طلعت باشا، الذي قال: حتى ما أسسناه من نظام ما هو إلا ضرب من الاستبداد المستنير، وهذا يعني أن استبداد الجماعة حل محل استبداد الفرد Belda s . ٨٨

المنتسبون إلى حزب الاتحاد والترقي، وخرجوا جميعًا من الماسونية إبان سنوات الهدنة». [1]

وصل النزاع إلى هذه الدرجة، حيث شن الائتلافيون حملة شديدة اللهجة ضد الماسون الاتحاديين. وقبل عام ١٩١٨م، كان موسى كاظم أفندي أحد شيوخ الإسلام يحرض الائتلافيين ضد الاتحاديين، الذين هم بمثابة الجناح الرجعي لهذه الحقبة الزمنية، مصرحًا باصطباغ هؤلاء الاتحاديين بالصبغة الماسونية الخالصة. بيد أن الاتحاديين ردوا عليهم في المقالات التي نشروها في الصحف قائلين له: «ألستَ ماسونيًا؟». ومن ثم، أُبعد الاتحاديون الموجودون في الجمعيات الماسونية التابعة لجمعية المشرق الأعظم. حتى إن الاتحاديين الائتلافيين لم يترددوا في سحق هذه الجمعيات المستقلة وفي نشر قوائم بأسماء أعضائها. [2]

(1) Cem ,s, 19

(2) Sosyal ,s,216

الماسونية إبان عصر الجمهورية

أتاتورك والماسونية:

كان مصطفى كمال أتاتورك واحدًا من جماعة «تركيا الفتاة»، وكان منضمًّا إلى جناح الاتحاديين، وكان ينقد الاتحاديين نقدًا لاذعًا ويسلقهم بألسنة حداد؛ لأنه كان يرى نفسه زعيمًا ذا روح قيادية تجمع صفات الزعامة، وهو الرجل الوحيد الذي اضطلع بهذا الدور العظيم. ولهذا السبب، فإنه كان يُستقبل بفتورٍ عندهم، ولا يلقى منهم قبولًا حسنًا، حتى إنه كان يُنظر إليه بحذروارتياب. وكان معظم الاتحاديين من الماسون. ولهذا السبب، فقد ثار جدل مستمر حول كون أتاتورك ماسونيًّا أو غير ماسوني، مما أثار شكوكًا متباينةً في هذا السبيل. وهناك كاتبان أجنبيان هما «Mechin» و«Armstrong»، كتبا معلومات مثيرة للاهتمام في كتابيهما ذات علاقة وثيقة بماسونية أتاتورك. كما تحدث هذان الكاتبان عن ماسونية مصطفى كمال وصديقه المقرب علي فتحي أوقيار تحت تأثير تيار الماسونية الذي شاع بين المثقفين والبيروقراطيين إبان هذه الحقبة من الزمان. أما الموضوع الأصلي الذي يجب الوقوف عليه في هذا السياق، فيتمثل في أن الماسون ومصطفى كمال كليهما كان ينظران إلى بعضهما بعضًا نظرةَ شك وارتياب. ولما كان مصطفى كمال ذا حياةٍ قضاها جوالًا طوافًا في شتى بقاع تركيا، وصاحب روح قومية لا يتلقى أوامرَ من أحدٍ، بل يصدر الأوامر للآخرين، جامعًا في شخصيته كلَّ الخصائص والسمات التي بوَّأَتْهُ الزعامةَ والقيادةَ، فإن كلَّ هذه الخصال قد جعلته لا يستوعب القوالب المظلمة للماسونية المفعمة بالأسرار والألغاز الخفية التي يكتنفها اللبسُ والغموضُ. يقول «Armstrong»: نَذَرَ الماسونُ مصطفى كمال ليكون عضوًا في جمعية أخوة «Veritas»، حيث وجد نفسه في بيئةٍ تنفر منه ولا تحبه، وكانت هذه الجمعية الماسونية تابعةً أحيانًا للمنظمة الإغريقية العالمية. ويتحدث عن أولئك الناس الذين فقدوا القوميةَ، وعن جذور القبح والسوء والشر التي تنشرها روسيا، وعن الاضطهاد الذي يُمارَس ضد اليهود. كان أعضاؤها يتحدثون عن المال فحسب. كان هؤلاء الناس الماسون من أعضائها ذوي ضرر عظيم على وجوههم، وأصحاب أسرار خفية

ملغزة يكتنفها اللبس والغموض.

ولما أدرك نامق كمال أنه لا يعرف كنه هذه الجمعية وماهيتها، أحسَّ أنه سقط في فخِّ تنظيمٍ يُسمى «منظمة التمويل العالمي والتدمير السري الخفي الدولية».

كان مصطفى ذا غاياتٍ وأهدافٍ قوميةٍ، ولم يكن يعبأ بآلام اليهود وعذاباتهم. ولم يستسغ الماسونيةَ، ولم تصادف هوًى في نفسه، ولم يُخفِ هذا الشعور أو يداريه. كان تركيًّا يفتخر بتركيته، تمثل غايته المنشودة في إنقاذ أمته من ظلم السلطان وبراثن الأجانب» [1].

أما الأستاذ «Mechin» فيتحدث عن أن مصطفى كمال، الذي لم يكن راضيًا عن الجمعيات الماسونية التي كانت ذات علاقةٍ وثيقةِ العُرى بجماعة «تركيا الفتاة» إبان هذه الأعوام. ثم يردف الأستاذ «Mechin» قائلًا: «إن سبب ضيق مصطفى كمال من هذه الجمعيات وسخطه عليها يُعزى إلى أن كل المنتسبين إليها كانوا من الأجانب، وكانوا يتحدثون عن الثورات التي ستحدث في بلغاريا واليونان وروسيا وألمانيا والصين وغيرها من شتى البقاع والأصقاع، دون أن يكترثوا بتركيا أو يلقوا لها بالًا البتة. كما كان هؤلاء الماسون دائمًا ضد نيقولا الثاني، قيصر روسيا، الذي ظلم اليهود ونكَّل بهم وأوقع بهم عقوباتٍ صارمةٍ، وهم في الوقت نفسه كانوا يمدحون إمبراطور النمسا فرانسوا جوزيف، الذي منح اليهود الفرصة للحياة الحرة الكريمة، وكفل لهم كل سبل الثراء العريض.

وكان هؤلاء الماسون ذوي شعور طويلة، ودائمًا يتهامسون في آذان بعضهم بعضًا بالأخبار السرية الخفية التي يتناولونها فيما بينهم، كما كانوا يتحدثون بعبارات ذات رموز خفية مستترة. ولما أدرك مصطفى كمال أتاتورك أنه هوى في فخِّ تنظيم سري، ولم يستطع أن يعي كافة الأهداف والغايات الدولية الكائنة في هذه الشخصية الماسونية، فإنه أسرع من فوره يفكر مليًّا فيما عساه أن يفعله رجل قوميّ مثله في هذا السبيل. [2]

شرع مصطفى كمال ينقد بصورة مستمرة جماعة «تركيا الفتاة» التي لم تنشر أفكارًا ثابتة مستقرة، كما لم تسلم من نقده كذلك الجماعات الماسونية التي لا تتناسب معه بسبب قالبها

(1) Armstrong , s, 25

(2) Mechin C: I .S .19

الضيـق وآرائها الفكرية المضطربة المظلمة. ومن ثم، فإن هؤلاء الماسـون كانوا يشـعرون نحوه بفقدان الثقة وعدم الاطمئنان. لقد ضاق مصطفى كمال ذرعًا بالماسونية.

أمـا الذين يديرون دفة الأمور لجمعية الاتحاد والترقي ويمسـكون بزمام الأمور فيها، فإنهم كانوا يُخفون أنفسهم خلف الصراع المحتدم من أجل الفوز بدرجات الماسونية. وكان مصطفى كـمال أخًا صغيرًا في هذه الجمعية الماسـونية، ومكلفًـا بتنفيذ الأوامر الصـادرة إليه. لقد كان ذا جبلـة تفت إما بإعطاء الأوامـر، أو كان ذا بنية آثرت ألا تتدخل في شيء البتة. (١) كان مصطفى كـمال يقـف ضـد كل ما هو دوليّ أو غـير قومي، ناهيك عـما كان يؤمن به مـن أن جمعية الاتحاد والترقـي لن يتأتَّى منها خيرٌ أبدًا. ولهذا السـبب، غضب منه كثيرٌ من أصدقائه المقربين، مما دفع اليهود إلى فقدان الثقة به. (٢)

مـضى نامـق كمال قدمًا في نقده اللاذع للماسـونيين، وأراد قطع كل علاقـة بين جمعية الاتحاد والترقي والماسونية. (٣)

وعرض مصطفى كمال اقتراحاتٍ في هذا السبيل، أعلن عنها في مدينة سلانيك في آخر شهر سـبتمبر عـام ١٩٠٩م، وفي شـهر أكتوبر من العام نفسـه. وقال في هـذه الاقتراحات أن تصبح جمعية الاتحاد والترقي حزبًا سياسيًّا قانونيًّا في وضوح وجلاء، ويقطع كل علاقة لها بالماسونية، ويسحب الجنود تمامًا من ميدان السياسة. (٤)

لم يكـن مصطفى كمال وحده الذي سـعى إلى تحقيق هذه الرغبات، بـل إن كاظم وقره بكير أرادا أن يقطـع الضباط كل علاقةٍ لهم بالسياسـة، ولكنهم رفضـوا هذا حتى لا يخرجوا من يده وينضموا إلى الجماعات الماسونية. (٥)

إن ما أراده مصطفى كمال من طلبات، والنقد اللاذع الذي وجهه إلى الماسـونية، قد أغضب أصدقـاءه مـن الضبـاط الآخريـن وأثـار حفيظتهم، وأبعدهـم عنه ودفعهـم إلى الثقـة باليهود

(1) Armstrong .s.26

(2) Mechin , c , I , S , 19

(3) Fahir Armaoğlu , Siyasi Tarihi 1789 –1919 , Ankara Ü , SBF Yy , Ankara , 1961 , s , 416

(4) Koloğlu , İttihatçılar ve Masonlar , s , 47 , 50

(5) Karabekir , I , Dünya Harbine Niçin Girdik ? , , , , , C , II , s , 100

والاطمئنان إليهم. وكان هذا سببًا جعل الماسونية لا تمنحه درجات ومراتبَ أخرى في السلم الوظيفي لها، وظلوا مستمسكين به في الدرجات والمراتب المتدنية الحقيرة، ناهيك عن أن هيئة الإدارة المركزية للاتحاد والترقي أمرت بمنعه من الاشتراك في المناقشات التي تدور في أروقتها.[١]

«فقد أقرب المقربين إليه في الثقة به. كما أخفق مصطفى كمال في الاستفادة من الحركة الدائبة للتنظيم الماسوني، وظل بمنأى عن الأنشطة الداخلية لجماعة الاتحاد والترقي».[٢]

ويقول الأستاذ «قول أوغلو» في كتابه «الاتحاديون والماسون»، حيث يبحث فيه مسألة «أتاتورك والماسونية»، ويقول: «لقد ورد في كثيرٍ من المصادر الأجنبية ما يؤكد أن أتاتورك كان ماسونيًّا»[٣]، ثم يقول قول أوغلو النتيجة المتمخضة عن هذا الرأي فيقول: «يمكن أن يكون مصطفى كمال قد وافق على الدخول في دائرة جمعية الاتحاد والترقي عن طريق الماسونية، وذلك إبان المناخ السياسي للحقبة الزمنية بين عامي ١٩٠٦ -١٩٠٨م. ويحتمل أن يكون قد انضم إلى الماسونية بمراسمَ عظيمة»[٤] ولكن بسبب بنيته البراجماتية المتطرفة، أدرك أن المؤسسة الأولى من هاتين المؤسستين يعني الاتحادية والماسونية قادرةٌ على بلوغ هدفها المنشود الذي تسعى إليه. ومن ثم، قطع علاقته مبكرًا بالماسونية، واضعًا في الحسبان الحدود الضيقة للماسونية في الممارسة العملية. وولج في طبقة من المجتمع يعوزها الاتساق والانتظام.[٥]

ونحن على يقينٍ أنكم ستجدون في تصرف مصطفى كمال وسلوكه قاسمًا مشتركًا عند كثيرٍ من الاتحاديين. فتراه قد تبنى الأفكار الماسونية، وعُرف بعد حينٍ أنه قد دخل فيها مرةً، ولكنه لم يعبأ بهذا، واضعًا في حسبانه أن الماسونية ما هي إلا شكلٌ متطرفٌ متجاوزٌ للحد، وتعيش في مناخٍ يفرض عليه الاستقلالية والعمل السياسي. ولكن مصطفى كمال وقف ضدها، ولم ينكر

(1) Mechin , C, I s, 20

(2) Armstrong , s, 20

(3) Koloğlu , İttihatçılar ve Masonlar , s, 46 -48

(٤) وقد نقل قول أوغلو نفس العبارة الآتية عن الماسوني مدحت جوراته لي يقول فيها: لقد تمت هذه المراسم في جمعية وارتياس الماسونية، ولكننا على يقين أنه من المحتمل ألا يكون قد أبدى نوعًا من المواظبة والاستمرار بعد ذلك. (قول أوغلو: الاتحاديون والماسونيون: ص ٤٩).

(٥) تعبير غير منتظم هو من الصفات التي أطلقت على الماسوني الذي رأى أنه أرادا أن ينضم بصفة منتظمة إلى الاجتماعات المسجلة في الجمعية السرية الماسونية.

الدور الاجتماعي المؤثر الذي تضطلع به.[١]

وقد جرى الحديث بشتى السبل الممكنة بين رأي مصطفى كمال باشا في الماسونية إبان عصر الجمهورية على النحو الذي سلف ذكره، والسلوك الذي سلكه كمال تجاه الماسونية إبان حقبة الاتحاد والترقي ١٩٠٨ -١٩١٨م. كما قيل إن أتاتورك، حتى وإن لم يكن ماسونيًّا، فإنه كان محاطًا بالماسونية من كل جانبٍ. أما أولئك الذين يمسكون بمقاليد الأمور في الدولة، فكانوا أعضاء في الجمعيات الماسونية بأغلبيةٍ مطلقةٍ، باستثناء غازي مصطفى كمال.[٢]

ورغم أن تفكيره لم يكن ماسونيًّا، فإنه كان قريبًا من فكر الماسون، ممعنًا النظر فيما يصدر عنهم أو يدور بخلدهم. ويقول أوغلو إن أتاتورك لم يرفض الماسونية رفضًا تامًّا من الناحية النظرية، وهذا هو السلوك الثاني الذي سلكه أتاتورك نحو الماسونية وأعلنه في صراحةٍ مطلقةٍ. أما السلوك الأول، فيتجلى في رده على الاقتراح[٣] الذي عُرض عليه ليتولى الرئاسة الفخرية للماسونية التركية في عام ١٩٢٥م، حيث قال: «أعلم أن جمعيتنا التي شُكِّلت كانت ذات فائدةٍ جمةٍ، وأدت خدمةً عظيمةً لفكر الإنسانية. ولكنني لا أستطيع الانضمام إليكم، ولا قبل لي بأن أكون تابعًا منقادًا مذعنًا لقواعدكم ونظمكم؛ بسبب المهمة العظيمة المنوطة بي والمُلْقاة على عاتقي.

ولما أصبح مجتمع الثورة الكمالية يخطو خطواتٍ واسعةً ويمضي قُدُمًا في سبيل التحديث والمعاصرة، كان وضع الجمعيات الماسونية في عام ١٩٣٥م قد بات بدوره معروضًا بصورةٍ دائمةٍ في الأوساط السياسية، وأصبحت مبادئ الماسون تتبع سبيل مبادئ حزب الشعب الجمهوري وتقتفي أثرها ولا تبغي عنها حولًا. ولم يعد هناك ما يدعو لبقاء هذه الماسونية، وهذا يبين أن هذا هو الحل العملي الذي يليق بهذه المؤسسة الماسونية.[٤]

(1) Koloğlu , İttihatçılar ve Masonlar , s, 50

(2) Gün -Çelikler , s, 36

(٣) ما يسمى بالرئاسة الفخرية قليل جدًا في أعراف الماسونية وتقليدها، ولربما عرضت عليه الماسونية هذا المنصب ابتغاء الاستفادة من شخصيته التاريخية وعبقريته ووقدة ذكائه، ولربما دار بخلدها أن أفكاره ومبادءه يمكن أن تكون شبيهة بأفكار الماسونية ومبادئها.

(4) Koloğlu , İttihatçılar ve Masonlar , s, 50

ولقد تحدث الماسونيون أنفسهم عن أن كثيرًا من أفكار أتاتورك وأفعاله مناسبةٌ للماسونية ومطابقةٌ لها. ومن هؤلاء الماسوني زهدي ولي بشه، الذي كتب يقول: «إن ما يجري على لسان أتاتورك من تحقيق السلام في الوطن والدنيا بأسرها هو شيءٌ مطابقٌ تمام التطابق لفكر الماسونية ومبادئها». [1] ومن ثم، فإن أتاتورك عضوٌ تابعٌ للماسونية ويفكر مثلهم، حتى ولو لم يكن ماسونيًّا. وقد قيل إن أتاتورك قال: «إننا لا نتلقى إلهامنا من السماء أو الغيب، بل نتلقاه مباشرةً من الحياة.» ومثل هذا الكلام مطابقٌ لمبادئ الماسونية وأفكارها، كما يزعم الماسون.

أتاتورك و الماسونية في المذكرات التاريخية:

عُولِجَ موضوعُ «أتاتورك والماسونية» في مذكرات فئةٍ من أقرب المقربين إلى أتاتورك، ومن هؤلاء خادمه جمال جراند الذي كتب في كتابه «كنت خادمًا لأتاتورك»، حيث يقول فيه تحت عنوان «الماسونية»: أتينا إلى إزمير بعد جولةٍ في مدينة مارسين بالباخرة جول جمال. وحللنا ضيوفًا في فندق نعيم بالاس. وتناولنا الطعام في جناح أتاتورك بالفندق. وكان يوجد على منضدة الطعام كلٌّ من رجب زهدي وصالح بوزوق [2] وقليج علي وتحسين أوزر. وقبيل تناول الطعام، قال صالح بوزوق لأتاتورك:

سيدي، في ليلة البارحة، أمر وزير العدل محمود أسعد بوز قورت بضرب زجاج الجمعية الماسونية الموجودة في منطقة قارشياقه بأحد المسدسات، وأُطلقت الرصاص يدان اثنتان، مما أوقع الهلعَ والرعبَ في قلوب أعضاء الجمعية." ولما سمع أتاتورك هذا الخبر، قطب حاجبيه وتميز غيظًا. ثم صاح قائلًا:

أواه! لماذا حدث هذا؟ هل نعيش في رؤوس الجبال؟ وهل تُضرب جمعيةٌ بالمسدس هكذا في منتصف الليل؟ فلو أن هذه الجمعية سببُ ضررٍ جسيمٍ للدولة، فإن الوسائل القانونية موجودةٌ لحمايتها، فيمكن الاستعانة بها وتغليقها.

وكان أتاتورك مستغرقًا في تفكيرٍ عميقٍ وهو يتفوه بهذه الكلمات، وسرعان ما دارت مناقشاتٌ مختلفةٌ على المنضدة حول الماسونية. ولم يشترك أتاتورك بهذه المناقشات إلا قليلًا. بل

(1) Zühtü Velibeşe , Masonluk Neye ve Nasıl Çalışır ? Güven Mat , Ankara , 1959 , s , 20

(٢) ترجمة ص ١٤٦

كان لا يُرى إلا مستمعًا ليس إلا. ولا جرم أنه كان يفكر في أشياءَ أخرى. وما لبث المتحلقون حول المنضدة أن استمدوا الشجاعةَ من صمت أتاتورك، وجعلوا يصبون جامَّ غضبهم على محمود أسعد، سالقين إياه بألسنةٍ حدادٍ. ثم قالوا إن فخامة وزير العدل قد أمر جاله بإطلاق النار على جمعيةٍ تعمل في حماية القانون، وشجب الحاضرون تمسكه بإمطار هذه الجمعية بوابلٍ من الرصاص، وسلوكه سلوكًا خارجًا عن القانون. ثم شرعوا يتساءلون قائلين: لقد بدا واضحًا أن إطلاق الرصاص لن يستطيع إغلاق الجمعية، فمتى يأتي اليوم الذي توقف القوانين فيه مثل هذا السلوك الأرعن المذموم؟ وكان طور باليلي أمين بك قد اُتهم بإطلاق الرصاص على هذه الجمعية، بُرئت في محكمة استقلال، وقيل إن محمود أسعد هو الذي أطلق الرصاص.

ولما بلغت المناقشات هذا الحدَّ من القبح والسوء، أسرع أتاتورك من فوره، ضاربًا المنضدة بيده وأسكت المتحدثين. ولم ينتظر أحدًا، وما لبث أن أدلى بهذا الحديث بين يدي الحاضرين، تاركًا إياهم في لجةٍ من الحيرة والذهول، ثم قال:

لقد كنت ماسونيًّا في وقتٍ من الأوقات: حدث هذا ذات يومٍ عندما أخذني أحد الأصدقاء وأتى بي إلى إحدى الجمعيات الماسونية في باي أوغلو، وإذا بي أجد نفسي داخل جمعيةٍ دون أن أدرك أو أفهم ماذا حدث لي. ونزلنا من سلالم مرمرية نازلين إلى صالونٍ كبيرٍ حيث توجد طائفةٌ من الأشخاص لم أستطع رؤية وجوههم. ورحبوا بنا وأجلسونا. وقدموا لنا القهوة وسألونا عن أحوالنا. ولم نمكث هناك كثيرًا، ثم ما لبثنا أن نزلنا مرةً أخرى إلى أسفل بالسلالم، حيث وجدنا أنفسنا في صالونٍ أكثر اتساعًا من سابقه، واجتمع فيه حشدٌ كبيرٌ من الناس، وقد أقاموا احتفالًا وهم يمتشقون السيوف في أكتافهم. وحينئذٍ أمسكني صديقي من كتفي، وأدركت أنه لم يعرف هذه الأشياء من قبل ولم يُحط بها علمًا، وأخذ يقص عليَّ ما يجب فعله دون توقف. وإذا بنا نمر خائفين من بين السيوف، وحلفنا اليمين وخرجنا بعد أن أنهينا كل هذه الطقوس. وكنت قد ضقت ذرعًا في الداخل. ولم أعرف بعد هذه الواقعة لماذا ذهبت إلى هذا المبنى ولماذا التقيت بمن فيه. ولو ذهبت الآن إلى هذا وبحثت عنه، فلربما لم أستطع العثور على هذا البناء. هكذا كانت ماسونيتي كما شرحتها على مسامعكم.

وهكـذا ردَّ أتاتـورك بما شرحه عـلى أولئك الذين يقولـون عنه إنه ماسـونيٌّ ملحدٌ. ودارت دورة الزمان، ودار جدلٌ ونقاشٌ ذات مسـاءٍ حول موضوعاتٍ علميةٍ على المائدة، وكان يوجد من بين المتحدثين كلٌّ من: فؤاد كوبرلي وأحمد آغا أوغلو وإسماعيل حقي تكجه وحكمت بيور وتيم كمال أوكه. وكانت هناك أفكارٌ تدور في رءوسـهم تتصل بموضوع تغيير الرأي العام عن طريق الصحافة والمدرسـة كليهما. ولكن أتاتورك لم يستحسـن هذه الأفكار، ولم تصادف هوًى في نفسـه. وقطع المناقشـات في منتصفها. ولما هـمَّ حكمت بيور حينئذٍ بإضافة قضية الماسـونية إلى دائرة الحديث، سرعان ما تغيرت أشـياء كثيرة. التفـت أتاتورك إلى ميم كمال أوكه المعروف بماسـونيته، وقـال له: «الدور عليك الآن، ولسـوف تشرح على مسـامعنا شـيئًا عن الماسـونية. فتحدث أنت أولًا». ثم سأله قائلًا: «قل لنا ما هي أسس الماسونية ومبادئها؟»

حينئـذ حاول ميـم كمال [1] أن يمدح الماسـونية ويثني عليها ويفصل القول فيها ما اسـتطاع إلى ذلـك سـبيلًا. ولمـا تفوه بألفاظٍ مثل إن الماسـونية قوميةٌ وشـعبيةٌ وجمهوريةٌ، قـال واحدٌ من الموجودين في الاجتماع:

«ما دامت الماسـونية هكذا، فإن مبادئ حزبنا أي حزب الشـعب الجمهوري لا نعرف شـيئًا عن مبادئ الماسونية وأسسها. وحينئذٍ ليس هناك ما يدعو لبقاء الماسونية».

وحينئـذٍ اسـتفسر أتاتورك من ميم كمال سـائلًا عما سـوف يقـال في مقابل هـذا الكلام. ثم قـال ميم كمال: «إن مبادئ حزب الشـعب الجمهوري ذات تأثـيرٍ نافذٍ داخل حدود الدولة. أما الماسونية فإنها مؤسسةٌ عقلانيةٌ ووسيلةٌ لنشر مبادئها خارج حدودها. ولقد فُوِّضت الجمعيات الماسـونية في الدول التي سـيطرت فيهـا الدكتاتورية، وبينما مُحي الماسـون وقُـضي عليهم قضاءً مبرمًـا، فـإن الماسـون الأتـراك القوميـين كانوا يعيشـون في رغدٍ مـن العيش وينعمـون بالأمن والسـكينة والطمأنينة وراحة البال. وإن أسـعد الماسـون في أرجاء المعمورة وأكثرهم حظًّا هم أولئـك الذيـن اتخذوا من تكيةٍ يلجئون إليها ويعيشـون في كنفها. أما الماسـون الأجانب فظلوا ينظـرون مترقبـين من بعيدٍ وهم يحسـدون الماسـون المحليين عـلى ما آتاهم الله مـن فضله. كان أتاتورك حينئذٍ يلقي السمعَ باهتمامٍ إلى ميم كمال الذي يمدح الماسونية بكل حماسٍ وسورة حمية.

(١) مميم كمال أوكه: كان من كبار زعماء الماسون إبان تلك الحقبة من الزمان.

ومـن ثم أراد أتاتورك أن يمنع ميم كمال من إطالة حديثه أكثر من هذا، وسـأله قائلًا: «حسـنًا، لقد فُهم قولك. ومن رئيسكم؟»

حينئذٍ تفوه ميم كمال بهذه الكلمات الآتية، والتي لم يكن يجرؤ على التلفظ بها قبل ذلك: «إن الدول نفسها تحاول تحقيق هذه الفكرة، منادية على الدنيا التي تريد الأمن والسلام في الدولة».

قطـب أتاتـورك حاجبيـه لحظةً. ثم غلـظ من نغمـة صوته وقـال: «إنني لم ألتحـق بجمعيةٍ ماسونيةٍ، واتبعت مبادئي ولم أتبع المبادئ التي صنعها الآخرون». وإذا كان ميم كمال، الذي كان وكأنه قد انتفض جسـده عندما سـمع كلام أتاتورك، فإنه أراد أن يُنهي كلامه على النحو الآتي:

«إنني لا أريد الموافقة بسهولةٍ ويسرٍ على الأفكار السامية الرفيعة التي تمثلها الماسونية. ولكن هذا يمكن أن يكون مسـاعدًا في جمع شـمل أولئك المثقفين الذين يبذلون قصارى جهدهم من أجل مبدأ الإنسانية ونشره في كل دولةٍ من دول العالم». ثم رد عليه أتاتورك قائلًا:

«كلا يا كمال بك، أنت لست مصرحًا لك بالتفوه بمثل هذا الكلام. وليس من قبيل الصواب الموافقـة على عدم تحقيق فكرة الإنسـانية في يومٍ من الأيام. ومـن الممكن جدًّا بلوغ هذه النتيجة السعيدة في يومٍ من أيام الإنسانية».

وقد تفوه أتاتورك وهو يفكر في خطأٍ جسـيمٍ ارتكبته الماسـونية. إنه إنسـانٌ أصيلٌ يؤمن بأن المبدأ الذي نراه فوق طاقة البشر يمكن تحقيقه في المسـتقبل القريب من أجل سـعادة الإنسـانية ورخائها. وكان مستمسكًا بالإصلاحات الاجتماعية من أجل تقدم الأمة ورفاهيتها. [1]

يجعلها فوق كل شيء، إنه ولا جرم قد طبق مبادءه ولم يطبق مبادئ الآخرين، لقد صدرت المناقشـة التي دارت بين أتاتورك وميم كمال نقلًا عن جمال جراندا، وذلك في مجلة اليوم الجديد الصادرة في ٢٧ ديسمبر عام ١٩٣٨م، ونقلها جون جاليلكر بنصها في كتبه. [2] [3]

(1) Cemal Granda , Atatürkün Uşağı idim , Hürriyet Yy , İstanbul , 1973 , s , 293 – 296

(2) Gün – Çelikler , s , 38 – 40

(٣) يفسـر الأسـتاذ كـون جليـك أن الماسـونية لـم يسـتطيعوا التجرؤ على اسـتخدام كلمة ماسـون علـى الجمعيات التي أنشـؤوها، وكان هذا سـببًا في لجوئهم إلى اسـتخدام كلمـات أخرى حرصوا على إطلاقهـا على جمعياتهم الماسونية، مثل: مساعدة الأيتام، ورفعة الوطن ونهضته، وغيرها (ص: ٣٤).

الجمعيات الماسونية في عهد الجمهورية:

حافظت طائفةٌ من الجمعيات الماسونية على وجودها في عهد الجمهورية، ولا سيما عقب حقبة الاتحاد والترقي، حيث فُتحت جمعياتٌ ماسونيةٌ جديدةٌ وغُلقت في عهدٍ قريبٍ. كذلك، غُلقت كل الجمعيات الماسونية الأجنبية برمتها. ويقول الأستاذ آياق: «كانت السجلات الرسمية للتنظيمات الماسونية إبان السنوات الأولى لعهد الجمهورية تتم على النحو الآتي: كانت التنظيمات الماسونية في هذه الحقبة من الزمان في تركيا تُسجل بصفةٍ رسميةٍ ولا تخرج عن إطار القانون. وحدث هذا لأول مرةٍ في مدينة إزمير، حيث سُجلت الجمعية الماسونية فيها تحت عنوان جمعية مساعدة الأيتام، وكان هذا في ٢٥ فبراير عام ١٩٢٦م. وفي خاتمة المطاف، كانت هناك محاولةٌ جادةٌ وجهدٌ حثيثٌ لتسجيل إنشاء جمعيةٍ ماسونيةٍ كبرى في إسطنبول تُسمى جمعية المشرق العظيم. وفي ٣٠ يونيو عام ١٩٢٧م، قُدم طلبٌ تحت رقم ٢٠٠ إلى ولاية إسطنبول لتسجيل هذه الجمعية تحت اسم "جمعية التطور الفكري". وبعد ذلك، وفي ١٦ مايو سنة ١٩٢٩م، غُير اسم هذه الجمعية إلى "جمعية رفعة الترك ونهضتهم"، وسُجلت مرةً أخرى في ولاية إسطنبول». (١)

وفي ١١ يناير عام ١٩٣٣م، أُجريت بعض التعديلات في تنظيم هذه الجمعيات، تم بمقتضاها تغييرٌ أخيرٌ لاسم هذه الجمعية ليصبح «جمعية المشرق العظيم لرفعة المجتمع التركي ونهضته»، وكان هذا بمثابة آخر تسجيلٍ لها في ولاية إسطنبول. وقامت الجمعية في هذا التنظيم الأخير لها بإشاعة خليقة التعاون والتساند والتعاضد والتآزر بين أولئك المنتسبين إليها من كل حدبٍ وصوبٍ، ناهيك عما تبذله من جهدٍ حثيثٍ من أجل الخير العميم والفائدة الجمة للفرد خاصةً وللإنسانية جمعاء على وجه العموم.

«وفي ٩ مايو عام ١٩٣٢م، سُجلت في ولاية إسطنبول جمعيةٌ ماسونيةٌ أخرى تحت رقم ٣٥٦/ ٣٤٧، وسُميت باسم الجمعية الماسونية العظمى لتركيا. هذا فضلًا عن التسجيلات الرسمية التي تمت في تلك الآونة من أجل الدرجات الرمزية المشفرة السرية لأعضاء جمعية

(1) Apak , 208 , 209

المشرق العظيم». [1] هذا وقد كانت إحدى وثلاثون جمعيةً ماسونيةً تمارس نشاطها بكل ما أوتيت من قوةٍ، حتى تم إغلاق كل الجمعيات الماسونية قاطبةً في عام ١٩٣٥م.

سلوك الماسونية تجاه أتاتورك وتوقيرها إياه:

سلوك الماسونية تجاه أتاتورك:

كان الماسون عقب إحراز النصر في حرب الاستقلال وإعلان الجمهورية يرون أن استمرار وجود تركيا في الساحة العالمية مرهونٌ بالرجل رقم واحد، ألا وهو أتاتورك، الذي اضطلع بتأسيس تركيا من جديد وبث في تضاعيفها نبض الروح والحياة. ومن ثم، حرص هؤلاء الماسون على الاستفادة العظمى من نفوذ أتاتورك من أجل تغيير فكره وأقواله وأفعاله، ودفعهم هذا إلى اقتراح الماسونية عليه من أجل اعتناق مبادئها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا. وها هو ذا الأستاذ آياق يكتب في هذا السياق قائلًا: «تفويض مجلس الشورى الأعلى بمنح رئيس جمهوريتنا أتاتورك الدرجة الثالثة والثلاثين من درجات الماسونية ومنازلها، وكان هذا في عام ١٩٢٥م، ومنحه كذلك الرئاسة الفخرية للماسونية، مما يعد شرفًا عظيمًا لها». واتخذت الماسونية قرارًا بأن يتولى الدكتور فكرت برادر محاولة فهم ما يدور بخلد أتاتورك بشأن العرض الذي عُرض عليه. حينئذٍ قال أتاتورك ردًّا على الاقتراح الذي عرض عليه الدكتور فكرت برادر: «دع هذا الأمر الآن، وبين لنا مزايا هذا العرض، ونفكر فيه مليًّا بعد ذلك.» وكان محمد جميل أوي بايدين موجودًا أثناء هذا الحوار. [2]

وثمة معلوماتٌ أخرى ورد ذكرها في مصدرٍ آخر ولها صلةٌ وثيقةٌ بعرض الماسونية على أتاتورك: في عام ١٩٢٥م، عُقد اجتماعٌ غير عادي لمجلس الشورى الأعلى للماسون الأتراك، حيث قرروا فيه عرض الماسونية على أتاتورك، واثقين بطائفةٍ من التقارير الخاطئة المتعلقة بهذا الموضوع. ورغم عدم وجود أي ضربٍ من الإلف والاعتياد باقتراح الجمعية الماسونية

(١) المؤلف السابق ص . ٩٧

(٢) يمكن أن نفكر في أن سبب الاقتراح الأسكتلندى يرجع إلى أن المملكة الإنجليزية أرادت في عام ١٧١٧م أن تصبغ المملكة كلها بالصبغة الماسونية الخالصة، وتزج بها في أعراف الماسونية وتقاليدها، ومن ثم أرادت إقحام منصب رئاسة الجمهورية التركية في أعراف وتقاليد مختلفة لم تكن معهودة من قبل.

في اسكتلندا، والتي تُنسب إليها هذه الثلة من الماسون [1]، فإن هذه الجمعية قررت بدورها منح رئيس الجمهورية أتاتورك الدرجة الثالثة والثلاثين من درجات الجمهورية أتاتورك، وقبل بطريقةٍ مباشرةٍ. وفُهم من هذين العرضين اللذين عُرضا على أتاتورك في تلك الآونة أنه أصبح الرئيس الفخري للماسون الأتراك. وقد عُهد إلى الدكتور فكرت برادرين تنفيذ هذه المهمة، حيث أسرع بالذهاب إلى القصر في جانقايا لمقابلة غازي مصطفى كمال، وأن يعرض عليه القرارات التي أصدرها مجلس الشورى الأولى لماسونيي تركيا. ولا نعلم ما يحمله هذا التكليف من مغزى، أو ما الذي كان يدور بخلد أتاتورك الذي كان يعلم جيدًا أن الماسونية موجودةٌ في كل حدبٍ وصوبٍ من أرجاء العالم. ولكن رده على هذا العرض الماسوني لم يزل محفوظًا بين ثنايا الوثائق السرية للماسون الأتراك. وهذا نصه، يقول أتاتورك: "كان لزامًا على ألا ألقي السمع لهذا التكليف المعروض عليَّ، ولننحه جانبًا الآن، وبرهنوا على كفاءتكم وقدرتكم، وابذلوا كل ما في وسعكم حتى تحببوا أنفسكم في الأمة، ثم نفكر بعد ذلك فيما يجب فعله. [2]

ويرى كلٌّ من قول أوغلو وآياق وكون جلكر أننا نجد ثلاث عباراتٍ مختلفةٍ في رد أتاتورك على العرض الذي عرضته الماسونية عليه. أما الحكم بأي هذه العبارات صحيحٌ، أو الحكم بأن العبارة الثالثة هي الصحيحة، فهذا موضوعٌ يمكن أن يكون موضوع بحثٍ حتى يمكن أن نحكم عليه: هل له نصيبٌ من الصدق أو ليس له نصيبٌ. وإن ما كتبه آياق جليلكر يثير في النفس اقتناعًا بأن هذه العبارات التي تفوه بها أتاتورك يمكن أن تكون صحيحةً صائبةً لا يتطرق إليها شكٌّ البتة. ويقول قول أوغلو في كتابه إن هناك بعض عبارات المدح بحق الماسونية وردت في رد أتاتورك على الماسونية، ويمكن أن تكون هناك عباراتٌ قد أُضيفت إلى عبارات أتاتورك بعد ذلك، وهي لا تُنسب إليه.

تعظيم الماسون لأتاتورك وتمجيدهم له:

عُقد مؤتمرٌ ماسونيٌّ عالميٌّ في إسطنبول في الفترة من الخامس حتى الثالث عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٣٢م. وانضم إليه ماسونٌ من ذوي المناصب العالمية ممن يمثلون ثلاثًا وعشرين دولةً. وتقرر في هذا المؤتمر إرسال برقيةِ إعزازٍ وتعظيمٍ وتوقيرٍ إلى أتاتورك، وأُرسلت البرقية

(1) Gün –Çelikler , s, 36

(2) Apak , s, 206 , Gün –Çelikler , s, 38

مذيلةً بتوقيع «مصطفى حقي ناله جه جي»، وهو أحد كبار زعماء ماسونيي تركيا، وجاء فيها:

«بمناسبة انعقاد المؤتمر الماسوني العالمي في إسطنبول، فإننا نتمنى دوام الصحة والسعادة للمحرر العظيم لبلادنا التركية الحرة العلمانية، متمنين دوام الرفعة والنهضة والرخاء لوطننا، وأن تمضي بلادنا قُدُمًا في طريق التقدم المادي والمعنوي. ونقدم لكم أيها الغازي العظيم بإجماع الآراء كل احترامٍ وتوقيرٍ من حبة قلوبنا ومهجة أرواحنا». [1] أما حكمت بيور، الكاتب الخاص لمصطفى حقي أفندي، فيقول فيها: «أحيطكم علمًا يا سيدي بأن السيد رئيس الجمهورية مسرورٌ جدًّا من برقيتكم التي تضمنت كل تمنياتنا لتركيا». [2]

إغلاق الجمعيات الماسونية:

تحدثنا في شرحنا لتاريخ الماسونية عن إغلاق جمعياتها في دولٍ مختلفةٍ وفى أوقاتٍ متباينةٍ، كما فصلنا القول عن حق الحرمان الكنسي الذي فرضته النصرانية على من يعتنقون الكاثوليكية والأرثوذكسية من هؤلاء الماسون. ولم يكن هناك إغلاقٌ لهذه الجمعيات الماسونية في عهد الدولة العثمانية، ولكن هناك ما يُعرف بسياسة وضعهم تحت المراقبة الشديدة وتعقبهم واقتفاء أثرهم إبان عصر السلطان عبد الحميد الثاني. ونحن نرى أن الجمعيات الماسونية قد أُغلقت لأول مرةٍ في عام ١٩٣٥م وفى عهد الجمهورية.

وكان لأتاتورك دورٌ مهمٌّ اضطلع به في إغلاق هذه الجمعيات الماسونية، حتى إنه كان ولا جرم العمل الرئيسي في هذا الإغلاق. ولقد خطط أتاتورك لهذا قبل عام ١٩٣٥م، ولكن تعذر عليه هذا بسبب إصرار وعناد المحيطين به من الكوادر الماسونية، مما ثبط من حدة عزمه وإصراره، مما جعله يعدل عن الفكرة إلى حين.

«ربما أن أتاتورك قد وضع هذا القرار من قبل وجعله في حيز التطبيق، ولكن مما يؤسف له أن كلا من وزير الداخلية شكر قايا ورئيس مجلس الأمة كاظم أوزالب كانا من كبار أعيان الدولة وكانا ماسونيين، ومن ثم فإنهما سوف لا يريدان إغلاق الجمعيات الماسونية. ولكنهما لما علما أن قرار أتاتورك بإغلاق هذه الجمعيات جازمٌ لا رجعة فيه، فإنهما أدركا من فورهما أنه لا

(1) Apak ,s,206 ,Gün –Çelikler ,s,38

(2) Gün –Çelikler ,s,41

سبيل إلى تأخير قراره أو الحيلولة دون تنفيذه، وتخليا عن إصرارهما وعنادهما». [1]

كما كان الماسوني كمال الدين آياق ذا علاقة وثيقة بهذا الإصرار والعناد، حيث يقول: «كان جالبو الأخبار يترددون بين أنقرة وإسطنبول طوال أيام كثيرة، ويقومون باتصالات كثيرة، بيد أن غلق الجمعيات الماسونية بدا موضوعًا في أجندة أعمال أتاتورك منذ فترة طويلة [2]، ولما أخفق عناد الماسون وخاب سعيهم اخُتير وزير الداخلية شكري قايا ليتولى باسم أتاتورك مهمة إبلاغ الماسون بقرار إغلاق جمعياتهم». [3]

إبلاغ الماسوني شكري قايا الماسون قرار إغلاق جمعياتهم:

كان الحظ العاثر لشكري قايا، وزير الداخلية وهو ماسونيٌّ، أن يتولى بنفسه إبلاغ أصدقائه الماسون قرار غلق جمعياتهم الماسونية. وكان غير راغبٍ في غلق هذه الجمعيات، ولكنه خضع تحت ضغط أتاتورك. ودعا زعماء الماسون ومديريهم إلى مكتبه، وأبلغهم بقرار أتاتورك، وأغضبهم بهذا القرار الغريب. ويشرح الأستاذ آياق هذه الواقعة فيقول: في شهر أكتوبر من عام ١٩٣٥م، دعا وزير الداخلية شكري قايا إلى أنقرة كلا من: الدكتور إسماعيل خورشيد وعثمان أوماى والدكتور فؤاد ثريا باشا ومحب نهاد قوران، وانضم إليهم في أنقرة كلٌّ من: مصطفى رشاد معمار أوغلو رئيس مجلس الشورى ونوزاد طان دوغان وإلى أنقرة والدكتور راسم فريد أحد أعضاء مجلس الأمة. وكان هؤلاء الثمانية يحملون الدرجة الثالثة والثلاثين من درجات السلم الوظيفي للماسونية، وأبلغهم شكري قايا وزير الداخلية بأن الماسونية أصبحت مستهدفةً، وأن أنشطتها الاجتماعية والثقافية باتت موضوعةً تحت المراقبة على يد الشعب وطوائفه [4] المختلفة، ومن ثم، قرر حزب الشعب الجمهوري ضرورة تعطيل نشاط الماسونية وحظره، وأن الحكومة مضطرةٌ إلى تطبيق هذا القرار ووضعه في حيز التنفيذ. وفى مقابل هذا، فإن الأخوة الماسون القادمين من إسطنبول أسرعوا من فورهم، وقرروا عقد اجتماعٍ عاجلٍ

(1) Apak , s , 217

(٢) المؤلف السابق ص . ٢١٨

(٣) لما أغلقت نقابة الترك في عام ١٩٣١م افتتح ما يسمى بالبيوت الشعبية لتحل محلها في عام ١٩٣٢م وكانت ترمي إلى تبني نشر مبادئ أتاتورك الثورية، وعملت في مجالات متعددة، مثل: اللغة والأدب.

(4) Apak , s , 217 – 218

للهيئة العامة للجمعية الماسونية حتى يتسنى لهم إصدار قرارٍ يقضي بأن هذه الجمعيات الماسونية مشكلةٌ وفق القانون وغير مخالفةٍ له. ولكنهم عادوا فقالوا إنهم لا يملكون السلطة التي تخول لهم إصدار مثل هذا القرار. كما أن مصطفى رشاد معمار أوغلو، رئيس مجلس شورى الدولة، قد دافع بإصرارٍ ورأى أن إخواننا الماسون محقون فيما ذهبوا إليه. حتى إن شكري قايا وزير الداخلية تحدث عن أن تُوهب أموال الجمعيات الماسونية إلى بيوت الشعب.» ولكن مصطفى رشاد معمار أوغلو رأى أن هيئة الجمعيات الماسونية يجب أن يكون لها الحق في التصرف في هذه الأموال، وبديهي أن القيام بشتى المعاملات فضلًا عن إصدار قرارٍ من الهيئة العامة للجمعية الماسونية غير تابعٍ للقوانين الموضوعة، ومن ثم يجب ألا يمضي قُدُمًا في هذا السبيل.

ورغم كل أوجه الدفاع والإصرار في هذا الموضوع، فإن وزير الداخلية شكري قايا لم يوافق على دعوة الهيئة الاجتماعية العامة للحزب للاجتماع، مدعيًا أن هذا الأمر سيطول أمده. وقال إن الأوضاع غير مواتيةٍ الآن لإصدار قانونٍ خاصٍ في هذا السبيل، أو أن يُصدر هؤلاء الماسون قرارًا يقضي برفضهم لإغلاق جمعياتهم الماسونية. وأمام هذا الوضع، بات من المتعذر اتخاذ قرارٍ بدعوة الهيئة العامة للجمعيات الماسونية للاجتماع على يد أولئك الإخوة الماسون القادمين من إسطنبول. ومن ثم، أدرك هؤلاء الماسون أنه لم يعد أمامهم من سبيلٍ سوى التوكل على الله والخضوع لتصاريف القضاء والقدر، وأسرعوا بتقديم البيان الرسمي موقعًا إلى وزير الداخلية شكري قايا. وما لبث هذا البيان المؤرخ بالتاسع من شهر أكتوبر عام ١٩٣٥م أن نُشر في اليوم التالي في كل الصحف التركية بواسطة وكالة أنباء الأناضول. (١)

ما شرحه إبراهيم آرواس في هذا السياق:

كان إبراهيم آرواس هو العضو البرلماني الوحيد في حزب الشعب الجمهوري عن ولاية فان، واختاره أتاتورك ليكون ممثلًا لهذه الولاية طوال حقبة هذا الحزب الوحيد الذي استمر من ١٩٢٣ -١٩٤٥م. كان هذا الرجل واحدًا ممن كانوا شاهدين على كثيرٍ من الوقائع والأحداث، مطلعًا على أسرارها، مُلمًّا بدقائقها. كان هذا الرجل شاهد عيانٍ على كيفية غلق أتاتورك للجمعيات الماسونية، وما شرحه في هذا السياق لافتٌ للانتباه، وقد اقتبسناه بنصه وفصه فيما يلي:

(1) İbrahim Arvas , Tarihi Hakikatler , Yargıçoğlu Mat , Ankara 1964,s,68-69

على حين أوشكت مذكراتي أن تقترب من النهاية، فإنني أردت في هذا السبيل أن أتحدث قليلًا عن أولئك الماسون وجمعياتهم الماسونية الموجودة في بلادنا.

كان لهؤلاء الماسون جمعياتٌ كثيرةٌ في إسطنبول وإزمير وأدرنة وأنقرة. وكانت هناك طائفتان تكرهان مصطفى كمال باشا: أولاهما الدونمة، والأخرى الماسون. وذات يومٍ، استدعى أتاتورك وزير العدل السابق محمود أسعد بوزقورت. وأخبره عن تنظيمات وتشكيلات الماسون، وأحاطه علمًا بها، وأعطاه كتابًا في هذا الخصوص. وقال له: اقرأ هذا الكتاب بدقةٍ وإمعانٍ، وقدم بشأنه تقريرًا إلى رئاسة حزب الشعب الجمهوري، وشن هجومًا شديدًا على هؤلاء الماسون، واسلقهم بألسنةٍ حدادٍ، واضطلع بدور المرشد والدليل لإغلاق هذه الجمعيات، ولسوف تحظى بشرفٍ عظيمٍ لاضطلاعك بهذا العمل العظيم. وقدم محمود أسعد بوزقورت تقريرًا إلى مقام الرئاسة، راجيًا من الرئيس قراءة هذا التقرير. وقرأ الكاتب التقرير، واستمع إليه جموع الحاضرين، وها هي ذي خلاصة ما ورد فيه:

لقد أغلقنا الطرق الصوفية التي ورثناها عن أجدادنا، وليست الماسونية إلا شيئًا من الطريقة اليهودية ذات الأصول والجذور الموجودة في الخارج. فأي عملٍ تضطلع به مثل هذه الماسونية في دولتنا، فلنغلقها أيضًا بقرار الأغلبية المطلقة. ثم قال موضحًا ما ورد في التقرير بشكلٍ موجزٍ، وأصاب الخزي والعار والخيبة أولئك الماسون الموجودين في المجلس. ولو أنكم رأيتم شكري قايا المتحدث باسمهم، إنه كان يشبه قطةً يتساقط اللبن من رأسها. فهل استطاع أن يلاحق قول الخطيب المفوه المشهور محمود أسعد بك؟ وعندما تحدث شكري قايا من فوق المنضدة قائلًا إن الماسونية هي مؤسسةٌ خيريةٌ، أسرع الحاضرون صائحين في وجهه قائلين: ما هي آثار هذا الخير؟ هل تستطيع أن ترينا واحدًا منه؟ إنك تكذب، فانزل إلى أسفل واترك المنضدة. أما محمود أسعد بك، فإنه أثبت بالوثائق الدامغة أن الماسونية هي منظمةٌ سريةٌ تعمل في الخفاء، وهي ذات ضررٍ عظيمٍ على الأمة والدولة على السواء، وكل رؤسائها من اليهود التابعين للرئاسة العامة في الخارج.

أما شكري قايا وكاظم أوز آلب ومظهر كرمن، فكانت حيلتهم الأخيرة متمثلةً في الكاتب العمومي للجلسة الأستاذ رجب بكر. وشرعوا من فورهم في التضرع والتوسل، ملتفين حول

رجب بكر الجالس في الصالون. وكان المناخ شديد التوتر في هذه المجموعة من الحضور، وبلغ الانفعال ذروته، وارتفعت الأصوات مدويةً من كل مكانٍ. وحينئذٍ، طلب رجب بكر الكلمة، وهرول كثيرٌ من الأصدقاء إلى المنصة. وكنا على مستوى المسؤولية، وقال: أستأذنكم، ولننقل هذا الشأن إلى السيد رئيس الجمهورية مصطفى كمال أتاتورك، ولنأخذ رأيه في هذا الموضوع، ولنجتمع مرةً أخرى الأسبوع القادم. وصادفت كلمة رجب بكر هوًى في نفوس الحاضرين، وأُحلت المسألة حتى الأسبوع القادم. وقال الحاضرون: إننا أغلقنا كل الجمعيات الماسونية على كل حال. وجاء رجب بكر في الأسبوع التالي، وصعد المنصة، وبشر الحاضرين بهذه البشرى قائلًا: أيها الأصدقاء، لم يعد في تركيا اعتبارًا من اليوم أي أثرٍ باقٍ للماسونية في تركيا، وقد أُغلقت كل جمعياتها. وحدث ضجيجٌ وصخبٌ في الصالون، ودوى تصفيقٌ حادٌ، وارتفعت صرخات اليهود وصرخاتهم، وأخذت تدوي مُرجعةً أصواتها في أسقف المكان. وبدأ شكري وأصدقاؤه في مغادرة القاعة سرًّا. وبعد أن تفرق جمع الجموع الحاضرة في المجلس، ذهب الماسون الموجودون في المجلس بقضهم وقضيضهم إلى رئيس الجمهورية. ثم خاطب ميم كمال رئيس الجمهورية قائلًا: سيدي الرئيس، لا جرم أننا جميعًا في دولتكم وفي معيتكم، ولكن لو كنت عضوًا في جمعية المشرق الأعظم الماسونية، فإننا كنا سنلف ونطوف وندور حولك كالفراشة. وقال رئيس الجمهورية: حسنًا، سوف أسألكم عن شيءٍ وأجيبوني عنه بعد حين. لأي جمعيةٍ ماسونيةٍ من أوروبا أنتم لها تابعون؟ وما اسم هؤلاء التابعين لكم؟ وحينئذٍ ردوا عليه قائلين: نحن تابعون لجنيف، ورئيسنا هو بارجه ميشون. وبناءً عليه، تميز مصطفى كمال غيظًا، وخاطب هؤلاء الماسون قائلًا لهم: هيا اغربوا عن وجهي واذهبوا بعيدًا، ولتذهبوا إلى الجحيم يا خدام اليهود! إن أمتي حصلت على لقب البطل المغمور، سوف أكون خادمًا مثلكم لأولئك اليهود الأوغاد المزدرين؟ وإذا لم نغلق كل جمعياتكم الماسونية الموجودة في تركيا هذه الليلة وحتى الصباح، سوف أشكل غدًا محكمةً عسكريةً وأقدمكم جميعًا للمحاكمة وأشنقكم. هيا، هيا، اغربوا عن وجهي! وطردهم جميعًا. وأسرعوا جميعًا بإرسال برقياتٍ عاجلةٍ إلى كل من إسطنبول وإزمير وأدرنة، أخبروهم فيها بما حدث، ونقلوا إليهم قرارات إغلاق الجمعيات قبل الصباح، وقدموها إلى رئيس الجمهورية قبل أن يقوم من على مائدته. ثم تنفسوا الصعداء. هكذا أغلق مصطفى كمال كل الجمعيات الماسونية قاطبةً. (١)

(١) Gün –Çelikler , s , 41

لم يصدر قانون أو بلاغ رسمي من أجل إغلاق الجمعيات الماسونية، وقد أقدمت الحكومة من تلقاء نفسها بهذا الإغلاق، ولهذا السبب سُمي هذا الإغلاق بأنه شبه رسمي. ويمكن القول إن هناك سببين رئيسين دفعا الحكومة إلى هذا الإغلاق:

١ -تم اللجوء إلى هذا الإغلاق حتى لا تصدر ردود فعل من شتى الأوساط المختلفة بسبب هذا الإغلاق، وستقول الحكومة دفاعًا عن نفسها: نحن لم نغلق هذه الجمعيات، بل هي أُغْلِقَت من تلقاء نفسها.

٢ -كانت هناك رغبة في تحقيق ما يسمى بتطبيق الوضع الراهن، وكان الغرض من هذا أن هذا التعليق فعله الماسون أنفسهم، وليس بأمر قاطع من رؤساء دول مثل إيطاليا وألمانيا. (١)

وقد نشرت أخبارٌ حول غلق الجمعيات الماسونية وذلك في الصحف الصادرة بتاريخ ١٠ أكتوبر عام ١٩٣٥م، وأوردت وكالة الأناضول الخبر الآتي: قُدم هذا الخبر إلى وكالة أنبائنا وتحته توقيعاتٌ لمسئولين معروفين في أنقرة، ويفيد هذا الخبر بأن الجمعية الماسونية التركية يزيد تطورها الاجتماعي في بلدنا يومًا إثر يومٍ، واضعةً في الاعتبار النهوض العظيم لهذا البلد.

أما وقد شاهدنا الأعمال الصالحات والفضائل التي تمخضت عن تطبيق العلمانية والديمقراطية المهيمنة والباسطة نفوذها في الجمهورية التركية، وقد كانت الجمعية الماسونية التركية تمارس نشاطها دون أي قانونٍ، وبدا من المناسب الآن أن تتطوع هذه الجمعية طوعًا بأموالها وكل ما تملك إلى بيوت الشعب التي تبذل قصارى جهدها وتسعى سعيًا حثيثًا إلى التقدم الاجتماعي والثقافي للدولة. (٢)وفي أعقاب هذا الخبر الذي نشرته وكالة أنباء الأناضول، أدلى وزير الداخلية شكري قايا بالبيان الآتي: إن الماسون الأتراك قد حلوا تنظيماتهم بأنفسهم، وأقروا بأن مبادئهم وأفكارهم باتت متدرجةً ضمن البرنامج الأساسي للحكومة. وليس للحكومة أي علاقة أو جهد فيما فعلته هذه الجمعيات (٣)، ثم قال: لا جرم أن الحكومة تطبق

(1) Apak ,s,219

(2) Naudon –Boucher ,s,201

(3) Gün –Çelikler ,s,35

مبادئنا وبرامجنا، وترى أن الجمعيات الماسونية لم تغلق من تلقاء نفسها، ولم تضع حدًّا لنهايتها. ولو حدث هذا، فإن أرقى الدول مثل الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا كان يجب عليها أن تغلق الجمعيات الماسونية الموجودة على أرضها. وإذا فكرنا مليًّا، وجدنا أن هاتين الدولتين يوجد بهما الفكر الماسوني كما تموج بنشاطٍ ماسونيٍّ عظيمٍ، ناهيك عن أن نصف الماسون في العالم موجودون في هاتين الدولتين، وإن برامج هاتين الدولتين تشبه برامجنا. ويُفهم من هذا أن سلوك سبل غلق هذه الجمعيات ليس إلا تعللًا بحججٍ داحضةٍ وأعذار واهية.

وقد قيل كثيرٌ عما قاله أتاتورك بشأن غلق الجمعيات الماسونية، ومن هذه الأقوال على سبيل المثال: إن ما أعلمه وأعرفه جيدًا أنني أمرت بحظر نشاط هذه الجمعيات برضاها، مستخدمًا صلاحياتي التي يخولها لي القانون، وأمرت بغلق هذه الجمعيات. ويجب على من يحبونني أن يُحيوا غايتي التي أنشدها، ويقدروا قراراتي حق قدرها، وينزلونها المنزلة اللائقة بها. (١)

وقد ورد في العدد الصادر من صحيفة الجمهورية يوم ١٤ أكتوبر عام ١٩٣٥م خبرٌ يتعلق بغلق الجمعيات الماسونية، وكان عنوانه: أُغلقت الجمعيات الماسونية في تركيا بأمر من أتاتورك. بناءً على أمرٍ صادرٍ من وزارة الداخلية، فقد وُضع حدٌّ لنهاية نشاط الجمعيات الماسونية في تركيا. وقد صدر من قبل قرارٌ يقضي باستدعاء رئيس الجمعية الماسونية في تركيا لوقف نشاطها. أما محيي الدين عثمان، مدير بنك الأملاك في إسطنبول ورئيس الجمعية الماسونية فيها، فإنه أخبر أصدقاءه بالأمر الصادر من السلطات العليا لغلق الجمعيات الماسونية في تركيا.

وهكذا أُلغيَت تمامًا التنظيمات الماسونية في بلدنا، كما حدث في كل من إيطاليا وألمانيا وروسيا في الأزمنة الأخيرة. أما السبب الذي أوجب غلق هذا التنظيم الماسوني، فيُعزى إلى وجود وثيقةٍ تتحدث عن أن هذا التنظيم لا يستطيع أن يجد له مكانًا في دولتنا لأن أصوله وجذوره خارجةٌ عن إطار برنامج حزب الشعب الجمهوري. ورغم هذا، فإن الماسون يقولون إنهم ليس لهم أصولٌ أو جذورٌ في الخارج، وأن الماسونية ما هي إلا تنظيمٌ حرٌّ يعمل في اتحادٍ كونفدراليٍّ. وقد ظهرت الماسونية بصورةٍ سريةٍ خفيةٍ في بلدنا كما بدا في وسائل النشر الصادرة في الأزمنة المتأخرة، لأن الماسونية كانت بمثابة مقاومةٍ ومعارضةٍ ضد العلمانية والتيار القديم على حدٍّ

(1) Apak , s , 220 – 221

سـواءٍ، ناهيك عن التضامن والتآزر الموجودين بين المنتسبين إليها. كما كانت مؤسسةً تحث على المساعدات والمصالح المتبادلة، حتى إنها اتُهمت بالكفر والإلحاد، وفقدت الثقة والأمان بسبب مقاومتها للتعصب الأعمى ومعارضتها إياه. (١).

ونـأتي الآن لنسرد آراء بعض الماسـون فيما يتعلق بمسـألة غلق جمعياتهم الماسـونية، فنقول: ورد في العـدد الصـادر من صحيفة الفجر الصـادرة في ١٥ أكتوبر عام ١٩٣٥م رأيٌ لاثنين من الماسـون، ورد فيه: لم يتردد بعض مشـاهير الماسـون في الجهر برأيهم في هذه المسـألة، حيث كان المحامي سـعيد رضا واحدًا من الأعيان البارزين بين الماسـون في تركيا، وصدع عن رأيه بإيجازٍ حيث قال: "لقد كنت ضالعًا في هذا العمل، وليس لي موقفٌ أقدمه مقابل استجوابكم. ولكن يجـب عـليَّ أن أجهر برأيٍ من أجل إصراركم على هذا. إذ كنتم قد أذنتم بنشـاط الماسـونية أول الأمر، فإنكم اليوم قد أوقفتم نشـاطها لنفس السـبب. ووجدت من المناسـب مناقشة قرارات الحكومة والوقوف عليها وإمعان النظر فيها، ولكنني سـوف لا أتردد في القول بأن للماسـونيين إهمالًا في هذا السـبيل. إن الماسـون سـلكوا هذا السلوك من قبل، ولسـوف يتفرق شملهم من تلقاء أنفسهم دون انتظار قرارٍ من الحكومة.

وها هو ذا الدكتور صالح هاشـم، الطبيب بوزارة العدل، يسـتقبل بلا اكتراثٍ وعدم اهتمام القضـاء عـلى التنظيم الماسـوني، رغم أنه كان ماسـونيًّا. ويقـول في هذا الصـدد: "إنني أرى أنَّ الماسـونية أقحمـت نفسـها في التاريـخ منـذ زمنٍ موغـلٍ في القدم مـن أجل تركيـا. ولربما كان للماسـونية وجودٌ بهذا المعنى في فرنسـا بدءًا من عصر لويس الخامس حتى السـادس عشر، وأن الماسـونية كانت بمثابـة ضربٍ من التمرد والعصيان الذي يعمل خفيةً ضد الاسـتبداد والظلم والاضطهاد والإكليروسـية التدخل الإكليريكي في السياسة. وقد تبوأت تركيا مكانًا بارزًا بين دول العـالم العلمانية، وخاضت حربًا ضروسًـا مـع القوات البرية لهذه الدول، ولم يتسـنَّ لها أن يكـون لها تنظيمٌ سريٌّ خفيٌّ يشـبه تنظيم الماسـونية. ولو كانت الماسـونية دينًا، فـإن هذا الدين السري قد اجتُثت جذوره في عصرٍ من العصور، وسـيتظاهر حينئذٍ بأنه لا يعرف حتى الأديان الموجودة في شتى أرجاء الدنيا. ولو كان للماسونية وجودٌ اجتماعيٌّ، لكانت ذات أهميةٍ في الدنيا كلها، ولكن مؤسساتها القوية أصبحت فيما بعد غير ذات فائدة مرجوة.

(1) Naudon –Boucher ,s, 208

لم تعش الماسـونية منذ زمنٍ بعيدٍ لأنها كانت بمثابة لعبةٍ أو فزاعةٍ فآتةٍ أو فزاعةٍ ليس إلا. ثم ما لبثت أن وجدت في خاتمة المطاف مكانها في متحف التاريخ، متبوئةً مكانها بين ثنايا ما انقضى من الزمن القديم. (١).

وعلى حين كان إلهامي سوسـيال يمعن النظر في واقعة غلق الماسـونية، فإنه تحدث عن غلق هـذه الجمعية الماسـونية الكبرى ولم يمـسَّ مجلس الشـورى الأعلى لها. ولما أُغلقـت الجمعيات الماسـونية الكـبرى، ظـل هذا المجلس دون نشـاط مؤثر أو حركـة نافـذة. (٢). ولقد كان مجلس الشورى بمثابة العضو الاستشاري الناصح الذي يقوم على المستوى الأعلى للماسونية، ولكنه لم يستطع أن يعزز الماسونية في بنيتها ويشد أزرها بعد ضعفها وهوانها. وكانت كل هذه الجمعيات الماسونية تابعةً للجمعية الماسونية الكبرى في تركيا، خاضعةً لنفوذها وسلطانها.

ولما أُغلقت الجمعيات الماسـونية في عام ١٩٣٥م، كان لم يزل يوجد كثيرٌ منها في إسـطنبول وغيرهـا مـن المدن مثل إزمير وأنقـرة وأدرنة وبورصـة، حتى بلغ عددها في هـذه المدن إحدى وثلاثين جمعيةً. وبلغ عدد أعضائها ثلاثة آلاف وخمسمائة عضوٍ، منهم ألفان وأربعمائة عضو في إسطنبول وحدها.

ويعـزى سـبب وجـود معظم الأعضـاء في إسـطنبول إلى أنهـا كانـت بمثابة المركـز الثقافي الاقتصادي لتركيا، ناهيك عن أن غير الترك كانوا يعيشـون بكثرةٍ فيها، ومعظم الأعضاء كانوا من الدونمة واليهود وغيرهم من غير المسلمين.

كان الماسون يصفون أنفسهم بأنهم يغطون في سباتٍ عميقٍ بدءًا من عام ١٩٣٥م... أُغلقت جمعياتهـم الماسـونية، واسـتمروا على هـذا الحال قرابـة ثلاث عشرة سـنةً، حتـى أُذن لهم بفتح جمعياتهم مرةً أخرى في عام ١٩٤٨م. وقيل إن الماسـون كانوا يمارسـون نشـاطهم سرًّا إبان هذه الحقبة ١٩٣٥ -١٩٤٨م. وقد اسـتمرت أنشطة الماسون بصورةٍ سريةٍ، ولكنها كانت غير ذات تأثيرٍ كما كانت عليه قبيل إعلان الدسـتور، ولم تتقوض عُرى التضامن والتعاون بين الماسـون، ولم تتعرض للتردي والانهيار. وتذكر بعض الوثائق أن بعض زعماء الماسـونية تمت ترقيتهم إلى

(1) Sosyal ,s,267

(2) Naudon –Boucher ,s,205

الدرجة الثالثة والثلاثين في السلم الوظيفي للماسونية. [1].

ولما أُغلقت الجمعيات الماسونية، استُخدمت بدلًا منها أماكن أخرى مثل المطاعم والكازينوهات والمكاتب، وأصبحت أماكن يجتمعون فيها، حيث يلتقون ويمارسون نشاطهم فيها خفيةً، واستمرت الترقيات داخل التنظيم بصورة طبيعية. [2]

أسباب غلق الجمعيات الماسونية:

كان مصطفى كمال أتاتورك أكبر قوةٍ مؤثرةٍ في غلق الجمعيات الماسونية عام ١٩٣٥م، مما جعله يعتمد في هذا السبيل على شخصيته التاريخية والتجارب التاريخية بصورةٍ كبيرةٍ. ويقول الكاتب Gun- celikler في هذا الصدد: لا جرم أن مصطفى كمال أتاتورك أكثر الناس علمًا بمفهوم كلمة الماسونية وما ترمي إليه. وكان يمر في الأماكن التي أظهر الماسون فيها نشاطهم، وكانوا من البالغين والشباب الناضج، حتى إنه عبر من أرض الأناضول وخبرهم وأحاط بنشاطهم، رغبةً منه في بدء مرحلة النضال القومي في عام ١٩١٩م. وعرف أشدهم وحشيةً وضراوةً، ووجد الفرصة المواتية لتعقبهم واقتفاء أثرهم، واطلع على نياتهم وأنشطتهم من كثب. وكانت سلانيك التي ولد فيها، ومقدونيا التي يعرفها جيدًا، ومناستير التي قضى فيها شطرًا من تعليمه، من أكثر المناطق كثافةً بالنشاط الماسوني. إن الشاب الفتى مصطفى كمال قد تأكد بنفسه من النشاط الذي تجاوز حده في الدولة على يد الماسون والمنتسبين إلى جمعية الاتحاد والترقي.

وعرف هؤلاء الأشخاص وخبر حالهم، وكيف يستخدمون غيرهم في تنفيذ أغراضهم، وكان معظم من يضطلعون بدورٍ في هذا السبيل من أصدقائه أو من الأمراء. وبعد ذلك، أدرك مصطفى كمال بحسه المرهف ونظرته الثاقبة وقوة ذكائه الأدوار التي تضطلع بها الجمعيات الماسونية والمنتسبين إليها، ولا سيما في حرب البلقان وجبهة القتال في طرابلس الغرب، وعرف هدفها الحقيقي. وبعد مرور عشرين عامًا، أصبح هذا الشاب ضابط أركان حربٍ يملك القدرة على النظرة الموضوعية للأمور ويقومها ويقدرها حق قدرها، ويحلل الأحداث بين ثنايا الصراعات التي وقعت إبان هذه الأيام. وكانت هناك أنشطةٌ ضد الدولة قامت بها طائفةٌ من

(1) Gün –Çelikler , s , 44

(٢) المؤلف السابق ص ٣٤ –٣٥

الرعايا غير المسلمين الذين كان يحرضهم بعض المقاتلين والمحاربين من الخارج، ويساعدهم أيضًا بعض المثقفين الأتراك بقصدٍ منهم أو بغير قصدٍ. كما كان هناك كثيرٌ من المزيفين السياسيين الذين استمروا في التدفق إلى داخل البلاد في معية الاتحاد والترقي، وارتكبوا كثيرًا من الجرائم والمساومات الخائنة. وكان هذا سببًا في أن أصبح هذا الضابط الشاب بطلًا ذا مبادئَ دفعته دفعًا إلى إصدار بعض القرارات التي استخدمها من أجل سلامة الوطن وحفظه من كل يدٍ قد تعبث به وتعيث فيه فسادًا.

وكان مصطفى كمال في لجة هذه السنوات المضطربة القلقة يقوم بوزن كل شيءٍ حوله بميزان العقل والحكمة، ويداريه من أجل الأيام القادمة في المستقبل القريب. (١)

وعندما نمعن النظر في أسباب غلق الجمعيات الماسونية، فإننا نميط اللثام في هذا المقام عن آراء الماسون أنفسهم في هذا السبيل. ويتحدث الأستاذ آياق عن هذا فيقول: إن من قبيل الصواب أن نترك للأجيال الماسونية القادمة وللتاريخ أن يحكموا حكمًا صارمًا على هذه الواقعة الأليمة المفجعة. ولكن يجب عليَّ أن أقول في هذا السياق إن هناك مفاهيمَ وأفكارًا مزيفةً ملفقةً خاطئةً شاعت بين ثنايا الطبقات الشعبية والطوائف المُغالية، وهي ذات صلةٍ وثيقةٍ بهدف الماسونية وأصلها. ومن ناحيةٍ أخرى، فإن المفاهيم المزيفة والخاطئة الموجودة والإلهامات المقتبسة من بقايا السياسة المؤيدة للماسونية، والتي كانت تتعقبها الأنظمة الفاشية والشيوعية الموجودة في بعض الدول الأجنبية ذات العقلية المستبدة والتفكير المتسلط القاهر، قد تمخض عنها ولا جرم طائفةٌ من التأثيرات الخارجية والدوغماتية التي تدور حول الماسونية، والتي أخذت شكل الخرافة لما تحقق من مكاسبَ وفوائدَ جمةٍ ذاعت أخبارها وانتشرت في بعض الصحف والمجلات. ناهيك عن أن الماسونية فقدت مهمتها والواجب المنوط بها، وباتت لا تكترث بالمثالية العقلية الواقعية المتصلة بالشدة والصلابة والجفاء. ومن ثم، انتهى دورها باعتبارها مؤسسةً تاريخيةً ليس إلا. ونجم عن هذا أن زادت المعاملة اللاأخلاقية تجاه الماسونية، مما عجل بنهايتها وساعد على انتقال كثيرٍ من القضايا الشخصية إلى الماسونية. وفى النهاية، كان

(١) أُسس حزب الاتحاد والترقي النقابات التركية وأُحييت في عهد الجمهورية حتى عام ١٩٣١م متوائمة معها ثم أُغلقت هذه النقابات وحل محلها ما يعرف باسم بيوت الشعب، وكان هذا في عام ١٩٣٢م ثم أُعيد افتتاحها من جديد عقب انقلاب ٢٧مايو ١٩٦٠م مما ساعد على استمرار نشاطها.

لا بد من اجتثاث جذورها واستئصال شأفتها. وظهرت مؤثراتٌ داخليةٌ فكرت تفكيرًا يقينيًّا وأكثر حيويةً ونشاطًا. ناهيك عن وجود طائفةٍ من العوامل والمؤثرات الداخلية مثل التفكير من أجل الاستفادة من هذه الصحوة الإيمانية التي تموج بالحركة والنشاط، ولا سيما بعد غلق هذه الجمعيات الماسونية.

إن اجتماع وتضافر كل هذه الأسباب مع بعضها بعضًا قد سهل ولا شك تحطيم الأعمدة الأساسية المتينة للماسونية، حتى ولو كان بصورة مؤقتة.

وإذا وجب علينا وصف هذا الموضوع وتوضيح صورته قليلًا، فإنه يمكننا القول حينئذٍ إن الأوساط المغالية الجاهلة لم تستطع التجرؤ والوقوف ضد الحملات الثورية التي اضطلع بها أتاتورك في بلدنا. وبذلت الماسونية قصارى جهدها من أجل تسكين المناخ الثائر المتقد بالحماس الذي خلفته سلسلة بعض رسائل النشر، واستثمرت هذا الجو من أجل مصالحها المادية، سالكةً السبل الملتوية من أجل بلوغ أهدافها. هكذا أصبحت الماسونية كبش الفداء، عالمةً بذلك أو جاهلةً، راغبةً أو غير راغبةٍ. حتى إن بعض الجمعيات النسائية قد انضمت إلى هذه التضحيات، مشتركةً مع الجمعيات التركية في الحركة [1] والتفكير. [2]

وإذا ما أُريد تقويم مسألة غلق الجمعيات الماسونية في تركيا في عام ١٩٣٥م بصورة مؤتلفة محكمة، فإنه يمكن حينئذٍ أن نتحدث عما يلي:

١ - **أصبح يوجد في تركيا نظام الحزب الواحد** الذي مهد السبيل لنظام حكم ديكتاتورٍ مطلقٍ يتسم بالاحتكار والسلطة المهيمنة المتسلطة المستبدة. وكان كل شيءٍ متدرجًا داخل هذا الاحتكار، ومن ثم لم يكن هذا الحزب يتحمل أو يطيق وجود تنظيماتٍ أخرى لا تدور في فلكه ولا تحمل نفس فكره أو حركته أو خارجة عن إطار دائرته.

٢ - **مطابقة الوضع الراهن**: كانت نظم الحكم الدكتاتورية تحكم العالم وتمسك بزمام الأمور فيه إبان تلك الحقبة من الزمان، وتتمثل هذه الأنظمة في الفاشية والنازية والشيوعية. وكان هذا سببًا في حظر الماسونية في الدول التي تهيمن عليها هذه النظم الدكتاتورية مثل إيطاليا وألمانيا

(1) Apak , s , 216ve 223

(2) Gün –Çelikler , s , 45

وروسيا السوفيتية وإسبانيا. وحذت تركيا حذو هذه الدول واتبعت سبيلها متأثرةً بالوضع الراهن في العالم، وأسرعت بغلق الجمعيات الماسونية تقليدًا لهذه الدول ومحاكاةً لها.

٣ – رد فعل الرأي العام: كان الشعب من المثقفين والبيروقراطيين لا ينظرون بعين الرضا إلى الماسونية. وكانوا يعتبرونها مؤسسةً ملحدةً كافرةً هادمةً للدولة العثمانية مقوضةً لبنيانها. وكان الطلبة أيضًا يمثلون فئةً عريضةً من الرأي العام الذي استبشر خيرًا بسبب غلق الجمعيات الماسونية.

٤ – البنية الشخصية لمصطفى كمال وملاحظاته التاريخية:

٥ – لم ينظر أتاتورك نظرة عطفٍ أو مشاركةٍ وجدانيةٍ منذ البداية إلى الماسونية، وإن شخصيته لا تستوعب القوالب السرية الخفية للماسونية التي يكتنفها اللبس والغموض. فقد ألف ألا يأخذ أمرًا من أحدٍ بل يعطي هو الأمر. ناهيك عن أن بنيته القومية لا قبل لها أن تأتلف أو تتواءم مع الماسونية ذات البنية الدولية العالمية. وكان أتاتورك شاهد عيانٍ على تاريخ الماسونية والماسون الذين اضطلعوا بدورٍ سيءٍ مفسدٍ ومخربٍ في نظام الحكم في الدولة العثمانية وفي الحروب التي دارت رحاها بينها وبين الدول الأخرى. وكان كلٌّ من الجنرال جواد رفعت آتيلخان والجنرال كاظم قره بكير شاهدَي عيانٍ على مساوئ الماسونية وينظران إليها نظرةً فاترةً.

٦ – البنية التركية القومية لنظام الحكم: كان هذا النظام الحاكم ذا شخصيةٍ تركيةٍ قوميةٍ يمثل حقبة الحزب الواحد. ولهذا السبب، كان يُنظر إلى الماسونية على أنها شديدة الإيذاء والضرر على القومية بسبب جذورها وأصولها التي نمت وترعرعت خارج البلاد.

٧ – المطابقة بين مبادئ الماسون ومبادئ أتاتورك وحزب الشعب الجمهوري: ورغم أن هذا الادعاء كان له في الحقيقة نصيبٌ من الواقعية في الأعم الأغلب، فإن هذا رأيٌ قدمه الماسون من أجل أن يكونوا عقلانيين في دفاعهم وألا يكونوا معزولين في مواجهة الشخصية التاريخية لأتاتورك. حتى إنهم اضطلعوا بنصيبٍ عظيمٍ في الدعاية والترويج من أجل تحقيق الثورة التركية التي تزعمها أتاتورك. وكان غلق الماسونية نتيجةً طبيعيةً للتوافق مع مبادئ أتاتورك. ولو كان هذا الإجراء ساريًا في كل حدبٍ وصوبٍ، لوجب غلق الجمعيات الماسونية الموجودة في دولٍ كثيرةٍ مثل إنجلترا وأمريكا.

الماسونية في وقتنا الحاضر: ١٩٤٨ -٢٠٠٠م

فتح أبواب الجماعات الماسونية مرة أخرى، جديد في فبراير عام ١٩٤٨م:

طلب الماسون إلى ولاية إسطنبول بصفةٍ رسميةٍ فتح الجمعية التركية الماسونية في ٥ فبراير عام ١٩٤٨م، وقدموا طلبًا من أجل إعادة تسجيلها. واسترد الماسون أموالهم وممتلكاتهم التي آلت من قبل إلى البيوت الشعبية، وكتبوا رسالة شكرٍ وجهوها إلى رئيس الجمهورية آنذاك عصمت إينونو، الذي لبى طلبهم وحقق لهم مرادهم. وهكذا فُتحت عشر جمعياتٍ ماسونيةٍ في السنتين الأولين من عام ١٩٤٨م. (١)

وصدر بيانٌ صرح فيه بهدف فتح الجمعية التركية الماسونية وفق قانون الجمعيات الجديد، وجاء في هذا البيان ما يلي: إن الشغل الشاغل لهذه الجمعية يتمثل في الأعمال الخيرية وبذل كل جهدٍ من شأنه أن يرمي إلى تطور مبادئ الحرية والعدل والمساواة والأخوة داخل حدود تركيا، مقرونةً بالتطور الأخلاقي والفكري والعلمي والفلسفي. (٢)

ولما ظهرت الجمعيات الماسونية مرةً أخرى في عام ١٩٤٨م، انقسم التنظيم الماسوني التركي إلى قوتين أساسيتين هما: الجمعية الماسونية التركية الكبرى ومجلس الشورى الأعلى لتركيا. وأُسست ثمانٍ وعشرون جمعيةً بين أعوام ١٩٤٨ -١٩٥٨م، وكانت تابعةً للجمعية التركية الكبرى، منها ثلاث عشرة جمعيةً في إسطنبول وثمانٍ في أنقرة وسبعٌ في إزمير. (٣)

ولما فُتحت الجمعيات الماسونية مرةً أخرى في تاريخ ماسونية عصر الجمهورية، دار حديثٌ حول القلق والهم الذي أصاب الناس بسبب الصداقة الحميمة التي تربط بين الماسونية التركية والماسونية العالمية. وهذا الشعور قد وُصف آنذاك باعتباره وضعًا جديدًا يبين الشخصية العالمية التي اصطبغت بها الماسونية التركية. وجديرٌ بالذكر أن الماسون الأتراك ظلوا حتى عام ١٨٥٨م لم يقيموا علاقةً مع الماسونية الإنجليزية التي كانت حينئذٍ الكعبة التي تولي ماسونية العالم وجهها إليها. ولم يكن للماسونية التركية علاقةٌ بالمراكز الماسونية التي فقدت قوتها تدريجيًّا في

(١) Apak ,s,233-234

(٢) Apak ,s,237,246

(٣) Sosyal ,s,28

شمال الولايات المتحدة الأمريكية وجنوبها. وكانت الماسونية الفرنسية الليبرالية تقدر الماسون الأتراك حق قدرهم وتبدي لهم كل تَجَلٍّ واحترامٍ. ولكن الجمعية المتحدة في إنجلترا فإنها لم تعتد بالماسونية التركية ولم تقم لها وزنًا. وهذا الوضع كان بمثابة غصةٍ مؤلمةٍ وألمٍ عظيمٍ استمر أعوامًا طويلةً للماسونيين الأتراك على وجه الخصوص.

ولما أقبل عام ١٩٥٦م، فُتحت تسعٌ وعشرون جمعيةً ماسونيةً تابعةً للجمعية الماسونية الكبرى، وبلغ عدد أعضائها قرابة ألفين وخمسمائة عضوٍ. ولما وجدت الماسونية التركية نفسها ذات قوةٍ كافيةٍ مؤثرةٍ، أرادت أن تذيع شهرتها على يد الماسونية العالمية، وعرفت الجمعية الماسونية الكبرى في اسكتلندا عام ١٩٦٢م، في الوقت الذي سعت فيه سعيًا حثيثًا للتعرف على كثيرٍ من الأعضاء الماسون في كثيرٍ من دول العالم. (١)

ولكن ما هي أسباب فتح الجمعيات الماسونية من جديد في تركيا عام ١٩٤٨م؟ يمكن الوقوف على ثلاثة أسباب في هذا السياق، وهي:

١ – نجاح الجبهة التي أسستها الولايات المتحدة الأمريكية وتزعمتها، والمساة الجبهة الديمقراطية، عقب الحرب العالمية الثانية. وإذا كانت الجبهة الفاشية التي تزعمتها ألمانيا قد نجحت، فإن رئيس الجمهورية عصمت إينونو لم يسمح بالانتقال إلى الديمقراطية، وسعى النظام إلى تضييق نظام الفاشية الذي استمر طويلًا. (٢) ولهذا السبب فإنه لم يسمح بفتح الجمعيات الماسونية.

٢ – وجود الديمقراطية: يُقال إن الماسونية أظهرت وجودها في مناخ الحرية. وقد ظهر مناخ الحرية كثيرًا مقرونًا بالانتقال إلى الديمقراطية التي سادت تركيا بين عامي ١٩٤٥ –١٩٥٠م. وأسرعت الماسونية بممارسة نشاطها مستفيدةً أيما فائدةٍ من هذا المناخ.

٣ – الضغط الذي مارسته الولايات المتحدة الأمريكية والغرب:

كان الدكتاتور السوفيتي ستالين من الغالبين في الحرب العالمية الثانية، وكان راغبًا في

(١) هذا تصريح لكل الإخوة من الوفد الدائم الكبير للجمعية الماسونية الكبرى للماسون الذين وافقوا على أن تكون تركيا حرة 17– 1965.s16 . G.Rigo B.evi .Istanbul

(2) Samet Ağaoğlu , Demokrat Partinin Doğuşu ve Yükseliş Sebepleri , Baha Mat , İstanbul , 1972 , s , 102

الاستحواذ على كل من قارص وأردهان في نهاية هذه الحرب. كما أراد تخويف تركيا وترويعها وإقامة قواعد عسكرية في كل من جناق قلعة وإسطنبول. أما تركيا، فإنها رأت أنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها في حالة نشوب حربٍ بينها وبين أي اعتداءٍ سوفيتيٍ بسبب التخلف التكنولوجي الذي تعاني منه تركيا. ومن ثم، استعانت تركيا بالتكنولوجيا المتقدمة لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية حتى يتسنى لها حماية نفسها مما يحيق بها من العدو الروسي الذي يتربص بها الدوائر. وكانت هذه الدول الأوروبية مضطرةً إلى تلبية رغبات تركيا البنية الاستراتيجية لها حتى تمنع روسيا السوفيتية من الاستيلاء على الشرق الأوسط من خلال الهيمنة على تركيا. وبديهي ألا يتم هذا دون مقابلٍ. ومن ثم، كان أحد البدائل المعروضة في هذا السبيل متمثلًا في إعادة فتح الجمعيات الماسونية مرةً أخرى عن طريق الضغط والنفوذ الذي مارسته كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا. ويُعزى إلى أن أمريكا وإنجلترا كلتيهما كانتا بمثابة مركز الماسونية العالمية.

ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى تبوأت الولايات المتحدة الأمريكية المكانة الأولى في العالم واستحوذت عليها من إنجلترا، مما دفع أمريكا إلى أن حذت حذو إنجلترا من قبل، وأصبحت المركز الأول للماسونية في العالم. وأرادت استخدام هذه الماسونية لتحقيق مآربها لتسعى سعيًا حثيثًا إلى الفوز بها، ونجحت في هذا المسعى. وأضحت في حسبانها أن عظمة أمريكا ما هي إلا أثرٌ من آثار الماسونية.

طلبات إحاطة مقدمة إلى مجلس الأمة التركي من أجل الماسونية:

اقتراحات بشن قانون من أجل غلق الجمعيات الماسونية:

أول طلب إحاطة:

كان هناك تصادمٌ بين انتشار الماسونية والثقافة المهيمنة على الماسونية ومبادئها، وكان هذا سببًا في الذكريات السيئة التي أفضت إلى انهيار الإمبراطورية العثمانية وتقويض بنيانها، مما سبب حساسيةً مفرطةً لدى زمرة المثقفين والبيروقراطيين تجاه الماسونية. ومن ثم، قُدمت طلبات إحاطةٍ إلى طائفةٍ من وزارة الداخلية قدمها بعض نواب مجلس الأمة التركية، ويُدعى الإجابة الشافية عليها فيما يتعلق بالماسونية.

وقـدم أول طلـب إحاطـةٍ في عـام ١٩٤٩م، أرسـلت الجمعية التركيـة الماسـونية خطابًا إلى الحكومة التركية بواسـطة والي إسـطنبول الماسـوني لطفي قيردار للمساعدة في الإجابة عن أول طلـب للإحاطة. وجـاء في هذا الخطاب: إن الجمعية الماسـونية قد فُتحت وفـق قانون الجهات وأصبحت مسـتقلةً وقوميةً، ولم تكن تابعةً للجمعية الماسـونية العالمية ولم تتلق فيها الأوامر، بل كانـت تنظيماتٍ تسـعى إلى اقتفاء أثر الغايـات العلمية والأخلاقية والاجتماعيـة والارتقاء بها، وكانت رمزًا لصدق الكلمة، وجُل أعضائها من الأطباء والمحامين ومن على شاكلتهم. (١)

أول اقتراح يرمي إلى غلق الجمعيات الماسونية:

قُـدم أول اقتراحٍ بهذا الشـأن في ٢٩ يناير عام ١٩٥١م، وعُـرض على مجلس الأمة التركي، وقدمه أحمد كوركانٌ عضو الحزب الديمقراطي عن ولاية طوقان، ومعه أربعة عشر عضوًا من أصدقائـه، حيـث ورد في اقتراحه: «إن الماسـونية ما هي إلا تنظيمٌ عالميٌّ ذو جذورٍ موجودةٍ في الخـارج، ولما كان المنتسـبون إليها لا يرعون الفوارق بين المذاهب والجنـس والقومية، فإنهم لا يترددون في سـحق كل المقدسـات تحت أقدامهم من أجل مصالحهم وتحقيق مآربهم.» وعُرض قانـونٌ مكـونٌ من أربعـة مواد لوضع حدٍّ لمثل هذه المنظمة الماسـونية. (٢) وعُـرض القانون على لجنةٍ مُشـكلةٍ من ممثلين لوزارتي العدل والداخلية، ولكـن وزارة الداخلية رفضت هذا القانون في ١ مـارس عـام ١٩٥١م، ثـم رفضتـه وزارة العـدل في ١٦ أبريـل مـن العام نفسـه. ثم عُقد المجلـس العام لمجلـس الأمة في ٢٧ أبريل عام ١٩٥١م، حيث قُـدم القانون للتصويت العلني بعـد لقاءاتٍ كثيرةٍ. اشـترك في التصويـت عليه ١٧٨ عضوًا، امتنع ثلاثـةٌ منهم عن التصويت، ووافق عليه خمسـون عضوًا، ورفضه ١٢٥ عضوًا. أما الذين قدموا القانون، فإنهم طلبوا إعادة التصويـت لعـدم وجود الأغلبية اللازمة من أعضاء المجلس للمشـاركة في التصويت. ثم عقد المجلس جلسـةً أخرى في ٣٠ أبريل عام ١٩٥١م، اشـترك فيها ٢٢٢ عضوًا، امتنع سبعةٌ منهم عن التصويت، ووافق ٥٨ عضوًا، ورفضه ١٥٧ عضوًا. وهكذا رُفع الحظر الذي كان مفروضًا على فتح الجهات الماسونية. (٣)

(1) Naudon –Boucher ,s, 218 –219

(2) Apak ,s, 287

(٣) المؤلف السابق ص ٢٨٨ –٢٨٩

طلب الإحاطة الثاني:

وفي جلسة البرلمان التركي التي عُقدت في ٣٠ أبريل عام ١٩٥١م، قدم غازي يكيت باش، عضو البرلمان عن ولاية آفيون قره حصار، طلب إحاطةٍ يتعلق بالجمعيات الماسونية، طالبًا إلى رئيس الوزراء الرد على طلبه. وقد ورد في هذا الطلب: إن الماسونية منظمةٌ عالميةٌ سريةٌ ذات ضررٍ جسيمٍ، وجذورها في الخارج، ولا تلقى بالًا بالمقدسات الدينية والإلهية. كما أن هذا التنظيم قد أُغلق على يد أتاتورك. (١)

ورد وزير الداخلية على طلب العضو باسم رئيس الوزراء، وقال فيه: «إن الجمعيات الماسونية قد أُسست وفق القانون، ولكن لا توجد معلوماتٌ تؤكد أنها تمارس نشاطًا سريًّا ضارًّا أو ما يفيد بأنها جمعيةٌ عالميةٌ. ولا توجد وثيقةٌ تاريخيةٌ واحدةٌ تؤكد أن أتاتورك قد أغلق هذه الجمعيات». (٢)

أما إبراهيم آرواس، عضو البرلمان التركي عن حزب الشعب الجمهوري، فقد قدم اقتراحًا قانونيًّا من أجل غلق الجمعيات الماسونية، فرد عليه رئيس الجمهورية جلال بيار قائلًا إن الحكومة التركية تتابع من كثبٍ كل جلسات الجمعيات الماسونية التي تمثل عنصر ضغطٍ قويٍّ ضد غلق هذه الجمعيات. إن جلال بيار أتاتوركي متطفلٌ ويفتخر بذلك، وقد رفض أحمد كوركان غلق الجمعيات الماسونية ورفض القانون الذي عُرض من أجل ذلك. ولكن أُحكم غلق هذه الجمعيات بالقانون. وكان بديهيًّا أن يضطلع المجلس بهذه العملية. وعقب عليها رئيس الجمهورية جلال بيار حتى آخر المناقشات خلال الجلسات الثلاث التي استمرت في مناقشة هذا القانون. واستخدم رئيس الجمهورية كل نفوذه من أجل هذا الموضوع. أراد جلال بيار بكل شجاعةٍ تنفيذ الأمر بإغلاق الجمعيات الماسونية، رافضًا اقتراح أحمد كوركان، ومحرضًا أحد أصدقائه المخلصين، وأحكم غلق هذه الجمعيات. وكان في سلوكه هذا شديد الانتماء إلى أتاتورك، وشديد الإخلاص والولاء له. وليكن قرائي حكمًا عادلًا في هذه القضية.(٣) وقد كان جلال بيار نفسه ماسونيًّا. (٤)

---

(١) المؤلف السابق ص. ٢٩٠

(٢) المؤلف السابق ص. ٢٩٠ - ٢٩١

(3) Arvas ,s,70 -71

(٤) لقد تبوأت المعلومات التي تشير الى ماسونية جلال بيار مكانة في كتاب الاستاذ سويسال - ١٧٥ سويسال ص: ٣٤٦)

الهيمنة الماسونية على حكومات الحزب الديمقراطي:

إن كل هذه الأحداث والوقائع تبين لنا مدى نفوذ القوى التي فرضها الماسون على الحزب الديمقراطي وحكومته، ناهيك عن تأثيرهم القوي الذي فرضوه لذلك على منصب رئاسة الجمهورية. وكانت توجد كثرةٌ كاثرةٌ لا تُحصى عددًا في البرلمان التركي، وكان الأعضاء الماسون الموجودون في حكومات عدنان مندريس يتألفون من الماسون [1]، أما مستشارو رئاسة الوزراء فكانوا من الماسون، وكانت هذه سنةٌ متبعةٌ إبان تلك الحقبة من الزمان. سرعان ما تقلد الماسون كل المناصب الرفيعة في الدولة. [2].

وها هو ذا الكاتب كون جليكلر يتحدث عن سبب هيمنة الماسون على الحزب الديمقراطي وحكوماته، ويمعن النظر في النتائج التي تمخضت عن هذه الهيمنة، ويقول: «كانت الحقبة الزمنية من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٠م تمثل زيادةً مطردةً في نفوذ الماسون في تركيا، حيث أصبحت لهم كلمةٌ نافذةٌ في دولاب العمل الحكومي وكل الكوادر الوظيفية في الدولة. ولم يكن البارزون من الحزب الديمقراطي هم الذين فتحوا هذه المقدرة للماسونيين. وقد أبدى الذين تولوا مراكز القيادة انفعالًا عاطفيًّا من أجل الاضطلاع بأشياء من أجل زيادة رفاهية الأمة والنهوض بها ورفع شأنها، وساعدهم على ذلك المناخ الديمقراطي الحر الذي ساد البلاد، وروح التسامح والمحبة التي جاوزت كل حدٍّ، ولا سيما أن هذا المناخ كان ذا فائدةٍ جمةٍ من أجل تحقيق غايات الماسون وأهدافهم التي يسعون إليها. إن المناخ الديمقراطي وحرية الرأي والصحافة كانت بمثابة إضافةٍ من الشعب وعنصرٍ مؤثرٍ من عناصر السياسة. إنه مناخٌ لم يكن يتسنى للماسونيين البحث عنه والعثور عليه.

لقد كان الحكم المركزي الذي يتمتع بالحزب الواحد مقرونًا بأولئك الذين يوجهون دفة الأمور في البلاد، وكانت من أشد الأشياء التي أرعبت الماسون وأفزعتهم وقضت مضاجعهم.

كان هؤلاء الماسون يحبون العمل تحت إدارة هذه الأنظمة الديمقراطية داخل إطارٍ من السرية دون أن يلفتوا انتباه أحدٍ ممن يحيط بهم.

(١) عمل أحمد صالح قورور مستشارًا في رئاسة الوزراء في حكومة عدنان مندريس، وكان من زعماء الماسون في تركيا (سوسيال: ص ٣٨٨).

(2) Gün –Çelikler , s, 45 – 46

ولم يكـن صنيعهـم هذا لأنهـم يعشـقون الديمقراطية وحريـة الفكر، وأنهم يتسـنى لهم أن يحكمـوا الدولة والشـعب والمؤسسـات المختلفة في هذا المنـاخ الذي يهيأ لهم الفرصـة المواتية، ويمكنهم كذلك عن طريق هذا الحكم أن يرفعوا من شأن مؤيديهم ومناصريهم، ويتيح العمل لجمعياتهـم في راحةٍ وطمأنينةٍ، ويقسـمون الإمكانيات الاقتصاديـة والاجتماعية فيما بينهم. إن أحـزاب الأغلبيـة التي لا مبـدأ لها تخاطب طائفةً من الشـعب لا تعرف الألفـة والاتحاد، وتعد حكومات هذه الأحزاب والقوى المهيمنة فيها أشد مثاليةً عند الماسون.

وأن حكومات الحزب الديمقراطي قد تبوأت أسماؤها المنزلة الأولى حتى عام ١٩٦٠م، رغم أن أعضاءها لم يكونوا من الماسون ولم يكن عدنان مندريس رئيس الوزراء ماسونيًّا، فإن مناصبهم قد احتلها الماسـون. وقد عرفت الماسـونية هذه الإمكانيات بصـورةٍ أكثر من حكومات حزب الشعب الجمهوري، وكانوا يساعدون هذه الحكومات غير مدركين بحقيقة غايتهم وأهدافهم. ولكن لم يكن الرجال الذين تبوؤوا المناصب العليا من الماسـون. ولكن الذين تبوؤوا المناصب في المنزلة الثانية والثالثة كانوا يحافظون على سرية الجمعيات الماسـونية، ولم يحققوا للشـعب أي فائدةٍ مرجوةٍ. وبعض الأشخاص منهم كانوا شديدي الوفاء والإخلاص للجمعيات الماسونية. وهـؤلاء لا يفعلون شـيئًا سـوى الموافقة الضمنيـة السرية على ما يفعله الماسـون في تركيا، ومن ثم أخذوا يهيمنون على كل المؤسسـات في شـتى أرجاء الدولة وعلى كل المناصب ذات الشـأن العظيم فيها. كانوا يغضون الطرف قليلًا عن بعض الأشـياء، ولكنهم كانوا أشد نفوذًا وتأثيرًا.[1] وإن تجربة الحكم بين ١٩٣٥ -١٩٤٨م حققت لهؤلاء الماسـون أشـياء كثيرة لا تحُصى عددًا. وكانـوا يذهبـون إلى حيـث يريدون خفيـةً واسـتتارًا. وكان أحمد صالح قورور مـن كبار زعماء الماسـون في تركيا، ويعمل كذلك في مستشـارية مجلس الوزراء، ولكنه كان منافقًا إلى الحد الذي جعله يقيم مأدبة إفطارٍ في شـهر رمضان لكبار رجال الدولة والحكومة في صحن مسجد أيوب بإسطنبول، وهو يعتقد أنه يخدع الناس ويغويهم ويقنعهم. إن الدور الخطير الذي اضطلعت به الماسونية العالمية في تركيا بين عامي ١٩٥٠ -١٩٦٠م، والمصائب والويلات التي جرتها البلاد،

(١) كان شـعار الماسـونية السـائد آنذاك يدعوا إلى أنه يجب على الماسـونية أن تعلن عن نفسـها في كل مكان، ولكن يجـب عليها في الوقت نفسـه ألا يشـعر بهـا أحـد. Mıchel fransa maşrık azanlığı içtimai – 29 ,s , den zabıtları 362 ,s ,1922 , وكانت هناك فائدة تذكر بالمبدأ الماسـوني، ويتبين هذا من اسـتخدام السرية المطلقة لبعض التنظيمات والتيارات المختلفة وما حققته من نجاح عظيم في هذا المضمار.

يذكرنا بالنكبات التي حلت علينا بسبب هذه الماسونية بين عامي ١٩٠٩ -١٩١٧م.[1].

طلبات إحاطة جديدة ذات صلة بالماسون وقُدمت إلى مجلس الأمة التركي:

ونتحدث في هذا الصدد عن طلبي إحاطة قُدما في عامي ١٩٤٩ -١٩٥٢م. وثمة طلب إحاطة ثالث قدمه إلى البرلمان حسام الدين آق موجي، عضو المجلس عن إسبرطة وعضو حزب السلامة القومي، وقدم هذا الطلب في ٢ أغسطس عام ١٩٧١م. أراد آق موجي توضيحًا من وزير الداخلية، وأشار في بيانه إلى النضال ضد هذه الماسونية التي تعد تيارًا متطرفًا مغاليًا وذات جذور خارجية، وضررها جسيمٌ مثلها في ذلك مثل الشيوعية. ثم أردف يقول: إن هذه الجمعيات الماسونية تسعى سعيًا حثيثًا إلى تمزيق أواصر الفكر القومي لأمتنا العزيزة وإفساد الوحدة القومية المتماسكة، كما تحاول خفيةً تخريب القيم القومية والمعنوية. وهي ذات جذورٍ تعمل خارج البلاد وتعتمد على أساس التنظيم اليهودي للعصر الوسيط. وإذا كنا حتى الآن نخوض صراعًا مع المنتسبين إلى هذه الجمعيات الماسونية والتيارات الضارة والدعاية المغرضة التي تضطلع بها ضد الحكومة، فإن ما يؤسف له أن القوانين الحالية لم تُطبق بحذافيرها على هذه الجمعيات. لقد بذل الماسون قصارى جهدهم حتى يكونوا طبقةً متميزةً داخل الدولة، ناهيك عن سعيهم الحثيث من أجل استمرار هيمنتهم وسيطرتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا. ولأجل هذا كان هؤلاء الماسون يرون ضرورة الإتيان بالمنتسبين إلى جمعياتهم كي يتبوءوا أهم المناصب وأعلاها في دواوين الدولة، ويعد هذا عملًا ضروريًّا ومشروعًا من أجل ضمان استمرار هيمنة الزمرة الحاكمة منهم وأن يكون لها الامتياز في الاعتداء على حقوق الآخرين.

وكان الدستور يحدد الامتياز لأي طبقةٍ وزمرةٍ بصورةٍ فعليةٍ وسريةٍ. أما فيما يتصل بالجمعيات الماسونية، فإنها كانت تعتمد على أسس الطريقة والمذاهب والدين التي ترمي إلى فساد الوحدة القومية والسياسة للدولة وتقويض بنيانها. ومن ثم، بات محظورًا تأسيس جمعياتٍ ذات أغراضٍ خفيةٍ أو فتح شُعبٍ لأي جمعيةٍ في تركيا يكون مركزها خارج حدود الوطن. ومن ثم، فإنني أقدم طلب إحاطتي هذا إلى وزير الداخلية الذي لم يخض حربًا مع هذه الماسونية التي تعد تيارًا مغاليًّا متطرفًا معتمدًا على اليهودية العالمية وله جذورٌ في الخارج، ويمثل خطرًا حقيقيًّا

(1) Gün –Çelikler , s , 45 – 47

وضررًا جسيمًا مثله في ذلك مثل الشيوعية. كما أطلب إلى المجلس الموقر بكل احترامٍ عرض هذا الاقتراح واستخدام التصويت.[1] وثمة طلب إحاطة آخر قدمه حلمي توركمان، عضو مجلس الأمة عن ولاية سامسون عن الحزب الديمقراطي، وكان هذا في ٤ أبريل عام ١٩٧٤م، وطلب ردًّا شفهيًّا من كل من وزيري العدل والداخلية كليهما.

وورد في طلب إحاطة بضعة أسئلة تدور حول هدف الماسونية وغايتها، وهل لها جذورٌ في الخارج أم لا؟ وهل جمعياتها تتبع القانون أم لا تتبعه؟ وهل تخضع لمراقبة المدعي العام للجمهورية، ولا سيما إذا كانت تعمل خفيةً أو لها جذورٌ في الخارج؟ وهل لها طقوس ونواميس وشعائر خاصةٌ أم لا؟ وطلب هذا العضو قائمةً بأسماء هؤلاء الماسون وعناوينهم. وثمة طلب إحاطة آخر قدمه في ١٦ يوليو عام ١٩٧٥م كل من محمد آلتين صوي عن ولاية قونية. وورد في مقدمة طلبهما كيف كان هؤلاء الماسون فضيحةً علنيةً في الصحافة العالمية، وكيف أحاطوا بالنظام الحاكم في فرنسا. ولم يكن الماسون وحدهم ذوي أنشطة ضارة مهلكة، بل شاركتهم في هذا النشاط المشبوه جمعياتٌ أخرى مثل Lions – Rotary – Bilderberg وغيرها من الجمعيات التي يكتنف نشاطها اللبس والغموض. ثم عرض هذان العضوان شرحًا مفصلًا عن خطر هذه الجماعات الماسونية فقالا:

إنها بمثابة تهديدٍ لوحدتنا القومية، وهي تمثل نماذج للتعاون الوثيق بينها وبين الشيوعية العالمية التي رأيناها أعظم خطرٍ يحدق بنا من كل مكانٍ. وقد حان الوقت لإماطة اللثام عن الأسرار الخفية لهذه الأنشطة الماسونية التي تمارس من وراء حجاب.

ومن ثم فلا سبيل إلى ترك مصير تركيا رهينةً لحماية أعضاء هذه الجمعيات السرية التي تخطط من أجل مصالحها الدولية. وإن الأمة التركية تنتظر بفارغ الصبر من البرلمان أن يمارس سلطاته ونفوذه ويكشف في وضوحٍ وجلاءٍ عن أنشطة هذه الجمعيات الماسونية. فقد أصبحت الماسونية نظامًا خفيًّا غامضًا حل محل النظام الواضح الجلي في إدارة الدولة، وأصبحت الإدارة الماسونية العالمية منذ عام ١٩٤٦م تحل محل الإدارة القومية، ولها تأثيراتٌ فعالةٌ في السياسة الداخلية والخارجية للأتراك على حدٍّ سواءٍ. وها نحن أولاء نقترح على المجلس فتح باب

(1) Masonluk Faaliyetler Üzerindeki Esrar Perdesi Kalkmalıdır , ankara , 1975 , s , 8 – 9

المناقشة باسم الحزب الديمقراطي حتى يتسنى تقديم معلوماتٍ للأمة التركية تؤكد الأضرار البالغة الناجمة عن نشاط هذه الجمعيات الماسونية.[1]

وقُدِّمَت هذه الاقتراحات للتصويت، ولكنها رُفضت بأصوات أعضاء الحزب الحاكم.

الماسونية وثورات عصر الجمهورية:

إذا تناولنا هذا الموضوع المعنون "الماسونية وثورات تركيا"، فإننا حينئذٍ يمكن أن نتحدث عن الأشياء الآتية:

الماسون في عصر الدولة العثمانية، واشتراك هؤلاء الماسون في كل الثورات التي اشتعلت منذ فرمان التنظيمات عام ١٨٣٩م، وكانت ترمي إلى إحداث تغييرٍ في نظام الحكم وصبغه بالصبغة العلمانية الخالصة. حتى إن هؤلاء الماسون كانوا في كثيرٍ من الأحيان يمثلون قوةً شديدة التأثير في هذا السبيل.

لقد تتبعنا سبيل الخط العلماني الغربي الذي كان بمثابة الأيديولوجية الرسمية لسياسة الحزب الواحد إبان عصر الجمهورية، وكان هذا الخط متوائمًا تمامًا مع شخصية الماسونية ومنهجها. أما الماسون الذين كانوا يهيمنون على شئون الدولة وسياستها، فإنهم بذلوا قصارى جهدهم لنقل هذا الفكر إلى الحياة العامة في كافة مظاهرها، مما جعلهم متحالفين مع الأيديولوجية الرسمية للدولة في فكرها وحركتها. ولهذا السبب، فعندما أُغلقت الجمعيات الماسونية في عام ١٩٣٥م، قال الماسون قولتهم المشهورة: "ليس هذا بالأمر العسير بالنسبة إلينا، فقد أصبحت مبادئ حزب الشعب الجمهوري وبرنامج الحكومة متوافقةً متوائمةً مع مبادئنا." إن غلق الجمعيات الماسونية في تركيا والأحوال التي أتت بها الحرب العالمية الثانية كانا قد مهدا الطريق لشعور الماسون بالفتور وفقدان الحمية والحماس تجاه الحزب الواحد، ولا سيما أن فرض ضريبة الممتلكات[2] على غير العناصر التركية قد أثارت سخطًا واشمئزازًا لدى هذه العناصر. ناهيك

(١) المؤلف السابق ص ٤ -٥

(٢) ضريبة الممتلكات: هي ضريبة خاصة تؤخذ مرة واحدة من المواطنين الأغنياء من غير المسلمين إبان سنوات الحرب العالمية الثانية، ولما كانت هذه الضريبة باهظة فإن كثيرًا من دافعيها لم يتمكنوا من أدائها، مما دفعهم إلى العمل في تشييد الطرق ومناجم الأحجار والمعادن وغيرها، ووصفت هذه الضريبة بأنها طامة كبرى، ثم أُلغيت بعد فترة قصيرة من الزمان.

عـن أن معظـم هذه العنـاصر كانت من اليهـود ويهود الدونمـة، وانحصرت طائفـة كبيرة من أولئك الماسـون الموجودين في الجمعيات الماسـونية. كان هذا سـببًا في تقديم الدونمة والماسون مسـاعدات فعالـة ومؤثرة إلى حركـة الانتقال الديمقراطي، وكان لهذه الحركـة الفعالة أثرها في وجود الأفكار الديمقراطية الحرة التي رأى الماسون أنهم يدافعون عنها.

ورغـم الانتقـال إلى الحيـاة الديمقراطيـة متعـددة الأحزاب في عـام ١٩٤٥م، فـإن الحزب الديمقراطـي حظـى بأغلبيـةٍ مطلقةٍ من الماسـون والدونمة على حـدٍّ سـواءٍ، وكان هو الحزب الحاكم طوال عشر سنواتٍ ١٩٥٠ -١٩٦٠م. وكانت هذه الحقبة الزمنية بمثابة العصر الذهبي للماسون في عهد الجمهورية. ورغم أن الدونمة والماسون أعلنوا أن هذه السنوات العشر كانت زمـن الحـزب الواحد، فإن غلق هذا النظام الحاكم للجمعيات الماسـونية لم يكن مستسـاغًا من الناحية الشـكلية أكثر من الأسـباب المعنوية، كما أنها خلفت أثرًا عميقًا من الحزن والأسـى في تاريخ الماسونية.

وقد اسـتفاد الدونمة والماسـون كلاهما من المناخ الديمقراطي الذي أتى به حزب الشـعب في تركيـا. وأصبـح الدونمة والماسـون يشـكلون اتحادًا ضـد الصحافة، وشرعا مـن فورهما في تأييد الحزب الديمقراطي لشـعورهم بالحنق والغيظ من فاشـية حزب الشعب الجمهوري إبان الحقبة الفاصلة للانتقال إلى الديمقراطية ١٩٤٥ -١٩٥٠م، واستمرا هذا التأييد إبان السنوات التـي كان فيهـا الحـزب الديمقراطـي هو الحـزب الحاكـم. وزادت حدة الاعتـداء على الحزب الديمقراطي بثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م. ويمكن القول إن الدونمة والماسـون كليهما كانا ضليعين في هذه الثورة. وكان الضابط أورخان أركانلي واحدًا من الذين اشتركوا في هذه الثورة، وكتب في مذكراته يقول فيها: "لقد قمنا بالثورة ونحن نقرأ الصحف. [1]

لقـد عـرض كل من الدونمة و الماسـون ضروبًا ثلاثة من السـلوك وقفـوا فيها ضد الحزب الديمقراطي تارة، ومؤيدين له تارة أخرى:

إن الدونمـة والبيروقراطيـون الماسـون: كانوا يؤيـدون الحزب الديمقراطـي الحاكم، وهم يشعرون بالغبطة والسرور.

(1) Orhan Erkanlı , Anılar , Sorunlar , Sorunlular , Baha Mat , İstanbul , 1972, s, 32

وقد تمتع الحزب الديمقراطي الحاكم بالتأييد البيروقراطي، ناهيك عن تمتعه كذلك بالتأييد الاقتصادي حتى النهاية. وقد سُميت حقبة الحزب الديمقراطي الحاكم بأنها حقبة الطفرات في مجالات الصناعة والتجارة والزراعة، مقارنةً بحقبة الحزب الواحد الذي سبقه، وهو حزب الشعب الجمهوري. فقد كان رأس المال الماسوني والدونمة ذوي تأثيرٍ قويٍ في كل من إسطنبول وإزمير، ولا سيما في مجالي التجارة والصناعة في تركيا إبان حقبة الحزب الواحد. وزادت هذه الهيمنة الرأسمالية واتسع نشاطها في فترة الحزب الديمقراطي. وأطلقت دولتنا على هذه الحقبة اصطلاح Sera Burguvazi. وقد ظهرت عندنا رغبةٌ عارمةٌ من أجل إيجاد برجوازيةٍ قوميةٍ إبان عصر الاتحاد والترقي، وذلك في إطار التشبه بالغرب وتقليدًا له. وتجلت هذه الرغبة على لسان رئيس الحزب الديمقراطي عدنان مندريس الذي قال: «سوف نُوجد في كل محلة مليونيرًا. لقد أتينا بالديمقراطية إلى هنا من أجل الغرب، ولم تزل البرجوازية قائمةً على أصولها. ونشعر بالحاجة إلى البرجوازية من أجل تحقيق الاستقرار للديمقراطية في تركيا.»

وكان بديهيًّا أن تظهر البيروقراطية في أوروبا نتيجة لتطبيق تكنولوجيا المخترعات العلمية التي جاءت مقرونةً بعصر النهضة والكشوف الجغرافية، ودون أن تلقى هذه البرجوازية تأييدًا من الدولة. ولم تستطع تركيا أن تعيش هذه الحقبة من الزمان؛ فلا يوجد رأس مالٍ لدى الشعب. وكانت الدولة هي صاحبة أكبر رأس مالٍ. ولسوف تتكون البرجوازية بنقل رأس المال من الدولة إلى الشعب. ولهذا السبب، سوف تظهر برجوازيةٌ مصطنعةٌ وليست طبيعيةً، ويطلق عليها حينئذٍ sera burjuvazisi، أي برجوازية الدفيئة. ويقال إنه لا توجد مقدرةٌ أو كفاءةٌ للعمل والاجتهاد عند الإنسان الأناضولي. وقد استفاد رأس المال في كل مكانٍ من إسطنبول وإزمير من عطايا الدولة وهباتها. وقد ظهرت عندنا علاقةٌ حميمةٌ بين الدولة والبرجوازية على خلاف ما هو موجودٌ في الغرب. وأدت هذه العلاقة إلى أن البرجوازيين عندنا أصبحوا أثرياء بفضل تأييد الدولة لهم. يجب أن تكون طبقتنا البرجوازية مستقلةً عن الدولة وتراقب تطبيقات الدولة المناهضة للديمقراطية. فإذا غضضنا الطرف عن مراقبة الدولة وحماية الديمقراطية، فإن الشعب والديمقراطية كليهما سيتضرران ضررًا بالغًا. وإن البرجوازي الذي يدافع عن الديمقراطية في الغرب يكون حينئذٍ قاتلًا للديمقراطية عندنا. ومن الممكن أن نجد مثالًا على هذا في الأحداث التي عاصرت الثورة الحديثة التي وقعت في ٢٨ فبراير عام ١٩٩٧م.

وقد ظهرت إمكانيات الإنفاق مقرونةً بالقدرة على العمل والحركة دون الحصول على هباتٍ من الدولة أو التحريض عليها أو أخذ سنداتٍ من الدولة. وتم كل هذا بفضل مشاريع التغيير التي أحدثها رئيس الوزراء تورغوت أوزال منذ عام ١٩٨٠م. وحل ما يعرف برأس المال الأخضر أو الإسلامي محل رأس المال الأناضولي. وفي الواقع، ولسوف ينشأ أصحاب رأس هذا المال أو البرجوازية القومية التي يُشتاق إليها في تاريخ الأتراك. أما البرجوازية sera Burjuvazi التي تضخمت وانتفخت... عن طريق الشراء من الدولة والبيع لها، فإنها لم تستطع استساغة رأس المال الأناضولي، حيث أدركت أنه منافسٌ لها. ومن ثم، أطلقت برجوازية sera على برجوازية الأناضول لقب البرجوازية الرجعية من أجل سحقها والقضاء عليها باعتبارها أثرًا من آثار أفكار ثورة ٢٨ فبراير ١٩٩٧م التي سلف ذكرها. أما الوجه الحقيقي لهذه الأفكار والأفعال، فكان يرى ضرورة القضاء على هذا الاقتصادي الذي يؤيد ثورات أولئك المعارضين للاقتصاد الرجعي الأتاتوركي العلماني. وعند الانتقال من البرجوازية sera إلى البرجوازية الحقيقية أو البرجوازية القومية، كان هذا بمثابة قطع الطريق عن برجوازية sera. وكانت تركيا إبان هذه الحقبة تعيش في نكباتٍ كثيرةٍ أصبحت وصمة عارٍ في تاريخها، ولا سيما منذ سنوات ثورة ٢٨ فبراير ١٩٩٧م.

ولما اشتدت سرعة فترة برجوازية sera إبان عصر الحزب الديمقراطي الحاكم، كان محورها يدور حول كل من مدينتي إسطنبول وإزمير، حيث كان هذا الضرب من الرأسمالية ذا شخصيةٍ ماسونيةٍ ومن يهود الدونمة وغيرها من العناصر غير التركية، وتبوأ مكانةً دائمًا بإزاء هذا الحزب الذي كان مسرورًا به.

١ - ١ -اتحاد وسائل إعلام الدونمة الماسوني قد شكَّل جبهةً ضد الحزب الديمقراطي وسلطاته الحاكمة، وكان على النقيض من النخبة الاقتصادية البيروقراطية الماسونية المهيمنة.

وهناك سببان لتكوين هذا الاتحاد، هما:

أ. رد الفعل الذي صدر من شخصيات الماسون والدونمة من ذوي المبادئ العلمانية: ووُصف رد الفعل بأنه أخرج عقل الشعب عن وعيه نتيجة المناخ الحر الذي جاء مع الحزب الديمقراطي الحاكم. ولما شُرع في القضاء على الضغوط الفاشية لحقبة الحزب الوحيد، حصل

المجتمع بنفسه على حرية التعبير، ولا سيما أن فترة الحزب الواحد وضعت نهايةً لمفهوم علمانية يعقوب هوليوك المؤسس الأول لهذه العلمانية، وشرع الحزب في الاتجاه نحو التطبيق الحقيقي للعلمانية بالمفهوم الأوروبي لها. ناهيك عن أن العلمانيين أدركوا حقيقة العلمانية التي تعني تدخل الدولة في الدين، مما خوَّف مفهوم العلمانية التي أسسها يعقوب هوليوك. ومن ثم كانت هناك رغبة في التراجع عن تطبيق العلمانية بين عامي ١٩٣٠ -١٩٤٠م بدعوى أنها تمثل تعويضًا عن علمانية يعقوب هوليوك. وقيل إن هذه العلمانية لم تستسغ إطلاق اسم رئيس الوزراء المسلم على عدنان مندريس. وإذا نظرنا إلى حقيقة الأمر، فإننا نجد أن عدنان مندريس لم يفصل شيئًا في موضوع الدين البتة، وكل ما فعله أنه غيَّر الأذان من التركية إلى العربية. واتجهت الحكومة في عام ١٩٤٧م إلى تلبية حاجة مجتمع حزب الشعب الديمقراطي إلى رجل الدين، ومن ثم أسرعت في عام ١٩٥٢م إلى تحويل مناهج الإمامة والخطابة إلى مدارس تحمل اسم مدارس الإمامة والخطابة. أما البيئة العلمانية التي كان العلمانيون والدونمة يمثلون أغلبها، فإنها لم تستطع استساغة ما أقدمت عليه الحكومة في هذا السبيل. ووضحت هذه العلمانية ما فعلته الحكومة بأنه بمثابة رموز للتعويض عن التخلف والرجعية، ولهذا السبب فإن البيئة العلمانية صبت جام غضبها على عدنان مندريس وأصدقائه. وكان مندريس قد راح ضحية للنزاع الأيديولوجي الذي ظهر إبان هذه الحقبة من الزمان.

ب. محور أمريكا:

رغم انتقال تركيا إلى الديمقراطية، فإن نفوذ إنجلترا ودورها الذي اضطلعت به في الدولة العثمانية إبان القرن التاسع عشر ما لبث أن انتقل إلى أمريكا عقب الحرب العالمية الثانية، ومن ثم أصبحت أمريكا حاملةً لمظلة الحماية عن تركيا مثل إنجلترا، متعللةً بأنها تحمي تركيا من الخطر القادم من الشمال، وأصبحت تركيا محددةً لأشياء كثيرة.

وكان الحزب الديمقراطي في تركيا يتمتع بتأييد أمريكي إبان السنوات الأولى من حكمه في تركيا، بيد أن أمريكا شرعت في تخويف رئيس الوزراء عدنان مندريس بإظهار إشارات واضحة تدل على خروج المحور الأمريكي الموجود في السياسة الداخلية والخارجية لمندريس، وقطعت أمريكا معوناتها وتأييدها من أجل إخضاع تركيا وإذلالها. ولا سيما أن الشيطان الأمريكي شرع

في ترهيب مندريس وإلقاء الرُّوع في قلبه بسبب ميله إلى الدول العربية وإلى روسيا السوفيتية.

وسرعان ما اتُّخذ قرار بالإطاحة بمندريس، وأسرعت أمريكا بطلب التأييد من الماسون والدونمة اللذين كانا يسيطران على زمام الأمور في تركيا، ومن ثم حصلت على ما تريد. ولا سيما أن الماسونية وجدت القدرة على ممارسة نشاطها مرة أخرى في عام ١٩٤٨م بفضل قوة أمريكا وجبروتها. ومن ثم فإن الماسونية ستُدفع دين الفضل والمعروف الذي أسدته لها أمريكا. وإذا كانت إنجلترا قد استخدمت الماسونية واستثمرتها في تحقيق أغراضها الاستعمارية في الدولة العثمانية، فإن أمريكا أرادت الاضطلاع بالدور نفسه إبان عصر الجمهورية.

الماسونية وثورة ٢٧ مايو عام ١٩٦٠م:

كانت هناك إشاراتٌ دالةٌ جليةٌ تؤكد أن هناك طائفةً من الدونمة والماسون كانوا ضالعين في تأييد هذه الثورة التي سلف ذكرها. ويتجلى هذا التأييد على لسان الماسوني أحمد يالمان الذي كتب مقالةً في صحيفة «الوطن» في اليوم التالي لهذه الثورة، استهلها بقوله: «هذا اليوم هو يوم جديد، وكأنني وُلدت من جديد». وكانت حكومة الحزب الديمقراطي وأعضاؤها هم شيطان هذه الثورة ومدبرها. أما الجنود المشتركون في هذه الثورة، فكانوا يتميزون بغيظٍ وحنقٍ في الأيام الأولى لها، إذ أسرعوا من فورهم بإلقاء القبض على طائفةٍ كبيرةٍ من أعضاء الحزب الديمقراطي وألقوا بهم في غياهب السجون، سواء كانوا من الماسون أو من غيرهم، وأخذوا في استجوابهم. ولكن الماسون تسللوا بمهارةٍ من بين ثنايا هؤلاء المسجونين، وحققوا نجاحًا عظيمًا في إدارة هذه الثورة وتوجيهها.

كانت هناك طائفةٌ من الأعيان البارزين الماسون على رأس مؤسسات الحزب الحاكم الذي أطاحت به ثورة ٢٧ مايو عام ١٩٦٠م.

ولكن هذا يجب ألا يجعلنا نسلم بأن الماسونية أخفقت في الدور الذي اضطلعت به في هذه الثورة في تركيا، بدءًا من أصغر حادثةٍ وما تبعها من أحداثٍ جسام. ويؤكد هذا أن الماسون قد تبوَّؤوا المناصب الرئيسية في التنظيمات الأولى التي اضطلعت بتأسيس ثورة ٢٧ مايو عام ١٩٦٠م. وكلما تطورت الأحداث، يتبين لنا أن الناس الذين أنقذوا من هذه الأحداث بسهولةٍ ويسرٍ هم أولئك المنتسبون إلى الحزب الحاكم الذي أُطيح به في هذه الثورة. وإذا كانت

الحكومة الأخيرة للحزب الديمقراطي تضم كثيرًا من الوزراء الماسون، فإن أول حكومةٍ مدنيةٍ أُسست عقب هذه الثورة كانت تضم كذلك طائفةً كبيرةً من الوزراء الماسون. كان هؤلاء الماسون يتعقبون جيدًا كل المراحل، سواء أكانت قبل الثورة أم بعدها، ولا شك أنهم كانوا حريصين كل الحرص على الاستفادة الجمة من هذا الوضع ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا. كما كانوا يعرفون كذلك كيف يستفيدون من التجارب التي أعطتها لهم الأيام الخوالي. كان الماسون حريصين على أن يكون لهم رجالٌ في داخل كل مؤسسةٍ حكوميةٍ يمكن استخدامهم عند الضرورة، وسرعان ما ألفوا واتبعوا سبيل كل التغيرات الاجتماعية والسياسية. وأعدوا أنفسهم بصورةٍ يمكن الاستفادة منها جيدًا من أحداث الفوضى والاضطرابات. فلم يكن هناك شيءٌ محظورٌ عليهم، ولا يوجد أمامهم بابٌ موصدٌ أو مستحيلٌ يتعذر عليهم. وقد عبرت صحيفة «إسطنبول الجديدة» في تصريحٍ لها صدر في هذا الموضوع، حيث كتبت تقول: أُغلق مجلس الأمة التركي عقب ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م، وامتدت الأيدي إلى البنوك، واعتقلت زمرةٌ كبيرةٌ من أعضاء البرلمان والوزراء، رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية والصحفيين وقيادات الشرطة. ولا وجود لحرية الاجتماعات ولا لحرية الصحافة أو حرية الكلمة. ولكن في اللحظة نفسها، عُقد في إسطنبول مؤتمرٌ دوليٌ ماسونيٌ، وجاء الماسونيون من ذوي المناصب الرفيعة من كل دولةٍ، ومعهم رئيس الإدارة العرفية في إسطنبول والحاكم العسكري [1] لها، وطبقوا جميعًا برامجهم بكل راحة ويسر وبالإمكانيات التي تيسرت لهم. [2].

وكتب إليها في «سوسيال» يقول: «تم تثبيت الماسون الجدد وإجلالهم في الوظائف العليا للبيروقراطيين الذين تمت تصفيتهم، حتى تم إدخال طائفةٍ من القضاة الماسون في ديوان العدالة العليا ومؤسسة الاستجواب العليا. وإذا كانت هناك طائفةٌ من الوزراء الماسون مثل عاكف أيى دوغان وسليم صاربر وإحسان جورسان ممن عملوا في حكومات عصمت إينونو ولم يتبوؤوا مناصب عقب انتخابات ١٩٦١م، فإن هذا مصدرٌ آخر للهو والتسلية. ولا جرم أن ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م كانت ضربةً غير متوقعةٍ ضد المكاسب التي حققها الماسون بعد حينٍ، ومن ثم

(١) كان رفيق طوغله هو والي إسطنبول في أثناء ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م، كما كان شفيق اره ن سو رئيسًا لبلدية إسطنبول، كما كان فخري أوزديلك رئيسًا لإدارة الأحكام العرفية، وكل هؤلاء من الماسون. (سوسيال: ص: ٣٩٢).

(2) Gün –Çelikler , s, 55 – 56

كان من الصعوبة استساغة هذه الثورة والتكيف معها. وقد أدى هذا إلى أن الجمعية الماسونية في تركيا قد مرت بأيامٍ حرجةٍ إبان الفترة التي أعقبت ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م. وقد وجب اتخاذ إجراءاتٍ لافتةٍ للانتباه ضد الجمعية الماسونية المتحدة المكونة من ٣٦ ضابطًا ثوريًا، والتي أسسها أولئك الماسون الذين تمت تصفيتهم ممن كانوا يعملون ضمن أعضاء هيئة التدريس بالجامعات. أما الجمعية الماسونية الكبرى في تركيا، فقد قررت نقل مقرها من أنقرة إلى إسطنبول بعد فترةٍ وجيزةٍ من ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م. وطُبق هذا القرار على عجل. وأما الأساتذة أحمد صالح قورور وفطين رشدي زورلو [١] وجلال أمره، فقد محُيت أسماؤهم من السجل الذي يضم أسماء زعماء الماسونية، وحُوكموا بوصفهم من الماسون. وإذا قسمنا الوظائف الماسونية الجديدة، فإننا نرى أن الماسوني كمال الدين آياق قد تبوَّأ الدرجة الثالثة والثلاثين في الجمعية الماسونية الكبرى في تركيا، كما انتُخب الأستاذ ناقد اكه من الوظيفة السكرتارية الكبرى في الجمعية. أما الدكتور الجيولوجي نجدت أجه ران، الكاتب الكبير للهيئة المؤسسة للجمعية الدائمة، فإنه ما لبث أن أصبح رقيًا ووصل إلى منصب الوزير الأول». وفي الأيام التي أعقبت هذه الاجتماعات، جاء إلى إسطنبول الأستاذ «Froessel»، الرئيس السابق للجمعية الماسونية الكبرى في نيويورك، حيث درس حالة الجمعية الماسونية في تركيا، وعاد إلى دولته وقدم تقريرًا عن انطباعاته الإيجابية حول هذه الزيارة [٢]، وبعد ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م، كان هناك سبعة وزراء ماسونيون في حكومة جورسال الأولى التي شُكلت في ٣٠ مايو ١٩٦٠م. وفي حكومته الثانية المشكلة في ٥ يناير عام ١٩٦١م، انضم إلى الحكومة ثلاثة وزراء ماسون، كما كان نصف الوزراء الموجودين.

وتظهر هيمنة الماسونية وسطوتها بجلاء في حكومات حزب العدالة وحكومة رئيس الوزراء سعاد خيري أورجوبلو الذي كان ماسونيًا.

(١) ذكرت بعض المصادر أن فطين رشدي زورلو لم يكن ماسونيًا، وقيل إن أخر كلام تفوه به وهو في ساحة الإعدام أنه كان سعيدًا للغاية لكونه ليس ماسونيًا Gün –çelikler –s – ٥٤ – ٥٥ وكان فطين رشدي زورلو ابن رشدي بك أحد مساعدى السلطان عبد الحميد الثاني، كان بطلًا في حل النزاع العسكري لقصة العقبة التي اشتدت أومتها بين إنجلترا وتركيا في الفترة من ١٠ مايو الى ١ أكتوبر عام ١٩٠٦م، وأدت نجاحاته العسكرية إلى موافقة الإنجليز على طلبات السلطان عبد الحميد. ولما أعدم هذا الرجل ثارت شكوك حول إعدامه، وقيل إن الإنجليز أخذوا بثأرهم من أبيه فأعدموا ولده.

(2) Sosyal , , 316 – 317

تأسيس حزب العدالة

أحدثت ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م كراهيةً تجاه الحزب الديمقراطي، مظهرةً إياه على أنه حزبٌ مذنبٌ آثمٌ خائنٌ للوطن. ولما أُغلق هذا الحزب، ظلت الزمرة العريضة المنتخبة منه بدون حزبٍ يضمها. أما حزب الشعب الجمهوري الذي يتزعمه عصمت إينونو، وحزب الأمة القروي الجمهوري الذي يتزعمه عثمان بلوك باشي، فلم يمسهما أحدٌ بأذى لكونهما حزبين غير مذنبين. ولكن هذين الحزبين لم يتسنَّ لهما ملء الفراغ الذي خلَّفه الحزب الديمقراطي، مما دفع أعضاءه إلى البحث عن حزبٍ جديدٍ يمثلهم في الانتخابات حتى تستمر رسالة الحزب. ولأجل هذا، لم يستطع أي حزبٍ ديمقراطيٍ مدنيٍ أن يجرؤ على الاستمرار عقب المجلس السياسي الثوري. وفي النهاية، تم العثور على حلٍ وسطٍ، حيث سيُؤسس الحزب من بعض العسكريين. وهكذا ستتحطم حدة غضب الجند في هذه الحرب الجديدة. ولأجل هذا، كان الجنرال المتقاعد رجب جوموش بالا، أول رئيسٍ لأركان القوات المسلحة في ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م. لبى الجنرال رجب جوموش بالا الدعوة في عشر ثوانٍ مقابل الاتيان به لتولي رئاسة أركان القوات المسلحة، ولكنه ما لبث أن أُحيل إلى التقاعد بعد ثلاثة أشهرٍ من توليه منصبه. ولهذا السبب، كان "جوموش بالا" قد ضاق ذرعًا بجند الثورة. ولكن أعضاء الحزب الديمقراطي استفادوا من غضب هذا الجنرال وحرضوه على المضي قدمًا في غضبه. ووجب في هذه الحقبة الزمنية استئذان المجلس الثوري، ولا سيما في الأشياء المهمة مثل تأسيس حزبٍ سياسيٍ. أما الجنرال "جوموش بالا"، فقد جاء من إسطنبول إلى أنقرة والتقى بزعيم الثورة الجنرال جمال جورسال، الذي أذن له بتأسيس الحزب قائلًا له: «وليتمتع هذا الحزب بتشجيعنا ومساعدتنا». [1] ولكن هذا الإذن كان مشروطًا بشروطٍ، حيث كان هناك اتفاقٌ سريٌ يقضي بأنه لا يوجد تعويضٌ للشيوعية والتخلف والرجعية، ولن يُسأل هذا الحزب عن محاسبة أعضاء ثورة ٢٧ مايو، ولن يطلب العفو عن أعضاء الحزب الديمقراطي المحكوم عليهم في جزيرة ياصى "Yassi". [2] وهكذا

(1) Şevket Süreyya Aydemir , İhtillalin Matığı ve 27 Mayıs ihtilalı , Remzi K , evi İstanbul , 1976 , s , 407

(2) Cüneyt Arcayürek , yeni Demokrasi yeni Arayışlar , Bilgi Y , evi , Ankara , 1984 , s , 210

ظهـرت فترةٌ راحلةٌ كان يبحث عنها الماسـون الذين كانوا يهيمنون عـلى هذا الحزب إبان حقبة الحـزب الديمقراطـي. وكان يُنظـر إلى الجنرال جوموش بـالا بعين الثقة والأمانة، وسـيذهب هـذا الرجل وسـيُؤتى بمن يحل محله من الماسـون. كما أن الهيمنة الماسـونية الموجودة في الحزب الديمقراطي سوف تساعد على استمرار هذا الحزب.

قُـدِّم الدسـتور الجديـد لخـداع الشـعب، وتمـت الموافقة عليـه، وفُتـح الطريق أمـام إجراء الانتخابـات العامـة في ٦ أكتوبـر عـام ١٩٦١م. وصدر قانـون انتخاب الأحزاب السياسـية، وكان الـصراع الحقيقـي في هذه الانتخابـات بين كلٍ من الحزب الديمقراطي وحزب الشـعب الجمهـوري. ورغـم السـلوك الذي سـلكته اللجنة السياسـية ضد حزب الشـعب الجمهوري وكل الحيل الانتخابية الماكرة، فإن الحزب الديمقراطي فاز بنسـبةٍ كبيرةٍ مقارنةً بحزب الشـعب الجمهوري حيث حصل حزب الشـعب الجمهوري على نسبة ٣٦,٣٪، والحزب الديمقراطي عـلى نسـبة ٣٤,٨٪ من الأصـوات. وتظهر هذه النسـبة أن الحـزب الديمقراطي سـيكون هو الحزب الحاكم في الانتخابات العامة التي ستُجرى في المستقبل.

ولا جرم أن هذه الأحداث التي حدثت قد فتحت شهية الماسون وخففت من مناخ الثورة. وكان يجـب أن يذهب الجنرال جوموش بالا، وأصبح بعيـدًا عن منزله، وانتشرت الأخبار بأنه توفي إثر أزمةٍ قلبيةٍ ألمت به في أحد الفنادق في إسـطنبول. وأنا أرى أن هناك شـكوكًا تحوم حول واقعة موته. يجب عمل بحوث وجهود جادة تتعلق بهذا الموضوع.

كيف تم إعداد المناخ لتولي سليمان دميرال رئاسة الوزراء؟

يـوم في أعقاب ثورة ٢٧ مايـو ١٩٦٠م، توفي فجأةً الرئيس العـام لأحد الأحزاب المنتخبة التي كانت شـديدة القرب من السـلطة الحاكمة. وحل محله مساعده البروفيسور الدكتور سعد الديـن بلـج. وقال أعضاء الأحزاب المعارضة الأخرى إن هذا البروفيسـور هو العضو الوحيد الـذي يصلح لتولي منصب الرئاسـة العامـة للحزب. وأن هذه الأحداث التـي تطورت تطورًا شديد السرعة ما لبثت أن فتحت الطريق للأكاذيب والمغالطات بشكلٍ أثار تأثيرًا أشبه بالصدمة العنيفة المؤثرة. فقد جاء لرئاسة الحزب رجلٌ يتميز بفرقٍ واضحٍ، وهو واحدٌ من الأعضاء الذين سُلِّف ذكرهم في تأسيس الإدارة العامة للحزب. وإذا ما نظرنا إلى هذه الواقعة من الخارج، فإنه

لا يبدو فيها جانبٌ ملغزٌ خفيٌ يذكرنا بالأفلام البوليسية. وأن الذين أدلوا بأصواتهم هي وفودٌ جاءت من أنحاء الوطن، وأُجريت الانتخابات وفق الأسس والقواعد الديمقراطية. وتحدث الأعضاء وقُدمت الأوراق الرابحة في اللعبة الانتخابية. حتى إن العضو الغائب جاء بصورةٍ متطفلةٍ أثناء الانتخابات حتى يُعرف ويشتهر أكثر فأكثر في التشكيل الرسمي للحزب. وكيف كانت النتيجة؟ لقد ظهرت بشكلٍ حيَّر كل الناس. وقد أثار هذا الموضوع جدلًا واسعًا في الصحافة وفي حياتنا الفكرية وبين ثنايا الشعب على حدٍ سواء. كانت هناك مزاعمٌ وادعاءاتٌ واتهاماتٌ، أو بتعبيرٍ آخر، فها هي ذي حقيقة هذه الواقعة: كان سليمان دميرال يعمل في المديرية العامة لشؤون المياه طوال فترةٍ طويلةٍ في حكومة عدنان مندريس. وكان دميرال شابًا فتيًا ذا كفايةٍ متميزةٍ. وبعد عام ١٩٥١م، اشترك دميرال في النشاطات المؤثرة الماسونية التي تطورت تطورًا مطردًا في أنقرة إبان تلك الحقبة من الزمان. ولما رأى زعماء الماسونية وقادتها تلك المقدرة الفذة التي يتمتع بها دميرال، أسرعوا من فورهم وضموه إلى إحدى الجمعيات الماسونية، وقيد اسمه تحت رقمٍ مسلسلٍ ٢٤٣. وكانت هذه الجمعية الماسونية قد شُكلت في ٣١ أكتوبر ١٩٥١م على يد يوكسك مهندس فكرت جلتككجي. وتزعم رئاستها من بعده يوكسك مهندس مسعود كون، ثم إلهامي آتايق، ثم المحامي أوقات مظفر أوزتونج. وكان كلٌ من يوكسك مهندس رضا بركه والدكتور الجيولوجي نجدت أجه ران أستاذين في هذه الجمعية الماسونية. كان سليمان دميرال غلامًا قرويًا، وعمل في حكومتي مندريس والحزب الديمقراطي. ولما كان دميرال شابًا فتيًا يحظى بالثقة ويُعوَّل عليه، فإنه أُسندت إليه وظائف مهمة ذات شأنٍ عظيمٍ. وتطورت الأحداث متتابعةً بعضها في إثر بعضٍ. ولما أُسس حزب العدالة، وجد دميرال نفسه في صفوف هذا الحزب. وكانت حالته المادية شديدة الرخاء والثراء إبان تلك الحقبة من الزمان، وعمل ممثلًا لتركيا لدى إحدى الشركات الأمريكية، كما اشتغل كذلك بأعمال المقاولات. وكانت قدرته على الجدال والنضال وحالته المادية الخاصة سببًا في بزوغ نجمه في تلك الأيام. ولكنه لم يستطع أن يبين انتسابه لأي حزبٍ لا يتمتع المنتسبون إليه بالضمانات القانونية الكافية. وتعزو بعض الدوائر التي نبحث في سبيل إحجامها عن الانتساب لأي حزبٍ إلى نواياه الماسونية التي كان يخفيها ولا يفصح عنها. أما الماسون، فقد فكروا في وجوب وجود دميرال الماسوني داخل المؤسسة الحاكمة العامة لحزب العدالة، وشرعوا في ترويج الدعاية له بين ثنايا الشعب. وما

لبثت الأحداث أن تطورت تطورًا مطردًا. وكانت وفاة الرئيس العام لحزب العدالة والتفكير في الإعداد لمؤتمرٍ كبيرٍ لهذا الحزب قد عجَّلا بعقد هذا المؤتمر. ولما اشتدت حدة الدعاية بين ثنايا الشعب رافعةً شعار "مندريس الثاني" ونعني دميرال، نُشرت له إعلاناتٌ كثيرةٌ بواسطة الصحافة تحت إشراف ومراقبة الأوساط الماسونية، ولا سيما في المراكز الكبرى للدولة. وفي تلك الأثناء، كانت الأوساط اليسارية تؤيد بصراحةٍ تامةٍ هذا المهندس الشاب، معللةً بأن العضو الآخر للحزب يمينيٌّ متطرفٌ وأصبح ضعيفًا بجانب المنتسبين إلى الأحزاب الأخرى.

حرص الماسون على توفير كل السبل الممكنة من أجل أن يستجيب المؤتمر الكبير لحزب سليمان ديميرال. وتجاوز دميرال المرحلة الأولى من الانتخابات، والآن يتم إعداده لتولِّي السلطة الحاكمة. ولم يبقَ إلا مسألة تنشئته وتربيته ليكون رجل دولة. ولسوف يكتب المؤرخون في القريب التاريخ السياسي لتركيا، وهم ولا شك سوف يعثرون على وثائق كثيرة في هذا الموضوع. ولسوف يشاهدون بحيرةً وذهولًا كيف تم ضبط وإحكام الفترة ما بين عامي ١٩٦٣ -١٩٦٤م من أجل تحقيق هذا البرنامج الانتخابي. ولم ينفذ الماسون هذا البرنامج من أجل سليمان دميرال فحسب، بل نفذوا البرنامج نفسه من أجل بعض الرجال ممن هم في مناصب رفيعة متميزة. وقد جاءت حكومات ائتلافية متعاقبة في إثر بعضها بعضًا، تعاقب عليها كثير من رؤساء الوزارة. وثمة أقسامٌ متميزةٌ من البرنامج الانتخابي بذلت قصارى جهدها لمساعدة دميرال من أجل تولي منصب رئيس الوزراء. وهذا ما حققته مؤسسات الدولة التي أعدت المناخ السياسي والاجتماعي استعدادًا للانتخابات العامة. وأُجريت الانتخابات، وهكذا كانت الدعايات الانتخابية واحدةً من أهم الأحداث للماسونية في تركيا. ولما ظهرت بعض الوثائق الشاهدة على ماسونية دميرال على يد طائفةٍ من منافسيه ممن يعملون خفيةً في الرئاسة العامة للحزب الديمقراطي، أحس المحيطون بدميرال بضرورة اتخاذ التدابير والاحتياطات اللازمة. وسوف يكون هذا سببًا في أن كل ما اهتمت به منذ الانتخابات سوف يذهب سدىً، ناهيك عن أن الجهود التي بذلوها والآمال العريضة التي كانوا يحلمون بها قد ذهبت أدراج الرياح. وقد وُزعت وثيقةٌ تعلن أن دميرال لم يكن ماسونيًا، وأنه تلقى الأوامر من إحدى الجمعيات الماسونية. وقد وُزعت هذه الوثيقة على مؤتمر حزب العدالة من أجل منع التأثير السلبي الذي سوف يتمخض عن انتخابات هذا الحزب. ولا سيما أن دميرال رفض التهم الماسونية، مخاطبًا

الوفود الانتخابية من فوق المنصة وقال إنه ليس ماسونيًا. وكثرت الوثائق التي قدمتها الجمعية الماسونية ووُزعت على كل الوفود والهيئات الانتخابية. ونجحت الخطة الموضوعة، وانتُخب دميرال رئيسًا عامًا للحزب. (١)

إن فترة الراحة التي أتت بها ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م إلى حزب العدالة سوف تنتهي في يومٍ من الأيام. ولم يقف الحزب خاوي الوفاض إبان هذه الفترة الزمنية، بل تم الشروع في البحث عن خلفٍ أمينٍ لهذا الحزب. وكان لزامًا أن يكون هذا العضو ماسونيًا. ومن ثم فإن أنسب عضوٍ يخلف مندريس هو سليمان دميرال، مدير شركةٍ. وكان هذا الوضع على ما يرام بالنسبة إلى المدنيين. وكان يجب إقناع اللجنة السياسية للحزب. وكان هدف ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م هو جمال جورسال، رئيس الجمهورية ورأس النظام الحاكم. وإذا تم إقناعه بما سبق من أجل دميرال، فلم تبقَ ثمة حجةٌ في هذا السبيل. ونجح في هذا الإقناع أولئك الماسون الذين يحيطون بجمال جورسال من كل جانب. وأكرهوه تدريجيًا على قبول دميرال. وفي النهاية، أكره الماسون عضوية الرئاسة العامة لحزب العدالة بالموافقة على دميرال. وإن جهاد بابان، عضو حزب الشعب الجمهوري، يمكن أن يكون شاهدًا في هذه الأحداث وأسبابها وحقائقها. ويتحدث عن الحوار الذي دار بينه وبين رئيس الجمهورية جمال جورسال أثناء زيارته له: قال جورسال: «أنت تراني متعبًا، خائر القوة، لا قِبَل لي بالحركة. لو علمت أنك تستطيع أن تجعل إينونو رئيس جمهورية من بعدي، فوالله سوف أترك مكاني وأذهب إلى حال سبيلي. ولكن هذا متعذر، فكيف حال صحة إينونو؟ إنه بلغ من الكبر عتيًا. ولزام عليكم أنتم أيضًا أن تجهزوا رجلًا شابًا فتيًا ليحل محله. فلماذا بقاسم كولك وكان هو السكرتير العام بحزب الشعب الجمهوري؟ إنه رجل خبر الدنيا ويعرفها، ويعرف لغات أجنبية، ورجل يتمتع بالحيوية والنشاط. وكيف يتأتَّى لكم أن تكونوا في سدة الحكم والخلافات بينكم لا تزال قائمة؟ فانظر، فها هو ذا حزب العدالة سوف يعقد مؤتمره... فلو أصبح دميرال رئيسًا لحزب العدالة، فإننا سنحل كل مشاكلنا.

(١) كان حب إينونو بمثابة تأييد للجنة السياسية لثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م، ولا جرم أن هذا الحب قد سهل الحركات الفكرية لهذه الثورة، حتى إنه أطلق على إينونو لقب الزعيم المعنوي للثورة، وقد قال جورسال لإينونو في أول يوم للثورة: يا سيدي، أنا تحت إمرتك. (بابان ، ص: ٢٦٧) حتى إنه قيل إن جورسال قال لإينونو أيضًا: سيدي الموقر، إن أمرك بالنسبة لنا هو دائمًا أمر نبي. (S süreuya: aydemir: iknci adam .G 111.Remzi .kevi .Ist 1975:s,470).

وسـأبذل قصارى جهـدي حتى يصبح دميرال رئيسًـا للجمهورية. ولـو نجحت في جهودي، فلسوف أنعم بالطمأنينة وراحة البال. إنه رجل مثقف مستنير، ولا يلتفت إلى الغلو ولا يعبأ به، وليس وسيلةً في يد الديمقراطيين. إنه رجل خبر الدنيا وعرفها. ولسوف ترى حينئذ أن حزب العدالة سوف يدخل الطريق المستقيم، وسوف لا تلتفت عيناي إلى الوراء».

لقد اسـتمعت من الرئيس جورسـال لأول مدحٍ يتعلق بدميرال في طريق العمل السـياسي. وكنت في الواقع حتى هذا الوقت لا ألمُّ بكثيرٍ من المعلومات بشأن سليمان دميرال، حتى إن جهة المبالغـة بحقـه لم تكن قويةً في الأيام الغامضة التي جـاءت عقب انتخابات عام ١٩٦١م ويعني بهـذا أولئـك المحافظون القوميون الذين كانوا في حزب العدالة في ذلك الإبان. ولهذا السـبب، فقد سـمعت أن دميرال تخلى عن إدارة الحزب. ولكن حقًا يا إلهي، أين عرف جورسـال سليمان دمـيرال؟ وكيف أصبح صاحب آراء جميلة بهذا الحد؟ ثم سـألته قائلًا: «هل عرفته من كثب؟» فـرد قائـلًا وهو يهز رأسـه: «نعـم، عرفته». ولم أكـن أجلس فارغًـا، وعلمت أنني أسـتجوبه. واستمر في حديثه بنفسٍ متهدجٍ:

«حتى أنني سـوف لا أغلق عيني طلبًا للراحة في هذه الحياة، فأنا شديد الخوف من الرجعية والتخلف. وكلما ضيَّق حزب العدالة الحصار، فإنه حينئذٍ يحرض الرجعية ويشجعها. وقد ظل الجنرال جوموش بالا ضعيفًا لا حول له ولا قوة، وظل لعبةً في يد رجالات الحزب وساسـته. وإذا تولى رئاسـة حزب العدالة إنسـانٌ علمانيٌ متعلمٌ في أمريكا ويعرف عدة لغات، فإن الدولة حينئذٍ تتحرر. إنني لا أشك في أتاتوركية دميرال، إنه رجل شاب فتيّ.

وانظر، إن أعضاء حزب العدالة بحثوا ونقبوا عن رجلٍ يصعد بهم إلى برِّ السلامة والأمان. إنه شـابٌ في الأربعين من عمره، ومسـتقبله مزدهرٌ مشرقٌ. ولكنك يـا جهاد بابان تقف مُصرًا بعناد وتقول إنني أريد عصمت إينونو رئيسًـا لحزب العدالة. كلا، فليخرج من بينكم شـخصٌ آخر لقيادة الحزب، وليكن هذا الشخص صاحبًا لحزب الشعب».

كان جورسـال يأخذ نفسـه بصعوبةٍ وهو يسـعل. وكنت شـديد الولع بحديثه. حقًا، كيف أسـس جورسـال علاقةً وثيقةً بحزب العدالة؟ كان يستطيع القول: «إنني حاولت كثيرًا وقلت فليكن دميرال رئيسًا لحزب العدالة».

وقـد توصلنـا إلى بعض الحقائـق عن طريق البحـث والتحري بعـد المضبطة التـي أظهرها دميرال في المؤتمر والتي ينكر فيها صلته بالماسونية. وقد كان المرحوم ناصر زيتين أوغلو صديقًا حميمًا لنا وسـكرتيرًا عامًا في حكومة جورسـال، وكان رغم هذا ماسـونيًا. وكان يعرف دميرال بهذه الصفة الماسونية، كما كان يُعرف جورسال بكل صدقٍ وإخلاصٍ وحميميةٍ.

وتحقَّق ما تمناه جورسـال. وهزم دميرال سـعد الدين بيلجيـج في الانتخابات العامة لحزب العدالـة. وجلـس على كـرسي رئيـس الأركان «جوموش بـالا» في البرلمان. وبعد فـترةٍ، أطاح دميرال بحكومة إينونو معطيًا الصوت الأحمر لحزب الشـعب الجمهوري أثناء المناقشـات التي دارت حول الميزانية. واكتفى دميرال بمنصب مساعد رئيس الوزراء في الحكومة الائتلافية التي شكلها سعاد خيري أورجوبلو. وعمل رسالةً علميةً حول منصب رئاسة الوزراء. (١)

ولم يكن ناصر زيتين أوغلو وحده هو الماسـوني الوحيد الذي فُرِض على جورسال، بل كان آجاشي سـن، مسـاعد جورسـال، ماسـونيًا أيضًا ومفروضًا على جورسـال. ولا جرم أن هناك أناسًا آخرين دخلوا الماسونية إبان هذه الحقبة من الزمان. ولم يكتفِ دميرال بموافقة جورسال، بل التقى بأعضاء اللجنة السياسـية للحزب من أجل الحصول على موافقتهم. وبدون الأسـتاذ أورخـان أركانـلي عـن هـذا في مذكراته فيقول: «لقـد قدَّمنا لـه خدماتنا في الانتخابـات العامة لرئاسة الحزب وتناولنا الطعام معًا». (٢)

وبديهـي أن يلتقـي دميرال بأعضاء مجلس الأمـة: «كان دميرال يقول: لقـد التقيتُ بأعضاء مجلـس الأمة في الاجتماع الـذي عقده عضو لجنة الاتحاد القومي في منزل تورجوت حبه، عضو

(1) Sadettin bilgiç , Hatıralar , Boğaziçi Yy , İstanbul , 1998 , s , 133

(٢) مُنـح حق عضوية البرلمان مدى الحياة الى ضباط اللجنة السياسـية التـي قامت بثورة ٢٧ مايو عام ١٩٦٠م وذلك بموجب دسـتور ١٩٦١م ، وبفضل هذا الدسـتور اسـتفادا بهذه العضوية خمسـة عشـر عضوا من أعضاء اللجنة السياسـية ، وهذا الوضع أصبح متناقضا مع الديمقراطية ، ولما ثم حل المجلس الجمهورى بثورة ٢ سـبتمبر عام ١٩٨٠م ألغى هذا الوضع من تلقاء نفسه .

البرلمان عن مدينة أنقرة. [١] ولسوف يتسنى له تأجيل الحقوق السياسية لهؤلاء الأعضاء [٢]، أما سعد الدين بيلجيج، منافس في انتخابات الرئاسة العامة للحزب، فسوف يُستخدم في موضوع إعادة الحقوق السياسية». [٣] كان المدنيون والعسكريون على أهبة الاستعداد من أجل دميرال. ولم يكن هذا الاستعداد كافيًا. لقد كانت دولتنا منذ مائة وخمسة وعشرين عامًا ١٨٣٩ -١٩٦٤ يجب عليها أن تأخذ حذرها من الدول العظمى صاحبة النفوذ والسيطرة إبان هذه الحقبة من الزمان. وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هي صاحبة هذا النفوذ في هذه الأيام.

وقد بدأ النفوذ الأمريكي يتغلغل في تركيا عقب الحرب العالمية الثانية. ولعبت أول الأمر على مندريس، ولما أسقطته من اعتبارها، مالت إلى إينونو ميلًا عظيمًا، وتعاونت معه في ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م. ولما سقط بدوره من عينها، خرجت للبحث عن آخرين.

وكان أبرز سبب للفتور الذي حدث من أمريكا وإينونو يتمثل في قوله لها: «لقد أُسس العالم من جديد، وتبوأت تركيا مكانها فيه». [٤] وكانت هذه القولة بمثابة تهديدٍ من إينونو من أجل تغيير التحالف ضد أمريكا، كما فعل مندريس من قبل. أما السبب الذي دفع إينونو إلى هذا القول، فهو ما فعلته تركيا في أغسطس عام ١٩٦٤، حيث شنت غارات جوية على قبرص بعد أن اعتدى الروم على الأتراك وعملوا فيهم القتل العام، مما اضطر تركيا إلى التدخل جوًا من أجل إيقاف هؤلاء الروم. وما لبث أن جاءت رسالة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى إينونو إبان تلك الحقبة من الزمان، وكتب هذه الرسالة الرئيس الأمريكي جونسون. وهي رسالة تضمنت ألفاظًا أصابت غرور تركيا، وجاء في هذه الرسالة: «إن تركيا لا يمكن أن تستخدم الأسلحة التي قدمتها لها أمريكا في قبرص». وكانت هذه الرسالة سببًا في تعكير صفو

(١) كان دميرال طوال حياته السياسية بطلًا يتعيش على القيام بمهمة التمثيل السياسي للحزب الديمقراطي، ولم يقدم أية حقوق سياسية لأعضاء هذا الحزب في أي وقت من الأوقات. وكان تورجوت أوزال هو الذي أعاد الاعتبار لهؤلاء الأعضاء ومنحهم هذه الحقوق المهضومة. أما عدنان مندريس فهو الذي نقل مقابر زولو وبولاتقان إلى إسطنبول وشيد عليها نُصبًا تذكاريًا، وهكذا تفوق أوزل على دميرال حتى يكون صاحب مهمة منوطة به لحزب العدالة وأعضائه على حد سواء.

(2) Bilgiç ,s, 134

(3) Cüneyt Arcayürek ,Darbeler ve Gizli Servisler ,Bilgi Y,evi , Ankara ,1985,s,73

(4) Cüneyt Arcayürek ,Darbeler Dönemi ve 12 Mart Darbesi,1965 -1971, Bilgi Y,evi,Ankara,,1985,s,56

العلاقة بين إينونو وأمريكا، ومن ثم سقط من عينها. وعلى هذا النحو، ظهرت في تلك الأونة ادعاءات تقول إن أمريكا عثرت على دميرال. فإن دميرال نفسه لم يكن غريبًا على أمريكا، إذ كان رئيس الوزراء مندريس قد أرسله في مهمة إلى أمريكا، والتقط عند عودته صورة فوتوغرافية تذكارية مع الرئيس الأمريكي جونسون. ولما وجد دميرال نفسه بلا عمل عقب ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م، أسرع من فوره بالاشتغال بأعمال المقاولات والبناء، وأصبح ممثلًا لتركيا لدى شركة أمريكية تسمى «Morrison». [١] ولما مات جوموش بالا، أصبح انتخاب رئيس عام لحزب العدالة واردًا في الحسبان. وجاء جلال أمريكي في هذه الأيام إلى أنقرة دون دعوة رسمية، ويدعى الجنرال «Porter»، أرسلته أمريكا إلى أنقرة حيث التقى مع طائفة من العسكريين والمدنيين الأتراك، وأشار إلى ضرورة إبعاد عصمت إينونو باشا من الحكومة. [٢] ومكث الجنرال «Porter» في تركيا حتى نهاية الانتخابات الرئاسية العامة لحزب العدالة، ثم عاد إلى بلاده عند انتخاب دميرال رئيسًا للحزب.

أما الصحافة، فكانت على أهبة الاستعداد من أجل دميرال. و اضطلعت صحيفة «الحرية» بدور البطولة باعتبارها من أقوى صحف تركيا وأشدها نفوذًا وتأثيرًا. وكان أرول سيماوي، صاحب هذه الصحيفة، ماسونيًا. وصرح هذا الرجل في مذكراته التي كتبها في هذه الصحيفة بعنوان «ما يحكيه أرول سيماوي»، والتي نشرها في خلال شهر مايو من عام ١٩٨٨م: «ما يفيد بأنه يمدح الماسونية في مذكراته ويثني ثناءً حسنًا». وكان نجاتي زنجير قيران يعمل في صحيفة «الحرية» إبان الانتخابات العامة لرئاسة حزب العدالة، وكتب مقالةً في مذكراته بعنوان «كيف يكون سليمان دميرال رئيسًا للوزراء»، ويقول: «لقد كان سعد الدين بيلجيج قوميًا متطرفًا مُغاليًا ومحافظًا إلى حدٍ ما، ومن ثم فإن الجند لم يتمسكوا به قط. ومن ثم نشرنا خبرًا كبيرًا في صحيفة الحرية يفيد بأن عدنان مندريس رشح المهندس دميرال، مدير شركة المياه وملك تشييد السدود المائية، ليكون الرئيس العام لحزب العدالة. وتبوأ مكانته من ذلك اليوم، وأحس الشعب بأن هذا الاسم الجديد هو الأمل المنشود الذي يبحثون عنه». وأكد هذا الكلام قوة صحيفة الحرية وشدة تأثيرها. وما لبثت هذه الصحيفة أن عرَّفت الشعب بسليمان دميرال في عام ١٩٦٤م، ووصفته

(1) Arcayürek , Yeni Demokrasi Yeni Arayışlar , s, 334 – 335

(2) Necati Zincirkıran , Hürriyet ve Simavi İmpartorluğu , Gençlik Yy, Ankara , 1974 , s, 123 – 126 ve 127

بأنه «ملك السدود المائية»، ويجب انتخابه رئيسًا عامًا لحزب العدالة. [1] وشُكل اتحاد مؤسس قوي مؤيد لدميرال. ولم يكن من العسير على هذا الاتحاد إقناع الشعب من أجل دميرال. ومن ثم فإنه أطلق على دميرال لقب «رجل الشعب»، فقد جاء من القرية. وقد نُشرت عنه في الصحافة دعايات منتظمة مستمرة تقول: «إن أم دميرال كانت لا ترضعه دون وضوء وتقرأ القرآن في بيتها كل صباح»، حتى يظل تحت تأثير المنتخبين المحافظين الذين سوف يأتون من الأناضول. أما ابن بلده الإسبرطي، البروفيسور الدكتور سعد الدين بيلجيج، فرغم أنه اتُهم بأنه محافظ قومي، فقد أرادوا تشويه سمعته باعتباره عضوًا رجعيًا. ويبدو أن العجلة الدوارة تنثني أحيانًا.

ولم يكن دميرال نفسه فارغًا إبان تلك الحقبة من الزمان. ولم يكن مندريس ماسونيًا وأطيح به وأعدم. ومن المحتمل أن يكون هذا الإعدام المعيب سببًا أثار مسألة هذا الإعلام الظالم. ولو كان مندريس على قيد الحياة فإنه كان سيرى المظالم التي أعدت من أجله ولسوف يكون مرة أخرى حينئذ الأمل المنشود للشعب، ولسوف يتبوأ الصدارة مرة أخرى. وكان جلال بيار المنافس الأبدي لمندريس. وكان يخوف إينونو ونحسب أنه أرهب الماسون وأقض مضجعهم. وكان يجب أن يُوارى مندريس الثرى من أجل تجاوز العقبات. وإن اعتراض أمريكا لم يكن جادًا من أجل منع إعدام مندريس لم يُفد شيئًا، وكأن أمريكا كانت تريد موارته تحت الثرى، ولما رحل مندريس ظلت جموع الشعب متعلقة بشريكه جلال بيار. وكان بيار هو رئيس الجمهورية الذي أجهض ثورة ٢٧ مايو ١٩٦٠م وصدر حكم بإعدامه في محكمة ياسى آده، ولكن هذا الحكم قد خفف إلى السجن المؤبد بسبب شيخوخته وأرسل إلى سجن قيصرى، وقيل إن سبب إعدامه يعزى إلى كونه ماسونيًا، وقد تم الحديث عن شخصيته التاريخية. وقد عمل بيار في رئاسة حرب العصابات إبان حرب الاستقلال التركية كما كان رئيسًا للوزراء في حكومة أتاتورك.

ولما رحل مندريس ظهرت شخصية بيار وتبوأ الصدارة لدى حزب العدالة وأعضائه، وأصبح في بؤرة الاهتمام وشهدت له التطورات الجديدة في البلاد. أما دميرال فقد مهد الطريق لنفسه وجاء من أنقرة كثيرًا لزيارة بيار في سجنه بولاية قيصرى. [2] وقد تحدث بيار في مذكراته عن قدوم دميرال لزيارته في سجنه.

(1) Ahmet Emin Yalman , Yakın Tarihte Gördüklerim ve Geçirdiklerim , C , IV , Rey Yy , İstanbul , 1970 , s , 396

(2) Celal Bayar , kayseri Cezaevi Günlüğü , Yapı kredi Yy , İstanbul , 1999 , s , 331

وتمخضت هذه الجهود عن إقناع بيار بتأييد دميرال سواء تم هذا الإقناع بجهود دميرال ومساعيه أو عن طريق جهود الآخرين ومساعيهم. وبدأت الأقاويل الخفية تسري بين أعضاء حزب العدالة والديمقراطي من أجل دميرال وثمة أقوال في هذا السبيل نقلها من أبناء بلدي من أعضاء هذين الحزبين مثل عاطف كوزى بيوك وضيا سلاحدار أوغلو ومصطفى قيل نماز حيث كانوا في زيارة لبيار في سجنه يسألون قائلين يا سيدي ما مصير أحوالنا؟ فيرد عليهم بيار قائلًا يوجد مدير المياه هل تعرفونه وسنجعل هذه المهمة على عاتقه وما لبث أبناء بلدي هؤلاء أن نشروا ما أسر لهم به بيار وأذاعوه في كل حدب وصوب. وهكذا هل توجد عقبة أخرى وإن وجدت فقد أُزيلت. فقد مُهد السبيل أمام دميرال.

حرب الوثائق وانتخاب دميرال رئيسًا عامًا لحزب العدالة.

شراء وثيقة تدور حول ماسونية دميرال:

لما أدركت المنية رجب جوموش بالا الرئيس العام لحزب العدالة أصبح انتخاب رئيس جديد للحزب في دائرة الاهتمام، وبدأت الأنظار تتجه إلى البروفيسور سعد الدين بيلجيج الذي لم يكن في الحسبان. فقد ظهر عضو ضده على حين غفلة، إنه سليمان دميرال. وكانت العلاقات بين دميرال وحزب العدالة ضعيفة واهية حتى إنه كان يقال إنه كان يعجز عن المقاومة أحيانًا ويخلع قبعته ويمضي إلى حال سبيله. ولكن الماسون أقحموا أنفسهم في هذه القضية منذ أن خططوا لتنصيب رجل ماسوني ليتولى رئاسة حزب العدالة، ووجدوا أن أنسب عضو هو دميرال مدير إدارة شؤون المياه في حكومة مندريس، ووجدوا أن دميرال بدأ يحظى بشعبية كبيرة بسبب تشييده لكثير من السدود إبان فترة رئاسته في هذه الإدارة. ومن ثم بدأ الصراع على الرئاسة العامة في حزب العدالة وانقسم المتنافسون إلى فريقين أحدهما مؤيد للبروفيسور سعد الدين بيلجيج والآخر مؤيد لسليمان دميرال. وبينما كان المتنافسون يحاولون قهر بعضهم بعضًا ظهر ما يعرف بحرب الوثائق والأدلة الدامغة التي تدور حول كون دميرال ماسونيًا أو غير ماسوني.

ولسوف تُجرى الانتخابات العامة لرئاسة حزب العدالة في ١٤ نوفمبر عام ١٩٦٤م وشرع المؤيدون للبروفيسور بيلجيج في توزيع الوثائق التي تؤكد ماسونية دميرال على وفود المؤتمر العام للحزب. وإن مثل هذه الوثائق سوف تجعل دميرال في موقف صعب لأن الماسونية بين الشعب تعني الكفر والإلحاد ولسوف تحول دون انتخابه.

شراء وثيقة تدور حول عدم ماسونية دميرال:

أصبح دميرال في موقف صعب أمام هذه الوثيقة التي تتهمه بالماسونية وانتقل هو وأنصاره إلى خطوة مضادة. ولسوف يتم الرد على الوثيقة بوثيقة مماثلة. وهم دميرال بكتابة رسالة إلى شعبة الجمعية الماسونية في أنقرة والمعروفة باسم «جمعية النهضة التركية» وطلب إلى هذه الجمعية أن تعطيه شهادة تفيد ما إذا كان عضوًا فيها أم لا [1]، وخلاصة القول أن المطلوب في هذه الرسالة هو تقديم شهادة تفيد بعدم عضويته في هذه الجمعية الماسونية.

وعندما كان دميرال يشغل وظيفة المدير العام لمرفق المياه أرسل خطابًا مع حكمت طورات ليكون واسطة له في الماسونية، وكان حكمت طورات يعمل مساعدًا لدميرال في مرفق المياه.

ووصل خطاب دميرال إلى جمعية المعرفة المعروفة باسم الجمعية المسجلة. وكان زعيم هذه الجمعية هو الدكتور أكرم طوق المستشار بوزارة الصحة، أما زعيمها الثاني فهو المهندس أنور نجدت أجه ران وهو مهندس جيولوجي ويعمل ممثلًا لتركيا لدى شركة موبيل العالمية. وكان حكمت طورات نفسه مسجلًا في هذه الجمعية.

وقد سلم حكمت طورات رسالة دميرال إلى المهندس أنور نجدت أجه ران الذي تحدث عن فحوى هذه الرسالة فقال: «فيما كنت ذات يوم مقيمًا في منزلي الكائن في أنقرة جاءني الأخ حكمت طورات وقرأ علي رسالة مطلوب فيها الإخبار عما إذا كان دميرال عضوًا مسجلًا في الجمعية الماسونية أم غير مسجل بها وقلتُ لحكمت طورات: آمعن النظر مليًا إذ لم يكن مسجلًا في الجمعية فقدم شهادة تؤكد ذلك وتكون بمثابة مساعدة لدميرال ابن الأرملة». وقُدمت الشهادة على هذه الشاكلة. [2]

وصدرت الشهادة بتاريخ ١٤ نوفمبر عام ١٩٦٤م وكان نصها على النحو الآتي : «السيد المحترم دميرال: يفهم من الدراسات التي تمت ردًا على طلبكم أنكم لست مسجلًا في جمعيتنا الماسونية. مع تحياتي لشخصكم الكريم».

توقيع

(١) مساعدة ابن الأرملة: هذا تعبير ماسوني ورد ذكره في أسطورة هرام أسطى الذي يقال أنه كان ابن أرملة. ومن ثم كان الماسون يساعد بعضهم بعضًا، ويرددون هذا التعبير فيما بينهم.

(2) Sosyal ,s, 347

نجدت أجه ران الرئيس الثاني للجمعية [١]

وقد وزعت هذه الشهادة على الوفود قبل مشاركتها في المؤتمر. أما دميرال فقد قرأ فحوى هذه الشهادة التي في يده أثناء مناقشة المؤتمر وهو يلوح بيده. [٢] وقد تحدث بيلجيج عن أشياء أخرى قيلت أثناء المناقشة حتى يتسنى انتخاب دميرال: «بعد قراءة الشهادة التي سلف ذكرها والتي تؤكد عدم وجود علاقة لدميرال بالماسونية قال أحد أولاد أسرة دميرال إنه لم يكف عن قراءة القرآن في منزله بالقرية طوال الليل حتى إفطار الصباح. وكان دميرال في حيرة من أمره والمسلمون في تركيا يتناولون طعام الإفطار غالبًا بين الساعة التاسعة والنصف والعاشرة صباحًا أي بين صلاتي الصبح والضحى. وليس من السنة عندهم تلاوة القرآن الكريم عند تناول الطعام بل يكتفون بالبسملة فحسب». [٣] وقد اهتم بيلجيج بالاضطلاع بدعاية مكثفة ضد دميرال ومن ثم شرع في نشر إشاعات تقول إنه إذا أصبح دميرال رئيسًا لحزب العدالة فإن القوات المسلحة حينئذ لن تجعل حزب العدالة هو الحزب الحاكم حتى ولو فاز في الانتخابات.

وكان بديهيًا في ذلك الأثناء أن تتأهب الصحافة بنشاط عظيم في هذا المضمار فنشرت عناوين تصف دميرال بأنه ملك السدود. ولم تكتف الصحافة بذلك وفي ليلة الأحد الذي ستُجرى فيه الانتخابات شكلت مجموعات كل مجموعة تضم خمسة عشر شخصًا تضم بدورها مائة وثمانية وخمسين وزيرًا وعضوًا من المنتسبين للحزب الديمقراطي وطافوا بالفنادق وقالوا للناخبين: «لقد أتينا لكم بتحية وسلام من السيد جلال بيار رئيس الجمهورية ولو أعطيتم أصواتكم لسعد الدين بيلجيج فإنه لو فاز في الانتخابات فإن الجند لن يجعلوا حزب العدالة هو الحزب الحاكم فلا تلعبوا في تقاليدنا وأعرافنا الشخصية والسياسية». [٤]

إن كل هذه الأحداث ولا سيما الوثيقة المقدمة ضد دميرال قد أوقعت الدكتور سعد الدين في موقف الكذب مروج الإشاعات ونجح دميرال في انتخابات الرئاسة العامة لحزب العدالة بأغلبية مطلقة.

---

(1) Bilgiç , s, 134

(٢) المؤلف السابق ص ١٣٥

(٣) المؤلف السابق ص ١٣٢ -١٣٦

(4) Soysal , 340

بداية النزاع بين الماسون:

ومع انتخاب دميرال رئيسًا لحزب العدالة كللت المهمة الماسونية بالنجاح والتوفيق، ولكن سرعان ما نشب نزاع شديد أفضى بدوره إلى تمهيد السبيل إلى تأسيس تنظيمات أحزاب مطردة بين ثنايا الماسون. وقيل إن الماسون كلهم فرحون بانسحاب دميرال ولكن كان هناك طرف غير مسرور وكان هذا شائعًا كذلك بين ثنايا الماسون وقد قيل إنه رغم أن دميرال كان ماسونيًا فقد قُدمت شهادة فريقة تؤكد أنه ليس ماسونيًا، وهذا ما أراد الماسون تقديمه إلى الرأي العام حتى إن هذا أحدث هزة عنيفة لرمز الصدق والإخلاص اللذين شاعا بين المبادئ الماسونية.

وتحركت الأوساط اليسارية ضد التيارات القومية المحافظة. وكانت هناك أفلام يسارية رفعت دميرال إلى عنان السماء عقب انسحابات الرئاسة العامة لحزب العدالة [1]، ومثل هؤلاء يتحملون الآن مسؤولية هذه الشهادة التي قدموها إلى دميرال وهم بصنيعهم هذا يهيجون المشاعر العاطفية لحزب العدالة. فهؤلاء كانوا ضد تقديم هذه الشهادة وكأنهم يرونها وكأنها ضربة شديدة نزلت على رأس الماسونية. وبدأ هؤلاء مطالبين بإخراج نجدت أجيرات وأصدقائه من حظيرة الماسونية وكانت هناك رغبة كذلك في معاقبة دميرال، ولكن الناس لم يكونوا راغبين في هذا حرصًا على مستقبله السياسي [2]

كان الماسون في تعب ونصب شديدين بسبب الشهادة المزورة. ومن ثم فإنهم شرعوا من فورهم في نشر بيان عام رقم ١٤٧٣ بتاريخ ٢٨ ديسمبر عام ١٩٦٤م موقعًا من رئيس كتاب الجمعية الماسونية التركية نافذ أكرم رغبة منهم في التخلص من هذا العار الذي لحق بهم وسبب لهم حرجًا شديدًا وورد في هذا البيان ما يأتي:

«إن لجنتنا الدائمة العظمى قد وضعت يدها على هذا الموضوع وفحصت سجل الأعضاء من رقم ١٠٩ حيث وجدت أن اسم دميرال غير مسجل ضمن أعضاء الجمعية الماسونية

(١) ومن هذه الأقلام إلهام سويسال الذي نشر في صحيفة المساء لأول مرة صورة فوتوغرافية لدميرال مقرونة بصورة من الشهادة التي تؤكد ماسونية دميرال (سويسال: ص ٣٤٦) وحدث هذا بعد انتخاب دميرال رئيسًا عامًا لحزب العدالة، ولم يعد هناك أدنى شك في التكوين الماسوني لدميرال، وهكذا كانت صحيفة المساء من أسرع الصحف اليسارية التي بلغت حد الماركسية.

(2) Gün -Çeliker , S , 59

وبالبحث في قائمة الأسماء للأعضاء غير المنتظمين لم يعثر على اسمه فيها وأن الشخص الذي سلف ذكره دميرال لم تُقدم بشأنه أي شهادة تؤكد عضويته في أي جمعية ماسونية، ورغم عدم التحديد القاطع بتقديم شهادة تؤكد هذا أو لا تؤكده ولو فرض أن هناك شهادة قدمت بشأن ماسونيته فإنه لا شك أنها كانت غير ذات تأثير». [1]

ولم يصدق أحد هذا البيان المشكوك فيه الذي نشرته الجمعية الماسونية الكبرى في تركيا وأثار هذا اقتناعًا لدى الرأي العام بغلق هذا الموضوع من أقصر طريق بالدفاع عن شهادة مزورة بأخرى مزورة.

وفي أعقاب هذه الأحداث نُشرت في الصحافة صورة من الصحيفة التي تخص دميرال والموجودة في سجل العضوية للجمعية الماسونية واسم دميرال مقيد فيها من رقم ٤٣ ص رقم ٤٨. وتوضيح هذه الشهادة جيدًا التكوين الماسوني لدميرال مما جعل الأمور تضطرب اضطرابًا شديدًا.

حادثة الشهادة المزورة الموجودة في وثائق الماسون أنفسهم:

حدث نزاع وجدل عظيم بين ثنايا الماسون بسبب هذه الشهادة التي سلف ذكرها، وشرح كل هذا بالتفصيل في كتاب باسم «تحليل واقعة داخل الماسونية التركية» ونشرته مجلة المحفل الماسوني الكبير. وورد أصل هذه الواقعة في هذا الكتاب على النحو الآتي: لا شك أن هذه الوثيقة مناقضة للحقيقة مجافية لها لأن سجلات الدفاتر الماسوني المنشورة تضم ألبوم بصور الفوتوغرافية للأعضاء المسجلين في الجمعية الماسونية، ويظهر هذا بجلاء من رقم ٤٣ حتى رقم ٤٨.

وقد قُدمت هذه الوثيقة لغرض سياسي. لأن الشخص الذي طلب الوثيقة أخذها بغية الحصول على نتيجة بأمل من ورائها رفض وإنكار الوصف الماسوني المنسوب إلى دميرال في المجال السياسي. [2] وقد صيغ الاتهام على النحو الآتي مرتبطًا بأشياء مناقضة للتكوين الماسوني:

١ – معارضته للمؤسسة الماسونية التي تتمتع بالخلق القويم والصدق.

٢ – معارضة الماسونية لمبدأ الاشتغال بالسياسة وهو أحد مبادئها الرئيسية، ومن يثبت

(1) Soysal , 341

(٢) ترجمة ص ١٩٤ في أصل الترجمة.

اتهامه فإنه يقدم لديوان الشرف ويعاقب ومن ثم يخرج من حظيرة الماسونية. [١]

إن كثيرًا ممن رحلوا بعيدًا بناء على هذه الواقعة كانوا من الماسون المسجلين في الجمعيات الماسونية في إسطنبول. أما المسجلون في جمعيات أنقرة فكانوا يريدون غلق هذه الواقعة ومن ثم فإن الجمعية الماسونية الكبرى بتركيا كانت تردد دائمًا أن هذا الشخص دميرال ليس مسجلًا في جمعيتنا. ولم تقدم وثيقة في هذا السبيل.

وأعدت الجمعية تقريرًا مؤيدًا لهذا وطلبت غلق ملف هذه القضية تمامًا. ولما أخفق الدكتور أكرم طوق رئيس جمعية المعرفة الماسونية في الحصول على ما يريد أسرع بعقد اجتماع وتحدث فيه مخاطبًا الماسون قائلًا: «إخوتي الأحبة الأعزاء إني أقبلكم من خدودكم وأيديكم وأتوسل إليكم ألا تتحدثوا في هذا الموضوع، لأنكم لو تحدثتم فيه فإنني أموت وأخرج من هنا ميتًا ولا أعد أحدًا بوعد وأغلقت الجلسة وعليكم أن تأتوا غدًا [٢]، نعم إنني أموت وليصعد الموت». وهذا قسم عظيم يجب تطبيقه واتباعه عند الماسونية.

بيد أن هذه الواقعة لم تكن قد انتهت بعد. ولو أن هذا الجرم كان متعقبًا بواحد من أعضاء الجمعية الماسونية لكانت مهمة الماسونية حينئذ متمثلة في إظهار التسامح اللازم نحوه. ولكن هذا الجرم كان يحمل صفة أقحمته تحت كثير من الشوائب التي علقت به من أثر الماسونية داخل إطار مناخ سياسي ولا سيما أنه يجب اتخاذ كثير من التدابير والاحتياطات الحاسمة في هذا السبيل. [٣]

حتى إن الحديث جرى حول أن هذه الواقعة دخلت تحت شائبة الماسونية في كل حدب وصوب من أرجاء الدنيا. [٤]

وقد قال نجدت أجه ران أول الأمر إنه لن يقدم الشهادة التي تدين دميرال. وقد أُرسلت طائفة من كبار المفتشين من إسطنبول إلى أنقرة من أجل دراسة الموقف وتبين من التقرير الذي

(١) المؤلف السابق ص ٤٠ -٤١

(٢) المؤلف السابق ص ٤٨

(٣) المؤلف السابق ص ٤٣

(٤) المؤلف السابق ص ٥٢

أُعد أن نجدت أجه ران كان مذنبًا. وبناء عليه اعترف أجه ران بأنه قدم الشهادة بنفسه، وذكر أنه لا قبل له بأن يفعل شيئًا أكثر من هذا وطلب العفو عنه وكان الرد عليه متضمنًا ما يأتي: «لا سبيل إلى العفو عنه... أن سلطة أو مسئولية لأنه قدم وثيقة مجافية للحقيقة». [١]

وكانت هذه الشهادة المزورة واحدة من الأسباب التي أغضبت الماسون وأقضت مضجعهم وأدت كذلك إلى انتخاب نجدت أجه ران ليتبوأ زعامة الجمعية الماسونية الكبرى في تركيا. [٢]

إن أجه ران الذي ثبت اتهامه قد وضح أنه سوف لا يكون مرشحًا، ولما حلت انتخابات العضوية، أسرع بالتخلي عن قراره السابق قائلًا: «إنني أقبل العضوية إذا أراد الإخوة ذلك». ولما أُنتخب في ٥ مايو عام ١٩٦٥م، حدثت ضجة كبرى، وأعلن مجلس الثورة الأعلى في تركيا عدم شرعية الانتخابات حينئذ طلب أكرم طوق غلق ملف هذه الواقعة متهمًا مجلس الشورى بالانحياز وفي ٧ يونيو عام ١٩٦٥م أذاع أجه ران رسالة اتهم فيها مجلس الشورى بأنه يحرض المعارضين ويهدم وحدة الماسونية التركية ويقوض بنيانها.

وفي أعقاب هذه الأحداث أسس مجلس الثورة الأعلى في تركيا المحكمة العليا لديوان الشرف وأبعد أكرم طوق لمدة عام عن الماسونية كما أبعد أجه ران عنها بصفة دائمة [٣]، وفي ٥ يوليو عام ١٩٦٥م طُلب إلى أجه ران تقديم استقالته وإذا كان قد قاوم بعض الوقت فإنه أجبر عليها في ١٤ نوفمبر عام ١٩٦٥م وحل محله خير الله أورس مدير متحف قصر طوب قابى في الانتخابات التي أجريت في ٥ ديسمبر عام ١٩٦٥م.

ثمة تطورات تمخضت عنها واقعة الشهادة المزورة حيث تسلل الفتور والوهن بين ثنايا الماسونية في تركيا وقيل إن هذه الشهادة ما هي إلا اتهام ماسوني للجمعية الماسونية الكبرى بتركيا. وهو اتهام لم يستطع أحد استساغه. وكان هذا سببًا في تأسيس تنظيم ماسوني جديد يسمى «المحفل الماسوني الكبير في تركيا» وكان هذا في ٤ يونيو عام ١٩٦٦م حيث انضم إليه خمس جمعيات من إسطنبول واثنتان من إزمير. وجيء بالسيد أورخان خنجرلى أوغلو ليتولى

(١) المؤلف السابق ص ٤٢ -٤٣

(2) Arıç ,s, 127

(3) Sosyal ,s, 349

رئاسته، وقيل في سبب تأسيس هذا التنظيم: «لقد التأم شملنا من أجل إنقاذ الماسونية التركية».[١]

وإذا أردنا أن نلحق حرب الشهادات فإننا نجد أن أحداثها قسمت الماسون إلى فريقين، حيث كان نجدت أجه ران عنصرًا فعالًا مؤثرًا في بؤرة الأحداث وكان يقول: «إنني لست مذنبًا في أي فعل من أفعالي. إنني أحمي أحدًا من الماسون وأقدم له يد العون والمساعدة».[٢]

وها نحن أولًا الآن ندرك بجلاء تام كيف تسنى لسليمان دميرال أن يحقق هذه القفزة السياسية الهائلة والتي لم نتوقعها البتة.[٣]

لم يقدم أجه ران إلى دميرال ردًا إيجابيًا أو سلبيًا يدور حول كونه ماسونيًا أو غير ماسوني وجاء رده هذا من عدم الرؤية والمشاهدة[٤]، ولا شك أن الهيمنة الماسونية التي كانت موجودة في الحكومات الحاكمة في الحزب الديمقراطي قد عاشت كذلك في الحكومات الحاكمة في حزب العدالة فلقد كان نفس الوزراء الموجودين في حكومة دميرال أو ثلثهم على الأقل من الماسون. ومن ثم حقق الماسون قفزات مطردة في السلم الوظيفي حيث تبوءوا معظم المناصب ذات المستوى الرفيع.

ولكن حزب العدالة كان يعيش باعتباره تصفية للتيار القومي المحافظ. وكانت أول تصفية في هذا السبيل قد شملت طائفة اليمنيين التي ضمت من عشرة إلى خمسة عشر شخصًا من أعضاء البرلمان ومن هؤلاء ثلة من المشاهير وذوي الصيت من رجالات التيار القومي المحافظ ومنهم على سبيل المثال: بروفيسور دكتور عثمان توران ويوكسل سردن كجدى وسليمان عارف أمره وحسن آقصاى وعارف حكمت كونر، وثمة طائفة أخرى من أعضاء مجلس الشيوخ وهم البروفيسور دكتور علي فؤاد باشى جيل وأحمد توفيق باقصو. ويمكن أن ندرج بين ثنايا هؤلاء البروفيسور دكتور نجم الدين أربقان الرئيس السابق قد اعترض على الانتخابات العامة لحزب العدالة التي أجريت في عام ١٩٦٩م وذلك في الالتماس الذي قدمه بشأن عضويته في هذا الحزب. وها هو ذا إحسان صبري جاغلايان جيل الماسوني الذي تولى منصب وزير الخارجية

(1) Türk Masonluğu İçinde Bir olay ve Tahlili ,s,39ve 87

(2) Gün Çelikler ,s,60

(3) Masonluğu İçyüzü ,s,323

(4) Arcayürek ,Demirel Dönemi ve 12 Mart Darbesi ,s,57

بصفة دائمة في حكومات دميرال وكتب شيئًا يتعلق بعدم قبول أربقان في حزب العدالة ويقول: [1] «اهدأ واسترح فقد خرج أربقان. أما نحن أي حزب العدالة فكنا حبالى بالرجعية السياسية. وكان يوجد يمين متطرف مُغال في عقولنا ومن ثم فإننا سوف لا نقبل أربقان في بيتنا. لقد ولد هـذا اليمـين هل يا ترى ولـدًا لقيطًا أو بصورة شرعية؟ لا أدري. هذا وقد كان حزب الشـعب مثقلًا بالاتجاه اليساري المتطرف ولكنه كالمرأة الحبلى التي لا تعاني آلام المخاض، لقد تطهرنا ».

ولكن كيف سيظهر هؤلاء؟ هذا شيء غير ظاهر في الأفق. [2]

لقد أُخرج معظم اليمنيين الموجودين في حزب العدالة، وثمة طائفة أخرى قدمت استقالتها، وثمة زمرة أخرى من طائفة اليمنيين الذين تمت تصفيتهم من حزب العدالة نهضت من فورها وأسست حزب النظام القومي وأصبح رئيسها العام هو نجم الدين أربقان.

وثمة تصفية أخرى تمت على نطاق واسع وعاشها حزب العدالة في إطار ما يعرف باسم القومية والمحافظة على التقاليد والأعراف القديمة. وشـملت هـذه التصفية أربعين من أعضاء البرلمان والذين أسسوا الحزب الديمقراطي برئاسة فروخ بوزبيلى الرئيس السابق لمجلس الأمة التركي.

هيمنة الماسونية ومواقفهم الأخيرة:

هيمنة الماسـون على النظام الحاكم: ينقل الأخوان Gün –çelikler عن مؤتمر الجمعيات الماسـونية متخذين منه مصدرًا ماسـونيًا اعتمدا عليه في كتابهما الذي درسا فيه أحوال الماسونية والماسـون، ويقـولان في هـذا السـبيل: «كان لزامًـا عـلى الإخوة الماسـون ممن تبـوءوا مناصب رفيعـة في الحكومـة أن يبذلـوا قصارى جهدهم مـن أجل زيادة عدد الماسـون الذيـن يتبوءون أعـلى المناصـب وسـعوا إلى تحقيـق هـذا الغرض مـا اسـتطاعوا إلى ذلك سـبيلًا». ثـم يتحدث الأخـوان Gün –çelikler حـول تطبيق هذا المبدأ الماسـوني في تركيا فيقـولان: «من المعلوم الذي لا يدانيه شـك أن الجمعيات الماسـونية كانت تسعى سـعيًا حثيثًا لتحقيق المشاركة النفعية والاقتصادية والاجتماعية منها على حد سواء. وجاءت الفرصة المواتية ليتولى واحد من الماسون منصـب الإدارة العامة لحزب العدالة ومن ثم أسرع من فوره ليقدم للجمعيات الماسـونية أول

(1) Sosyal , s, 390

(2) İsmail Cem , tarih Açısından 12 Mart , CII , Cem Y , evi, İstanbul , 1977, s, 61–62

تأشيرة من أجل التعجيل بإثراء هذه الجمعيات وتحقيق الشهرة لها ورفع شأنها في كل مجال من مجالات الحياة. ويبدو أن هذه الجمعيات الماسونية قدمت هذه الفرصة السانحة إلى أشخاص آخرين من المنتسبين إليها. ولا جرم أن هذا التوجه إلى الماسونية كان من أبرز الظواهر العادية الشائعة في تركيا. ومن ثم كان من المفضل دائمًا أن يوقع الماسوني على كل شعار أو قول أو حكم قضائي وإن القائمين على شؤون كل المصادر الاقتصادية الموجودة في تركيا كانوا من أولئك الذين يتولون أعلى المناصب وأرقاها في المصارف الكبرى وهم جميعًا من الماسون كما كان هؤلاء الماسون يهيمنون كذلك على اتحاد الغرف التجارية والصناعية الموجودة في تركيا ويبسطون عليها نفوذهم [١]،وكان سري أنور باتور في طليعة رؤساء اتحاد الغرف التجارية والصناعية. [٢]

وكأن هذه الغرفة التجارية شركة عائلية يقسمونها فيما بينهم وكانوا يملئون هذه الجمعيات التي يدخلونها ويوصي بعضهم بعضًا بشأنها. ولا جرم أن العلاقات السرية والمنافع الشخصية والانتهازية كانت تربط بين هؤلاء وتعضد عُرى الصداقة فيما بينهم، بيد أنهم كان يمكن أن يقذف بهم من مناصبهم التي يشغلونها ويلقى بهم في مكان بعيد عن طريق قوة الدولة وسطوتها وقد كانت هناك كثير من المؤسسات والشركات والمصارف تمتلئ بالماسون من كل حدب وصوب ومنها على سبيل المثال بنك الائتمان للإسكان والتعمير والأوقاف والمؤسسات التابعة لها والمستشفيات الجامعية وكل المستشفيات الخاصة وجامعة إسطنبول وكليتي الطب والصيدلة والجامعة الفنية والمدرسة الفنية في إسطنبول. أما في أنقرة فكانت هناك زمرة ماسونية ممن يعملون في الوزارات وغيرهم من المديرين في الدواوين الحكومية ومديرية شرطة إسطنبول، وكانت كل هذه المؤسسات والهيئات تُدار وتراقب عن طريق الجمعيات. [٣]

كان كل أمير ماسوني يعين طائفة من الشباب الماسوني في أهم المناصب بالدواوين الحكومية ولا سيما من أولئك الذين يتوسم فيهم الأمل المنشود والكفاءة الخلاقة المبدعة مستخدمًا في هذا

(١) كان أرباقان أستاذ العلم وحظي بشعبية جارفة باعتباره صاحب المبادرة العظيمة لانشاء مصنع المواتير الفضية، ولما انتخب في عام ١٩٦٩م لرئاسة اتحاد الغرف الصناعية والتجارية فإنه سُرعان ما أُبعد عن هذه الوظيفة، زاعمين أنه انتخاب غير قانوني، ولما أصر أرباقان واشتدت مقاومته سعت السلطات الحاكمة لحزب العدالة لاستدعاء البوليس الذي أخرجه من مبنى غرفة التجارة والصناعة (Bilgic . s.175 – 176)

(٢) تبوأ باتور درجة ماسونية عالية كما كان في الوقت نفسه عضوا في نادى الليونز العالمي (Gun –celikler .s.259 – 260)

(3) Gün –Çeliker , s , 109 – 110

السبيل كل الإمكانيات التي تمكنه من تحقيق مآربه. ومن ثم أصبح هؤلاء يخدمون الماسونية ويعضدون مكانتها ويعملون على تقوية شوكتها. وكان كل رجل من هؤلاء يعمل في الحزب الحاكم من أجل هؤلاء الماسون ويظل هذا الشخص في الحزب الحاكم بصورة دائمة. وإذا كان الماسوني ضابطًا احتياطيًا أو استمرت مدة خدمته فإنه يُنقل حينئذ إلى وظيفة أكثر راحة وأفضل دخلًا ويتبوأ الماسوني الجديد هذه الوظيفة لما يتمتع به من قوة فتية وسورة حمية.[1]

ويقول الأستاذ الهامى سوسيال في كتابه الذي درس فيه أحوال الماسونية والماسون، تحت عنوان: الماسون في كل حقبة وحزب حاكم: لقد كان هناك ما يقرب من نصف الوزراء الموجودين في حكومات حقبة الجمهورية، ناهيك عن أن الماسون كانوا يعينون بصفة عامة في مستشارية الوزرات المختلفة، وقد تحدث إلهامى سوسيا عن أسماء هؤلاء الماسون من صحيفة ٣٧٨ حتى صحيفة ٤٠٣، وكيف أنهم جيء بهم ليتبوؤا أعلى المناصب في المؤسسات والهيئات ذات المستوى الرفيع.

هيمنة الماسون على الصحافة:

كانت الصحافة والسينما والإذاعة من الوسائل الإعلامية الثابتة الراسخة إبان عام ١٩٦٨م ولم يكن التلفزيون موجودًا في تركيا إبان تلك الحقبة من الزمان. ومن ثم كانت هذه الوسائل الإعلامية سالفة الذكر من أعظم سبل الدعاية في أيامنا.

وكانت هذه المؤسسات الإعلامية بمثابة مؤسسات منظمة لافتة للانتباه واستطاعت عن طريقها أن تجذب زمرة من الجموع الشعبية التي تريدها واليوم نرى الصحافة التركية في تركيا تحاصر بضرب من الصحافة المحتكرة التي تضيق عليها الخناق. وكانت هذه الصحافة المحتكرة تستحوذ على ما يزيد على خمسين في المائة من قراء الصحف وتحقق توزيعًا واسع النطاق مقارنة بالصحف الأخرى ويهيمن على هذه الصحافة المحتكرة الإخوة سيماوى وهم مادات وأرول وخلدون الذين يستطيعون تحطيم ما يريدونه في اللحظة التي يريدونها. ولهؤلاء أشباه ونظائر في أوروبا يطلق عليهم تعبير «صحيفة الجادة أي الشارع العريض الذي تكتنفه الأشجار»،

(١) إن هذا القرب من وسائل الاعلام المحتكرة كان مهيمنًا على تركيا من عام ١٩٧٠ -١٩٨٥م، وبينما ظهر هذا الضرب من الصحف التي سلف ذكرها فإنها سرعان ما تكونت والتفت حول صحيفة صباح مؤسسها خلدون سيماوي، أما الصحافة المحتكرة الثانية فكان مؤسسها ما يسمى بالإخوة سيماوي.

ولكن هذا الضرب من الصحافة المحتكرة يحقق حرية في البيع تدعو إلى الحزن مقارنة بالصحف والمجلات التركية الأخرى. بيد أن هذه الصحافة المحتكرة كانت تخنق كل الصحف التي تصدر بعد الظهر في صحافة إسطنبول ومن ثم ظلت هذه الصحافة المحتكرة مهيمنة باسطة نفوذها متربعة على عرش الصحافة التركية لا سيما أن الصحيفة المسماة «الصحيفة الجديدة» كانت تابعة لهذا الضرب من الاحتكار وهي صحيفة ذات رؤية جادة كانت تقوم الأحداث التاريخية متوازنة مع السياسة الإسرائيلية وكانت صحف PAZAR –HAFTA SONU –FOTO SPOR –ROMAN وغيرها كانت أكثر مبيعًا وانتشارًا وذيوعًا وكانت تابعة للماسونية المحتكرة التي تستحوذ على مئات الآلاف من الصحف والمجلات التي سلف ذكرها. (١)

وكانت الزمرة المسماة IPEK CILER تستحوذ على السينما التركية، ولا سيما في مجال تشغيلها وإدارتها (٢)، وكانت هذه الزمرة عائلة مكونة من الماسون ممن تسموا بالدجات العُلا والمناصب الرفيعة، وفي تلك الآونة عام ١٩٦٨م أظهر الماسون نشاطًا مؤثرًا فعالًا في مجال صناعة السينما وتشغيلها وإدارتها، وكان من بين هؤلاء الماسون كل من: تورجوت دميراغ وخُلقى صائر، وهما من الشخصيات التي ترد على الخاطر من أول وهله. (٣) وكانت هناك زمرة كبيرة من الماسون تعمل في إدارة الإذاعة والمذيعين.

ونستطيع أن نلخص كل هذه الأشياء على النحو الآتى:

---

(١) هي جماعة منتسبة إلى شخص يدعى جميل بكجي gamil pekci وكان ماسونيًا ومن يهود الدونمة، وهو أول من فتح صالونات السينما لأول مرة في تركيا، وله كتاب صغير يتعلق بالماسونية. انظر

Mason tarihinde turdiler Gagliostra , turkiye suryayi alisiulku mahfili .yy.ist:1949s.3 – 19

أما أبتى بكجي Apti pekci رئيس تحرير جريدة مليت إبان عهد القره جافيس فكان سليل عائلة بكجي التي كانت برمتها من يهود الدونمة، وكان هذا الرجل ماسونيًا ومن يهود الدونمة، ورئيسًا لتحرير صحيفة الوطن، وتمت تنشئته وتربيته على يد أحمد أمين يالمان، وسرعان ما ملأ أبتي بكجي الفراغ الذي حدث بعد تخلي أحمد يالمان عن رئاسة التحرير.

(٢) كانت السينما في تلك الآونة من أهم وسائل النشر المرئية ذات التأثير العظيم، مثلها في ذلك مثل التليفزيون، وكانت هناك طائفة من المحافظين في نقد السينما نقدًا لاذعًا، واتهموا السينما بأنها شيء غير إسلامى وبذيء ومستهجن. بيد أن هذه الطائفة لم تبد أي جهد يرمي إلى تشكيل مسرح وسينما تدور حول أطراف الثقافة المهيمنة على عقول الشعب وأفكاره، وكانت هذه الدعوى بمثابة شعار مستمر لهذه الزمرة من المثقفين التي ظلت ترفع عقيرتها بالشكوى، ولكن لم تسع إلى ملء هذا الفراغ البتة.

(3) Gün –Çeliker , s , 110 – 111

لو أصبح الشعب التركي مجبرًا على قراءة ما يكتبه الماسون ومشاهدة أعمالهم وإلقاء السمع إلى كل ما يتفوهون به [١]، فقد كتب الأستاذ إبراهيم أرواس شيئًا عن صحيفة الحرية التي تمثل الصحافة المحتكرة للإخوة سيماوى ودون أرواس هذه الأشياء في مذكراته التي سماها «الحقائق التاريخية» وكتب يقول: أريد أن أقول نبذة مختصرة عن حياة سادات سيماوى مؤسس صحيفة الحرية وصاحبها. وكان الإخوة بورلا قبل ثلاثين عامًا قد أعطوا سادات سيماوى شيكًا قيمته مليون وسبعة آلاف ليرة في الوقت الذي كانت فيه عملتنا التركية ذات قيمة عظيمة [٢]، وقد اضطلع هؤلاء الإخوة بتغيير كل مؤسسات صحيفة حريت وجعلوها مواكبة لأحدث النظم العالمية بما فيها الأبنية والماكينات وغيرها وطلبوا في مقابل هذا خدمة الأيديولوجية اليهودية والماسونية مضطلعين في هذا السبيل بطبع أعمال سرية تناهض القيم الدينية والأخلاقية على وجه الخصوص وسرعان ما قبل سادات سيماوى هذا العرض بكل سرور، وأسرع من فوره في توسيع نشاط الصحيفة وتعظيم شأنها وكانت هذه الصحيفة في كثير من نسخها تزدرى الشيوخ وتحقرهم وترسم صورهم في شكل مستهجن ساخرة منهم مستهزئة بهم. [٣]

يا إلهي! إن هذا ولا جرم ضرب من الغلفة والضلال المبين.

---

(١) الإخوة بورلا ذوو أصل يهودي، وكانوا من مواطني الجمهورية التركية، وكانوا من الأسماء التي حظيت بشعبية جارفة منذ عام ١٩٧٠م وتأثرت شعبيتهم حيث إنهم قدموا للمحاكمة في القضية التي اتهموا فيها بأنهم يخلطون زيت الزيتون بزيت البترول في مصانع الزيتون التي يملكونها في مدينة إزمير، مما سبب ضررًا جسيمًا بصحة الشعب، وحكمت المحكمة عليهم مرتين اثنتين، ولكن محكمة الاستئناف أبطلت الحكم.

(٢) وقد استمر هذا الضرب من التحكير والازدراء حتى يومنا، اللافت للانتباه رسم صورة كاريكاتورية لأحد زعماء الجمهورية التركية، حيث صوروه على هيئة شيخ شديد القبح يمسك في يده سلة قمامة ثم ..... بالقمامة الموجودة داخل هذه السلة، ومعلوم أن النطق بالشهادة أحد أركان الاسلام التي ينطق بها المسلم حتى يكون مسلمًا، ولكن الرسم الكاريكاتوري يسخر من هذه الشهادة ويصورها بأن هذا الشيخ يفتح عقله ثم يفرغ هذه الشهادة في عقل الطفل، ناهيك عما يكتب من كلام ساخر أسفل الرسم الكاريكاتوري، مما أحدث رد فعل في الصحافة إبان تلك الحقبة من الزمان، حيث فُسرت كل هذه الرسوم بأنها بمثابة تحقير وازدراء للإسلام، وثمة..... أخرى في هذا الموضوع، اذا كنا نرفع عقيرتنا بالصياح قائلين يا أيها الدونمة الماسوني.

(3) Arvas, s, 67

يجب علي أن أسجل في هذا الصدد بكل سرور فأقول إن أنباء هؤلاء الإخوة الذين حلوا محل أجدادهم وآبائهم قد التزموا جادة الصواب وكانوا أكثر فائدة عند الأمة أسلافهم. (١)

أما إمبراطورية صحافة الإخوة سيماوى أو ما تعرف بمؤسسة احتكار الحرية فإنها سرعان ما أفل نجمها من عام ١٩٨٠م ولكن ظهرت إمبراطوريات جديدة للصحافة حلت محل إمبراطورية سيماوى ولكنها لم تجد في البحث عن مناخ الاحتكار الذي مارسته إمبراطورية سيماوى.

ومن ثم استخدمت تعبيرات في أيامنا أُطلقت على هذا الضرب من الصحافة والميديا المحتكرة وقد ظهرت إمبراطوريتان أخريان من الصحافة احتكرهما كل من Dinc Bilgi و Aydin Dogan وصدرتا منذ عام ١٩٨٠م.

أما صحيفة صباح الخير التي أسسها خلدون سيماوى قولو والتي كانت أثرًا باقيًا من بقايا إمبراطورية سيماوى الصحفية التي تفشت وقوض بنيانها فإنها ما لبثت أن أفل نجمها وخمدت شهرتها، أما صحيفة الحرية واسعة الانتشار والتي أسسها "أرول سيماوى قولو" فقد تغيرت ملكيتها وبيعت إلى أيدين دوغان. كما اشترى هذا الرجل أيضًا صحيفة مللیت Milliyet التي يملكها الأخوة قره جان ودخلت برمتها في إطار ما يسمى بالاحتكار الصحفي، وصدرت في إثر ذلك صحف أخرى مثل راديكال وبوسطة وكوزجى وميدان وهي صحف واسعة الانتشار. وأما المجلات الشهرية والأسبوعية فإنها ما لبثت أن وصلت إلى قمة الاحتكار عندما زجت بنفسها في مجال النشر مثلها في ذلك مثل الإذاعات وقنوات التلفزيون، وعندما نتحدث عن وسائل الإعلام المحتكرة في تركيا فإننا يجب علينا الوقوف على طائفة من وسائل النشر التي أسسها قولى دوغان وهناك أربعون بالمائة من وسائل النشر كانت تعول عليها هذه المجموعة التي يترأسها برنجى قولى دوغان.

أما الأربعون في المائة الثانية فكانت تمثل مجموعة نشر صحيفة الصباح التي يملكها Dinç Bilgin (٢)، وصاحب مؤسسة صحافة الدونمة في سلانيك. أما صحف Yeni yüzyıl ve yeni Bin ve Takvim Ve Ateş وغيرها من وسائل النشر الأخرى كالمجلات

(1) İlgaz Zorlu , Selanikliler Ve Şişli Terakki Yolsuzlukları , Temel Ofset , İstanbul , 2000 , S , 11

(2) Mehmet Barlas , Yeni Şafak 8.3.2001

والتلفزيـون والإذاعـة فكانت كلها تابعة لهذه المجموعة التي سـلف ذكرهـا ولما أفلس باترون دينـج بيلجين وتعـرض لأزمة اقتصادية دخل على إثرها السـجن فإنه سرعـان ما تضاءل نفوذ صحافـة قولو وأغلقت بعض صحفها، حتى إنه عندما دخلت كل الصحف في مرحلة الضياع والخسـارة بـدأ الحديث يـدور حول الاسـتعانة بمسـاعدة آيديـن دوغان وسرعـان ما دخلت مؤسسـة بيلجين الحفية تحت هيمنة توسـعة دوغان قولو وظهرت آراء تقول إنه تمت العودة إلى الميديا المحتكرة مرة أخرى وكان هذا بمثابة خطر عظيم على الديمقراطية في البلاد. [1]

إن هـذا التكوين الخطِر لهذه الميديا الإعلاميـة المحتكرة لم تثر اهتمام أصحاب هذه الميديا ولم تُقلقهـم، بـل كان هذا التكوين الخطِر بمثابة تدخل مبذول من أجل سـن حملة لتشـويه سـمعة تلك الأوسـاط المنتفعة من وراء هذه الصحافة التي تتبع سـبل الاحتكار ولا تبغى عنه حولا. ولـو وجـد ضرب من الميديا المحتكرة في دولة ما وقامت هذه الميديا على أسـاس متكامل متحد أو أيديولوجية رسـمية مقرونة بسـلطة حاكمة قادرة فإن هذا يعنـي حينئذ أن هذه الدولة يجب عليها أن تستحسـن ضربًا من المصائب والملمات من بين الكوارث الأخرى التي يمكن أن تحل بهـا. ويُعـزى هـذا إلى أن هذا النوع مـن الميديا الإعلامية يولي وجهه شـطر مفهـوم المنفعة التي تقـوم على أسـاس المصالح المتبادلة بين السـلطة الحاكمة من جهة والأحـزاب المنتجة من ناحية أخـرى، وأن هـذه الأحزاب التي تصنع هذا الضرب من التفاهم سـوف نتحدث عن الفضائل الدائمـة والأعـمال الصالحة للنظم الديكتاتورية والسـلطات الحاكمة المطلقـة، وهي في الوقت نفسـه سـوف لا تتحدث عن مسـاوئ هذه النظم ولن تنقدها بألسـنة حداد. وإن نموذج تركيا في هذا السـبيل من أهم النماذج اللافتة للانتباه في الدنيا كلها ويوجد في هذا المضمار مادة علمية مكتوبة على شاكلة كتب تضم بين دفتيها كثيرًا من المادة العلمية.

هيمنة الماسون على راس المال للصناعة والتجارة:

يتسـنى لنـا أن نجعـل هـذه الهيمنـة على عنـاصر غير مسـلمة وغـير تركية بسـطت نفوذها الاقتصـادي والتركي إبـان عصر الدولة العثمانية وعصر الجمهورية على حد سـواء. وتتشـكل هذه العناصر من الروم والأرمن واليهود على وجه العموم وقد أمعنا النظر في دراسـتنا المتعلقة

(١) من الضروري إدراج الأمنيين أيضًا هنا.

بهذا الموضوع ووجدنا أن الصناعة ورأس المال كليهما ظلا منحصرين على طائفة كبيرة من مؤسسي الجمعيات الماسونية ولما بدا أن الروم والأرمن قد تخليا عن دورهما المنوط بهما إبان عصر الجمهورية أسرع اليهود والدونمة كي يحل محلهما ويضطلعا بدورهما وإذا ما عُقدت مقارنة بين الأقليات في عصر الدولة العثمانية والأقليات في عصر الجمهورية فإننا نستخلص منها ما يأتي: عندما عقدت مقارنة بين أقليات تركيا والأقليات في عصر التنظيمات ولا سيما بعد مؤتمر لوزان فإنه يتبين لنا توضيح يوضح الموقف على النحو الآتي:

كانت طائفة الروم هي ضرب من الأقلية التي تُدلل التنظيمات بشتى ضروب الحريات المتباينة [١]،أما بعد مؤتمر لوزان فإنه توجد حرية من أجل اليهود في تركيا دون سائر الجنسيات الأخرى [٢]،ويتبين بعد مؤتمر لوزان عام ١٩٢٤م «أن اتفاقية التبادل السكاني التي تمت بين كل من تركيا واليونان عام ١٩٢٤م تمخضت عن نتيجة تؤكد أن عدد المواطنين الأتراك ذوي الأصول اليهودية قد زاد حتى بلغ خمسة عشر ألف يهودي وكلهم من يهود الدونمة الذين جاءوا من سلانيك، وهم يهود أصبحوا بعد ذلك مسلحين. [٣] وبلغوا هذا العدد الكبير [٤]،وعندما جاء هؤلاء اليهود إلى بلدنا كانت المجالات الصناعية والتجارية والثقافية خاوية الوفاض. وكانت زمرة عريضة من مثقفي الترك المتعلمين قد تحطمت قوتهم وكسرت شوكتهم إبان حرب طرابلس الغرب عام ١٩١١م وحرب البلقان ١٩١٢ -١٩١٣م وعلى جبهات القتال إبان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ -١٩١٨م وحرب الاستقلال ١٩١٩ -١٩٢٢م وإذا ما تطرقنا إلى مجالات رأس المال والصناعة والتجارة رأينا أنه لم يكن هناك كيان غني يطيح بها من أيدي العثمانيين وكان لا بد من ملء هذه الفراغات الخاوية وشغلها عن طريق زمرة من اليهود من ذوي الكفايات والقدرات والثراء الاقتصادي ممن يُلمون باللغات الأجنبية ويتمتعون بثقافة عالية وخبرة متميزة ولا سيما مواطنينا من يهود إسطنبول ويهود الدونمة الذين جاءوا إلينا من سلانيك. ولما كان هؤلاء الدونمة يتمتعون بصفات علمانية غريبة فإن اقتصاد تركيا قد استحوذ

(1) Masonluğu İçyüzü ,s,45

(٢) فُصل القول عن هذا في الجزء الثاني من كتابنا، والمسمى: التاريخ السري ليهود الدونمة في تركيا، والذين يطلق عليهم لقب: يهود المسلمين.

(3) Zorlu ,Selanikliler , , , , , s,4

(٤) وللتزود بمعلومات حول هذا الموضوع انظر كتابنا تحت اسم: الدونمة ويهود الدونمة. ص . ٨ .

عليه الماسون بدرجة كبيرة رغبة منهم في إحداث توازن بين الدونمة والماسونية كلتيهما[1].

كان الهدف الرسمي للدولة طوال عصر الجمهورية يتمثل في التغريب وصبغ الدولة التركية بالصبغة الأوروبية الخالصة، ولما كان أساس التغريب قائمًا على فكرة العلمانية فقد كانت هناك رغبة في تعظيم مناخ العلمانية ولا سيما في المجالين الاقتصادي والإداري، لا سيما أن الإنسان التركي الذي يعيش خارج المدينة وفي الأناضول لم يكن مهيأ بعد لهذا المناخ العلماني بسبب فقره المدقع ومسكنته وافتقاره إلى الإمكانيات التي تكفل له حياة كريمة.

إن هذا التشكيل الذي سلف ذكره حدث على وجه العموم فيما يعرف باسم محور إسطنبول إزمير الذي كان يحظى بنصيب موفور من التعليم ومن ثم كان على أهبة الاستعداد لقبول المناخ العلماني، وإن هذا المحور الذي أصبح احتكاريًا امتيازيًا، ولما أراد هذا المحور أن ينشر فكرًا تنظيميًا من أجل حماية هيمنته والحفاظ عليها قُطع الطريق في وجه تركيا التي أرادت الصعود إلى صعيد الحضارة المعاصرة، ومن ثم ضرب هذا المحور تركيا في أعماقها ولسوف ندرس هذا الموضوع فيما بعد في مبحث بعنوان «الماسونية والثورة التالية».

عدد الماسون والجمعيات الماسونية:

إذا ما أُمعن النظر في المصادر المتباينة فإنه يلاحظ أن الماسونية بدأت تمارس نشاطها مرة أخرى في تركيا عام ١٩٤٨م، وسرعان ما زادت المنظمات الماسونية من هذا التاريخ وازداد عدد الجمعيات الماسونية ويدور الحديث اليوم عن وجود أربع مؤسسات ماسونية في تركيا ومثلهم في بريطانيا العظمى. وهذه المؤسسات الماسونية هي: الجمعية الماسونية التركية وجمعية رفعة تركيا وجمعية فكر وثقافة تركيا والمحفل الماسوني الكبير في تركيا. [2]

ويرى الأستاذ صباح الدين آريج أنه قد أُسست ثلاث وستون جمعية ماسونية اعتبارًا من ١ يناير عام ١٩٨١م، وبلغ عدد الماسون ٤٢٨٩ ويوجد في إسطنبول ثلاث وثلاثون جمعية ماسونية ضمت ٢٤٠٢ عضوًا ماسونيًا. ويوجد في أنقرة ثماني عشرة جمعية ماسونية تضم ١١٨٧ عضوًا، وفي إزمير عشر جمعيات تضم ٦٥٩ عضوًا، ناهيك عن وجود جمعية واحدة في

(1) Ana Britannica, mason Maddesi, C: XV. S 411.

(2) Arıç, s, 133

كل من مدينتي بورصة وآدنة. ثم بلغ عدد الجمعيات الماسونية سبعًا وسبعين اعتبارًا من ١٩٨٦ بلغ عدد أعضائها ستة آلاف عضو. (١)

واعتبارًا من عام ٢٠٠٠م فقد بين الأستاذ ساهر طلعت آكو زعيم الجمعية الماسونية الكبرى للماسونيين الذين تمتعوا بالحرية المكفولة لهم في تركيا أن توجد مائة وستون جمعية ماسونية في ثماني مدن تركية بلغ عدد أعضائها اثني عشر ألف عضو ماسوني. (٢)

فتح الجمعيات الماسونية للناس كافة:

كان شهر يناير من عام ٢٠٠٠م قد صادف في تركيا أول نشاط غير مألوف في تاريخ الماسونية في تركيا. ففي اليوم العشرين من هذا الشهر حملت صحيفة حريت عنوان خبر تقول فيه «إن الماسون سوف لا يختفون بعد» وجرى الحديث في تلك الفترة عن فتح الماسون جمعياتهم الماسونية للشعب التركي لأول مرة، وفي ١٩ يناير عام ٢٠٠٠م أُعلن عن فتح مبنى صحافي من حي باي أوغلو بإسطنبول للجمعية الماسونية الكبرى. (٣) وقال زعيمها الأستاذ ساهر طلعت أكو: «لم تعد هناك سرية بعد» وأُذيع هذا الخبر وأصبح هذا الشعار السري بمثابة اصطلاح يطلق على أولئك الماسون ذائعي الصيت في تركيا وفي العالم بأسره وأحدث دعاية كبرى للماسونية وأثار انطباعًا في نفوس الخلائق أجمعين.

وفي ٢٠ يناير عام ٢٠٠٠م، فتح الماسون الموجودون بأنقرة المبنى الثقافي للجمعيات الماسونية. وشرح الأستاذ طه قيوانج انطباعاته عن فتح هذا المبنى في مقال له بعنوان «كنت عضوًا في جمعية ماسونية». أما الأستاذ باشا آي سو مساعد زعيم هذه الجمعية فإنه رد على أسئلة الصحفيين وقال: «إن هؤلاء الملحدين لن يتسنى لهم الولوج من هذا الباب». ولما سُئل آي سو لماذا لا تقبلون المرأة عضوًا في هذه الجمعية؟ رد قائلًا: «إن تقاليدنا وأعرافنا لا تسمح بذلك. لقد كنت أعمل في القطاع الخاص منذ خمسة وثلاثين عامًا حتى أؤكد أنه لم يكن هناك ماسوني واحد مشاركًا للماسونية في أي ضرب من ضروب المنفعة والمصلحة». وأردف يقول: «إنني لم

(1) Hürriyat , 20.1.2000

(٢) يتحدث الأستاذ Eygi عن الأستاذ Akve فيقول إنه سالونيكي الأصل وأحد التجار الأثرياء من يهود الدونمة.
(Mşevket eygi: yahudi türkerler ve sabatayıclar . zevi geyik yy:istanbul 2000.s.173)

(3) Yeni Şafak 24.1.2000

أحصل على عمل واحد بفضل عضويتي في الماسونية»، وقال في آخر مقالته: «إننا لم نتحدث في الجمعيات الماسونية عن الدين والسياسة وإن إخواننا السياسيين لم يخلطوا بين الماسونية والقضايا السياسية، فأي ضرر أصابكم من وراء هذا؟ فقد أُسست حكومات وقامت ثورات فكيف اضطلعت الماسونية بدور في انتخاب رئيس الجمهورية؟ هل يا تُرى تقع المسئولية على عاتقي؟ فبعد كل ثورة يوجد عدد كبير من الإخوة».

وثمة سؤال من الأسئلة التي لاحظت أنها لا تحظى بإعجاب الماسون، وهذا السؤال هو:

«توجد صور آتاتورك في كل مكان، ولقد اتخذ أتاتورك قرارًا في عام ١٩٣٥م بغلق الجمعيات الماسونية التي تقولون إنها مهدت السبيل لكي تغطوا في سُبات عميق، فما الذي سوف تقولونه بشأن هذا الموضوع؟ لقد اضطلع الذين في معيتكم بهذه المشكلة وأن مبادئ حزب الشعب الجمهوري تقف ضد مبادئ الماسونية، لقد قضيت أحد أيام السبت في إحدى الجمعيات الماسونية ولم أكن آنذاك قد شببت عن الطوق بعد». [1] ويصف محمد شوكت آي جي فتح ما يسميه الماسونية بالشفافية أمام السواد الأعظم من الشعب، وكان لزامًا أن تكون هذه الشفافية مبادرة جادة ومحاولة نافذة فعالة. وكانت السرية المطلقة واحدة من المبادئ الأساسية للماسونية: «كان هناك ولع شديد عند الماسونية من أجل البحث عن جودة الإنسان وكفاءته في كل يوم يمر وينقضي وقد دخل الماسونية خلال الثلاثين عامًا الأخيرة حشد كبير من وأراد الماسونية أن يحملوهم ضربًا من الكفاية تفوق طاقتهم». [2]

ونشر خبر ذو علاقة بالماسون يتضمن عبارة تقول «الماسونية مرة أخرى أنهم يمثلون السرية والخفاء الذي يكتنفه اللبس والغموض» فردوا على هذه التهمة قائلين: «لا يوجد عندنا ما نخفيه أو نداريه عن أي شخص البتة. وفي العام الماضي التقى الماسون في إسطنبول وفتحوا أبوابهم لكل وسائل الصحافة والإعلام، واجتمع زعماء الماسون في فندق جونراد Gonrar ولم يصرحوا لم اجتمعوا في هذا المكان. وعُقد هذا الاجتماع محاطًا بتدابير أمنية واسعة وبمنأى عن أعين الصحافة ووسائل الإعلام.

(1) Eygi , Yahudi Türkler , s173 – 174

(2) Akit , 25.4.2000

وقد عُقدت في إسطنبول آخر اجتماعات للماسون الذين تبوأت أسماؤهم الصدارة بين الماسون في شتى أرجاء المعمورة وأذنت لهم ولاية إسطنبول بتنظيم هذا الاجتماع وأحاطته بتدابير أمنية واسعة.

وانقسم الاجتماع إلى جزئين اثنين جرت في الجزء الأول منه المناقشات والحوارات وفي الجزء الثاني منه كانت هناك الحفلات الراقصة وضروب اللهو والقصف والمتعة والتسلية وجاء قرابة ألف ماسوني بسياراتهم الفارهة إلى فندق جونراد وعقدوا اجتماعهم وغادروه دون أن يتفوهوا بتصريح واحد عقب اجتماعهم». [1]

وثمة قائمة بأسماء الأعضاء الماسون نراها مدونة في خاتمة كثير من الدراسات التي تشرح أحوال الماسونية والماسون وتفصل القول فيهم. ومن ثم لم نر في هذا المقام ضرورة لنشر قائمة في كتابنا هذا الذي بين أيديكم وإن المناخ الأكاديمي لا يسمح بإدراك الجهد الذي بذلناه في هذا السبيل. [2]

الماسونية وثورة ما بعد الحداثة ٢٨[3] فبراير ١٩٧٧:

قلنا إن هناك طريقة علمانية اعتنقها الماسون. وقال الكاتب أتيلاإيلخان إن الماسونية عقائد ومذاهب علمانية متداخلة مع بعضها بعضًا ومعبرة عن نشاط الماسونية وانطلاقها. وفي ٢٨ فبراير ١٩٧٧م أسس مجلس الأمن القومي وتضمن ثماني عشرة مادة لا سيما ما يختص منها بمقاومة العسكريين للمدنيين، وبذل هذا المجلس قصارى جهده من أجل تحقيق هدفه المنشود المتمثل في حماية العلمانية المعرضة للخطر أمام أي ضربة استباقية، ناهيك عن السعي الحثيث الذي بذله هذا المجلس من أجل تصفية الأفكار الرجعية والموظفين ذوي الفكر الرجعي

(١) يمكن النظر إلى هذه الطائفة من الكتب التي كانت شديدة الشغف بموضوع قائمة أسماء الماسون ومنها على سبيل المثال: كتاب الوجه الحقيقي للماسونية، وكتاب نحن بين أسماء خمسة آلاف ماسوني، ص ١٥٤ -٣١٢ وكتاب Gün celıkler ص ١٢٣ -٣٥٦

(٢) يمكن النظر إلى هذه الطائفة من الكتب التي كانت شديدة الشغف بموضوع قائمة أسماء الماسون ومنها على سبيل المثال: كتاب الوجه الحقيقي للماسونية، وكتاب نحن بين أسماء خمسة آلاف ماسوني، ص ١٥٤ -٣١٢ وكتاب Gün celıkler ص ١٢٣ -٣٥٦

(٣) ما بعد الحداثة: هي حركة فكرية واسعة نشأت في النصف الثاني من القرن العشرين، لتكون بمثابه رد فعل على ادعاءات المعرفة القديمة المنتهية والمرتبطة بحداثة عصر النهضة، ولإنهاء الافتراضات المزعوم وجودها في الافكار الفلسفية الحديثة المتعلقة بالأفعال والثقافة والهوية والتاريخ وتحطيم السرديات الكبرى وأحادية الوجود واليقين المعرفي.

ومؤسسات رأس المال الرجعية. وهناك مذاهب سياسية أخرى تبوأت مكانة داخل إطار هذه المؤسسات الرجعية. ويرى الأستاذ آتيلاجان أنه بينما كانت الماسونية تمضي قدمًا لتأسيس مذهب لها على شاكلة المذاهب الإسلامية فلماذا لم تؤسس لها مذهبًا على نهج الطريقة الماسونية؟ «إن ما بذلته من جدال ونقاش لم يكن يرمي إلى مناقشة القضية التي تدور الحيل حولها من حيث كون الفلسفة الماسونية حسنة أم قبيحة. بل كان جدلي على النقيض من ذلك فمهما تكن مبادئ الماسونية حسنة أو متطورة فإن هذا يعطي انطباعًا بأن الماسونية هي طريقة سرية خفية ولا سيما في التطبيق، إن هؤلاء الماسون يبدون ضربًا من المعاملة المتميزة مقارنة بأضرابهم ممن ينتسبون إلى الطرق الصوفية المثالية.

ولنتحدث في هذا المقام بصورة أكثر صراحة ووضوحًا فنقول: لو أن استثمارات رؤوس أموال الطرق والجماعات الدينية التي يُشك في أنها خاضعة للشريعة الإسلامية وكانت موضوعة تحت مراقبة سلطان الدولة لما تسنى لها أن تصنع هذه الطرق التي حظر أتاتورك نشاطها في دنيا الأعمال والأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية حتى في مؤسسات الدولة وهيئاتها والتي كانت كلها تمارس نشاطها بصورة سرية يكتنفها اللبس والغموض وتحيط نفسها بحجاب مستور من الأحاجي والألغاز ولكن هل تظنون أن هذا بالأمر الهين اليسير؟ (١)

أما التحقيق الصحافي الذي كتبه الأستاذ إيلخان سوسيال الذي نشره في صحيفة الميثاق بتاريخ ٢٣ أبريل عام ٢٠٠١م وورد فيه ما يأتي: أجل توجد طرق ومذاهب أخرى مثل الماسون والروتاريون وأرباب أندية الليونز وغيرهم. وكل هذه الطرق والمذاهب ذات صبغة علمانية وجذورها موجودة خارج البلاد. ومن ثم كان لزامًا وجود حركة ثورية فاعلة في مواجهة كل هذه الطرق والمذاهب.

ولكن لماذا لم يتم الانتقال إلى هذه الحركة الثورية التي تواجه كل هذه الطرق والمذاهب؟ أو هل كانت هناك اتجاهات تتواطأ مع الثورة للماسونية؟ ولا جرم أن هذه الثورة كانت علمانية في أساسها وهل استطاعت هذه الثورة أن تؤسس توازنًا ثوريًا للماسونية على أساس مذهبي

(1) Cumhuriyet , 21.9.1998

أيديولوجي لكونها مؤسسة على أساس الماسونية وقواعدها؟ هذا سؤال ورد بالخاطر.

ثمة ضروب أخرى من التوازنات. إذ لم يتحدث الحديث عن النظام الديمقراطي الموجود في تركيا فحسب، بل خاضوا كذلك في الحديث عن البيروقراطية. وإذا وضعنا نصب أعيننا أن هناك نظامًا دكتاتوريًا بيروقراطيًا ذا صبغة مدنية وعسكرية فإن هناك تشكيلات مهيمنة للماسونيين تبسط نفوذها على البيروقراطية على أعلى صعيد، ومن ثم يظهر سؤال آخر يقول: هل من الممكن تأسيس توازن بيروقراطي ماسوني؟

وثمة توازن ثالث هو التوازن الاقتصادي. إذا استخدم تعبير اقتصاد الأسهم والسندات بدلًا من اصطلاح الاقتصاد المنتج وذلك من أجل إظهار الصورة الحقيقية للاقتصاد الموجود في تركيا.

وقد نشرت صحيفة زمان خبرًا في ٢٩ يوليو عام ١٩٩٨م تقول فيه: «لقد أحيط من يعمل بالصناعة بسياج من الفوائد الربوية البنكية ليلًا ونهارًا»، ثم ورد خبر آخر في أسفل الصحيفة يقول: «لقد حصلت أكبر خمسمائة شركة في تركيا على أكثر من ٨٧,٧٪ من الأرباح في عام ١٩٩٨م». وصنفت أسماء خمسمائة شركة في الخبر الذي ورد ذكره في الصحيفة سالفة الذكر، ويوجد أمام أسماء هذه الشركات الفوائد التي حصلت عليها. ثمة واحدة من أهم الخصائص التي تلفت الانتباه في هذه القائمة والتي تبين لنا أن أصحاب الاقتصاد التركي يستحوذون على أربعة وأربعين في المائة من اقتصاد الدولة وهم جميعًا ينتسبون إلى جمعية رجال الأعمال والصناعة في تركيا التي تعرف اختصارًا باسم Tüsiad. هذا وقد نشرت صحيفة الميثاق في عددها الصادر في ١٨ فبراير عام ٢٠٠١م مقالًا وقفت فيه على أسباب الضربة القاضية التي أصابت الاقتصاد التركي وأمعنت النظر في جمعية رجال الأعمال والصناعة في تركيا والتي كانت أحد الأسباب التي أدت إلى هذا الانهيار الاقتصادي الذي أصاب البلاد وأشارت الصحيفة إلى أن هناك بنية تنظيمية سرية كالماسونية أفسدت الاقتصاد التركي وأهوت به إلى أسفل سافلين، وقيل إن أغلب أعضاء هذه الجمعية الماسونية، كانوا من اليهود والدونمة والماسون ونشرت الصحيفة أسماءهم وكان هؤلاء يسمون أحيانًا باسم البورجوازية Sera. ويسمون كذلك الـ Dükalık حققت دخلًا وصل إلى نسب كبيرة وقدمت للدولة قروضًا بفوائد عالية نادرًا ما يصادف مثلها في العالم، ويقول الأستاذ زلفى ليوانه لي في مقاله الذي كتبه في صحيفة ملليت

الصادرة في ١١ يوليو عام ٢٠٠١م إن هؤلاء قد حصلوا من خزانة الدولة على دخل من الفوائد بلغ ١٤٢ مليار دولار في العشر سنوات الأخيرة أي من عام ١٩٩٠ -٢٠٠٠م.

وعندما نقوم بتقويم هذه الثورة Dastmodern التي حدثت في هذا المناخ وكذلك الدخول التي حققتها الثورة الأخرى المناظرة لها في الأربع سنوات الأخيرة أي من عام ١٩٩٧ حتى عام ٢٠٠١م فإننا نصل إلى تحليلات تبين لنا زيادة الضربات العنيفة المغتصبة للاقتصاد التركي. وكانت ثورة ٢٨ فبراير عام ١٩٧٧م السبب الرئيسي لهذه الأزمة الاقتصادية التي أكلت بالبلاد. ولا سيما إن الثورة سالفة الذكر كانت تخوض صراعًا مع شيطان الرجعية والتخلف، ومن ثم فإنها لم تُصب كلًا من وهكذا وصلت فاتورة ضرب تركيا في العمق من أجل الدفاع عن العلمانية. (١)

وهكذا وصلت فاتورة ضرب تركيا في العمق حتى بلغت هذه الثورة post modern . وقد دارت مناقشات حول ثورة ٢٨ فبراير ١٩٧٧م وهل كانت حركة تصفية أم لا، وقيل إن هذه الثورة سعت إلى تضييق الخناق في مجال الحياة الإسلامية، وطبقت ذلك عن طريق سعيها الحثيث من أجل تدخل الدولة في الدين. واعتبار الدين مناقضًا للروح العلمانية.

وجرى الحديث كذلك عن ضرورة تصفية الموظف الرجعي ورأس المال الرجعي والمؤسسات الرجعية المتخلفة. ولا سيما أن هذه التصفية ظهرت في شكل يوجب الوقوف على التأثيرات الكبرى للاقتصاد، كانت التصفية بمثابة ثورة للأنشطة المضادة للعلمانية الرجعية بدرجة كبيرة حيث حدث تحالف بين حزب الطريق المستقيم وحكومة حزب الرفاه وظهر هذا بجلاء في الفترة بين ٣٠/ ٦/ ١٩٩٦ و٣٠/ ٦/ ١٩٩٧م، وقال نجم الدين أرباقان رئيس حزب الرفاه: «إنهم يهاجموننا ويعتدون علينا لأننا قطعنا الطريق Rantiyeciler». (٢)

(١) كان Pinc pilgin صاحب جريدة صباح قد أُعتقل وسُجن بسبب الإفلاس المصرفي الذي ألمَّ به على يد أصحاب وسائل الإعلام المتحكرين، ومن ثم أبدت هذه الحادثة رد فعل يمكن تفسيره على أنه ..... خلف قناع العلمانية، ومستخدمًا تعبيرات مثل: هذه الحادثة ترد دائمًا على خاطرنا من أجل صراع العلمانية الذي اضطلعنا به. صحيفة صباح الصادرة في ٢٢ مارس عام ٢٠٠١م).

(٢) ولمزيد من المعلومات فيما يتعلق بالسيناريوهات التي اضطلعت بها ثورة ٢٨فبراير عام ١٩٧٧م من أجل تحطيم حكومة طريق الرفاهية (حزب الرفاهية) والقضاء عليه انظر الكتب الآتية لمؤلفها سيلمان قوجه باش، وهي: (تكتب الكتب من الهامش على الكمبيوتر مباشرة).

أمـا الحكومات السـابقة على حكومة حزب الرفاه فإنها ازدادت ثـراءً عريضًا نتيجة للديون المتضخمـة التي أصابت الدولة والهبات والعطايا وسـندات الأمـوال التي قدمها البرجوازيون ناهيك عن أنه كان هناك إحسـاس بالحاجة الماسـة إلى الحكومات وكوادرها من أجل أن يتسنى لها أن تسـتخدم في سـهولة ويسر وراحة تامـة أولئك من أجل غلق مؤسسـات الاقتصاد العام الـذي بيـع إبان المناخ الذي سـادت فيه سياسـة الخصخصـة أو ما يعرف بالقطـاع الخاص، ولم يكن من السهل غلق باب الاختلاس من البنوك إبان عصر حزب الرفاه، وقد... الحكومة التي سـلف ذكرهـا الرجعية والتخلف وضـاع الوطن وخاض في لجة الخطر الـذي يحدق به من كل جانب فتمثلا في العلمانية من جهة وثورات أتاتورك المتعاقبة ومبادئه الثابتة الراسخة، وحُطمت القوى النشطة الفتية، وكان هذا يعني أن الثورة Post كانت بمثابة تطبيق لبرامج النضال وضد الرجعية التي وصفت بأنها غير ديمقراطية أما الحكومات فأطلق عليها اسم «حكومات النظام المؤقت» ولا سـيما أن ضرب إنجلترا في العمق عام ٢٠٠١م كان مرتبطًا بإجراءات الثورة التي سلف ذكرها وحكوماتها المتعاقبة.

ولم يكـن هنـاك اكتفاء بتصفية حزب الرفاه، بل وضع في الحسـبان كذلك أن الفرصة لم تزل مواتيـة لضروب أخرى من التصفية تعكر صفو هذا المناخ وتجعله آسـنًا. كانت هناك منذ بضع سنين طائفة علمانية ماسونية ولكنها لم تكن موجودة في ذلك المناخ العلماني منذ ذلك اليوم الذي ظهرت فيه الأوسـاط اليسـارية والإلحادية في الساحة السياسـية، ولا جرم أن الأفكار الرجعية المتخلفة قد قللت من عدد مدارس الأئمة والخطباء وكليات الإلهيات ومدارس تحفيظ القرآن، ناهيـك عـن تدخـل هذه الأفـكار الرجعية في مجـالات الحياة الدينيـة والشـخصية التي تعد في الحقيقـة مناهضة للعلمانية ومخالفة لفكرها، وقد فُسرت هذه الإجراءات على أنها بمثابة تضييق الخناق على مجال الحياة الإسلامية الدينية.

وعندما نتطرق للحديث عن تصفية رأس المال الرجعي فإن هناك سؤالًا يجول بخاطرنا وهو هـل يراد بهذه التصفية رأس المال الموجود في الأناضول؟ ولا جرم أن اقتصاد الأناضول كثيف ذو قـوة مؤثرة وبدأ هذا الاقتصاد يظهر بجلاء منذ عام ١٩٨٠م حيث إن حكومات تورجوت أوزل هـي التي زجت تركيا في هذا المناخ الجديد من الاقتصاد، ولم تسـتطع هذه الحكومات أن

تستسيغ إمكانية النفقات دون أخذ مستندات وهبات من الدولة أو ظهور هذا القرب من رأس المال الذي ظهر مقترنًا بقدرة حادة متطورة أبداها الإنسان في منطقة الأناضول، ناهيك عما يعرف بنظام الذي هيمن على محور إسطنبول – إزمير، وكذلك برجوازية رأس المال التي ظهرت مقترنة بالدعم الاقتصادي للدولة، وقد أرادت الدولة تحقيق هذا النوع من التصفية متعللة بأنه رجعي وقائلة إنه ليس منافسًا لي. وقد وُصفت هذه الواقعة المفجعة بأنها بمثابة انتقال إلى الديمقراطية الحقيقية حيث قطعت الطريق على الانتقال إلى البرجوازية القومية ناهيك عن أنها كانت عنصر استقرار مثلما هو موجود في الغرب. وإذا وضعنا في الاعتبار أن التكوين الماسوني لمعظم هؤلاء الذين جاءوا بالبرجوازية التي اتحدت مع المفهوم البيروقراطي والأيديولوجي الذي لم يكن عنصرًا مستقرًا من أجل الديمقراطية في أي وقت البتة وحينئذ نقول هل يوجد دور اضطلع به الماسون في تصميم رأس المال الرجعي عن طريق ثورتهم التي قاموا بها في ٢٨ فبراير عام ١٩٧٨م؟

وقد سُئلت أسئلة تقول: «هل كانت تصفية الموظفين الرجعيين ترمي إلى تصفية إنسان الأناضول من السياسة البيروقراطية؟ وهذا يعني أن انتشار التعليم في تركيا مقرونًا بزيادة عدد المدارس كان بمثابة بداية تسلل السياسة والبيروقراطية إلى منطقة الأناضول اعتبارًا من عام ١٩٧٠م على وجه الخصوص». [١]

(١) كانت هذه المنطقة تسمى بتعبير آخر باسم الضواحي أو الأماكن التي تقع خارج إطار المدن الكبيرة، أما التمييز العنصري بين الضواحي والمراكز والمدن فقد صنع بدوره بيئات أوتوقراطية محتكرة باسطة نفوذها في كل مكان وقد جرى الحديث بجلاء تام عن هذه الأشياء لأن الضواحي لا تتمتع بسلطة حاكمة مهيمنة قبلها في ذلك قبل المدن والمراكز الكبرى. وإن آخر نموذج لافت للنظر في هذا السياق يتمثل في تلك المقالة التي كتبها أحد كتاب الأعمدة الصحفية في صحيفة «حريت» أي الحرية ويدعى سردار تورجوت تحت عنوان «يجب إيقاف سير القوة الحاكمة في الضواحي» ويقول تورجوت إن هؤلاء صنف من المجددين يمثلون قسمًا جديدًا منتزعًا من حزبي الرفاهية والفضيلة كليهما وكانت هناك رغبة في تصفية هذين الحزبين ولا سيما بعد دخول رجب طيب أردوغان وأصدقاؤه إليها وصعود نجمهم إلى أعلى عليين ويقول تورجوت مما جعل تركيا تمضي قُدمًا إلى التردي في خط مستقيم. وقد سُلمت الدولة مرة أخرى إلى سياسة تحكمها إحدى الضواحي. وما لبثت هذه الضاحية تمضي قُدمًا نحو الحكم بكل خصائصها المناهضة للديمقراطية وسلوكها وضيق أفقها وتراكماتها ودون مبادئ أو مثل تضبط سلوكها. وإذا ذهبت هذه الحكومة على هذه الشاكلة ولم تفعل شيئًا (فهل يا تُرى توجد ثورة داخل هذا المناخ؟) وإذا لم يكن خيار فإنها ولا جرم ستمسك بمقاليد الأمور في أول انتخاب صحيفة (حريت ٢/ ٨/ ٢٠٠١) وإذا أتت الضاحية إلى كرسي الحكم فإن هذا سيكون نتيجة للإخفاق الذي أصاب الحكومة المركزية ولو كانت الحكومة المركزية ديمقراطية حق وذات مبادئ وأفق واسع لما تردت تركيا اليوم في هوة هذا

ممـا خوف الأوسـاط البيروقراطيـة المحتكرة والتي تمسـك بمقاليد الأمور وتبسـط نفوذها عـلى كل شيء، وإذا كانـت هـذه البيئة الحاكمـة المهيمنة قد قطعت الطريق على ما يعرف باسـم البرجوازيـة القوميـة، فإنهـا ما لبثـت أن تحركت من فورها مـن أجل قطع الطريـق كذلك على الكوادر القومية الديمقراطية الحرة، وأسرعت هذه البيئة الحاكمة بالتواري خلف قناع النهضة بدلًا من قولها إنها منافسة لى:

أما تركيا فإنها لم تستطع العيش فترة طويلة بمثل هذه الشعارات ودليل ذلك تلك الضربة في العمـق التي وجهـت إليها في عام ٢٠٠١م. ومن ثم كانت العلمانية الحقيقية مضطرة إلى احترام الفوارق الموجودة في المناخ الديمقراطي وإلى تأسيس نظام يدعو إلى تقسيم السلطة وتداولها.

ووصلت تركيا إلى نقطة الخوف اعتبارًا من عام ٢٠٠١م وهذا يعني أن اقتصادها ضُرب في العمق وأصبحت كل مؤسسـاتها ذات بنية إدارية فاسدة، وقيل إنه لو كانت الجمهورية التركية شركة فإنها قد أعلنت إفلاسها. ولكنه لم يُرَ في التاريخ أن الدولة قد أعلنت إفلاسها.

لم يُختـبر الماسـون اختبـارًا واحـدًا إبان عـصر الدولة العثمانيـة، وعندما نبحث عن أسـباب انهيـار هـذه الدولة العثمانية فإننا ندرك من فورنا أن هؤلاء الماسـون كانوا من أهم أسـباب هذا الانهيـار، وإذا وضعنـا نصـب أعيننـا أن المجموعات الماسـونية الحاكمة كانت تمثـل الاحتكار والهيمنـة على مجالات التجارة والصناعة ورأس المال ووسـائل الإعـلام والبيروقراطية والبنية الثقافية والأيديولوجية. وهل يا ترى اضطلع هؤلاء الماسونيون بدور رئيسي في الإفلاس الذي أصـاب الدولـة العثمانية؟ وأيـن يوجد الآن اثنا عشر ألف ماسـوني؟ وما الـضرر والنفع الذي أصاب الدولة بسـببهم؟ وعلى كاهل من تلقى تبعة هذا التردي الذي أصاب الدولة؟ أليسـت مسـئولية هذا الإفلاس ملقاة على عاتق ذلك الإنسـان الرجعي ذي الأصول الأناضولية؟ لقد جـرى الحديـث حول طائفة من ذوي السـلوك المشـين ممـن أسـاءوا اسـتخدام الوظائف التي تقلدوها وأخذوا الرشـوة وكفلوا الحماية لبعض الأشخاص، ناهيك عن ثلة من رجال الأعمال

المسـتنقع العميـق. وربما تمت تصفية هذه الضاحية حينئذ فإن الضاحية سـتضرب عقـل المركز في الصميم لأنه أصبح يعاني من الوحدة، ولم لم يتم الحديث من أجل هؤلاء لقد كانت هناك رغبة في جرجرة تركيا من مآزق إلى مآزق وحينئذ سـوف يسـتمر الدوران حول شـعار الروح، الجماعية غير الديمقراطية، ولسوف يسأل التاريخ ذات يوم عن حساب كل هذا.

وأربـاب الحرف والصنايع والبيروقراطيـين من أصحاب النفوذ والوزراء ورؤسـاء الوزارات ممن اختلسـوا البنوك، ولهذا السـبب أُقصي عدد من رؤسـاء الوزراء وعُزلت طائفة من الوزراء والبيروقراطيـين وقُدموا إلى المحاكمة وحُبسـوا. فهل يوجد بـين هؤلاء من بزغ نجمهم ثم أفل عن طريق استثمار الإمكانيات المتاحة للماسونية؟

كانـت الاسـتقامة والصـدق وتحقيق السـعادة المنشـودة للشـعب تبـدو وكأنها مـن مبادئ الماسـونية وأسسـها. كانت هذه المبـادئ في الحقيقة بمثابـة وعود للولايـات ورد ذكرها في كل الرسائل الكلاسيكية لكل النظم والمؤسسات، وأهم شيء في هذا السبيل هو النتيجة والتطبيق. ولـو أن كل الناس تفوهوا بكلمة أننا جميعًا صادقون لأسـس حينئـذ عالم آخر مختلف عن العالم الذي نعيش فيه.

إن كاتـب هذه السـطور يكـن كل احترام لمثل هـذه العقائد والمذاهب ولـكل ما يعتقده كل إنسـان وكان هذا مطورًا في موضوع كتابنا الذي أفردناه للماسونية والماسون وإذا كنا نطلب من هؤلاء حق التعبير عن أنفسهم والشعور بالاحترام نحو الثقافة التي تحكم عقائدهم ومذاهبهم فإن من البديهي حينئذ أننا نستمسـك في المقام الأول بالمصالح العليا لأمتنا ودولتنا ونجعلها في أعلى عليين.

وأهم شيء في هذا المقام هو عرض الحقائق. إن كاتب هذه السـطور لم يكن في المقام المدافع الأول عـن الماسـونية أو الدونمـة ولا مؤيد لهـا أو معارضًا، إنه يبدي الاحـترام لكل الفوارق المذهبية والدينية متمنيًا لهذه المذاهب العيش في بنية مجتمعنا الذي يتمتع بالمناخ الديمقراطي.

انتهت الترجمة في يوم السبت، المُوافق: ٢٠/ ٢/ ٢٠١٠

الفهرس

«مقدمة المؤلف» ٥

«الفصل الأول»: الماسونية والدين ١٥

«العقيدة الماسونية» ٣٠

«البنية التنظيمية الماسونية» ٤٦

الماسونية والنشاط الحركى الفعال ٥٤

القسم الثاني: التكوين الماسوني لولى العهد مراد ٩٧

السلطان عبد الحميد الثاني والماسونية: ١٠٦

الماسونية والاستعمار والتقسيم ١١٤

جمعية الاتحاد والترقى والجمعيات الماسونية ١٣٦

الماسونية إبان عصر الجمهورية ١٥٩

" تأسيس حزب العدالة " ٢٠١

الفهرس ٢٣٨